سلسلة الرسائل الجامعيَّة (٤٥)

أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ

النَّشْأة - الأهْدَاف - المنهَج - الخصَائِص

إعداد
د/ صالح بن عبدالرحمن بن إبراهيم الدّخيل
أستاذ العقيدة المساعد بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة

دار الهدي النبويّ
مصر

دار الفضيلة
السعودية

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف للحصول على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ونال درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز عام ١٤٢٥هـ

الناشر
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
الرياض ١١٥٤٣ ـ ص. ب ٥١١٤٢
تليفاكس ٢٣٣٣٠٦٣

توزيع
دار الهدي النبوي للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية ـ المنصورة
تليفون: ٢٣٢٣١٧٥ / ٠٥٠ ـ جوال: ٠١٢ / ٧١٤٥٦٨١

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[(١)]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[(٢)]، ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[(٣)].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم إن كل علم يشرف بشرف المعلوم وعلم التوحيد هو أشرف العلوم على الإطلاق، فإنه يبحث فيما يجب على العبد تجاه ربه في إفراده بربوبيته وألوهيته، وما اختص به سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات العلى.

ولهذا من تدبر أحوال العالم وجد أن كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول ﷺ والدعوة إلى غير الله[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠-٧١.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/ ٢٤، ١٨/ ١٦٢).

لذا فإن الله تعالى خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، وأمر بطاعته وطاعة رسله، ونهى عن معصيته ومعصية رسله، أمر بالتوحيد والإخلاص، ونهى عن الإشراك بالله، وبين أن أعظم الحسنات التوحيد، وأعظم السيئات الشرك، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١).

وقد حذرنا الله تعالى من هذا الشرك في آيات كثيرة جداً، منها قوله تعالى فيما أخبر به عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (٣).

وكذلك حذرنا منه نبينا ﷺ ونهانا عن كل سبب يوصل إليه، كما قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تباك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»** (٤).

ولقد تركنا نبينا ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وما من شيء يقربنا إلى الله إلا أمرنا به، وما من شيء يبعدنا عنه إلا حذرنا منه.

وهكذا مشى على نهجه من جاء بعده من الصحب الكرام ﷺ والتابعين لهم بإحسان، فاقتفوا أثره في معرفة الله وتوحيده، وفي أمور دينهم كلها.

ثم حمل ذلك العلم النافع علماء مخلصون ، قاموا بنشر العقيدة الصحيحة ، وذادوا عن حياضها، وقمعوا البدع وأهلها ، وتصدوا للرد على شبهات المبطلين، فهتكوا أستارهم، وكشفوا عوراتهم ، وأفردوا لذلك المصنفات والمؤلفات العظيمة

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٤) أخرجه مسلم: ٤/ ٢٢٨٩، رقم [٢٩٨٥]، من حديث أبي هريرة.

التي تفخر بها الأمة الإسلامية، فلله درهم ما أعظم أثـرهم في استقامة هـذه الأمـة على نهج نبيها، وما أروع جهادهم الذي خاضوه لبيان الحق ورد الضلالة.

وما أحسن ما وصف به الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة تلكم الآثـار في الأمة حيث يقول: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا مـن أهـل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم علـى الأذى، يحيـون بكتـاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكـم مـن ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفـون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويـل الجـاهلين، الـذين عقـدوا ألوية البدعة، وأطلقوا أعنة الفتنة(١).

ففي كل زمان يهيئ الله تعالى لهذا الدين رجالاً ينـافحون عنـه، ويظهـرون السـنة ويقمعون البدعة، ويقومون بإرشاد الناس إلى الدين، ويهدونهم إلى صراط مستقيم.

فحري بكل مسلم التطلع إلى الأمور التي جعلت أئمة السلف يتميزون بـه عـن غيرهم .

وحيث إن الله سبحانه وتعالى قد منّ عليّ ـ فضلا منه وتكرما ـ بالقبول في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، لمواصلة دراسـتي العليـا لنيـل درجة الدكتوراه، رأيت من المناسب في وقتنا المعاصر إبراز أهم خصائص أهل السنة والجماعة وما يتميزون به عن غيرهم من الفرق والمذاهب المنحرفة سواء في الاعتقاد أو السلوك، وقد جعلت عنوان هذه الرسالة : "خصائص أهل السنة والجماعة دراسة وبيان".

---

(١) من خطبة الإمام أحمد في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية.

أولا: أهمية الموضوع.

١ـ القيمة العلمية لهذا الموضوع ، إذ هو يبحث في أمور الاعتقاد.

٢ـ إن المادة العلمية لهذا الموضوع مفرقة في بطون الكتب ، فتحتاج إلى جمع ودراسة وبيان.

٣ـ بيان انحراف الفرق الضالة وبعدها عن الحق من خلال دراسة خصائص أهل السنة والجماعة.

٤ـ وصل حاضر هذه الأمة بماضيها من خلال ما كان عليه أهل السنة والجماعة.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع.

١ـ حاجة الأمة لمعرفة خصائص أهل السنة والجماعة التي تميزهم عن غيرهم .

٢ـ التعريف بمصادر أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال.

٣ـ بيان التطبيق العملي والسلوكي لهذه الخصائص والمميزات.

٤ـ رغبتي في دراسة خصائص أهل السنة والجماعة.

٥ـ عدم وجود بحث علمي متكامل ـ حسب علمي ـ يجمع هذه الخصائص مع دراستها وبيانها.

ثالثا: خطة البحث. وتحتوي على :

المقدمة: وفيها ذكر أهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج العام الذي سرت عليه وخطة البحث.

الباب الأول: تعريفات وأدلة : وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: تعريف الخصائص، وفيه ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني: تعريف السنة، وفيه مبحثان.

الفصل الثالث: تعريف الجماعة.، وفيه مبحثان.

الفصل الرابع: تعريف أهل السنة والجماعة ومفهومها، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الخامس: ألقاب أهل السنة والجماعة، وفيه تمهيد وسبعة مباحث .

الباب الثاني: خصائص أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال، وفيه تمهيد وسبعة فصول:

التمهيد: مصادر التلقي عند السلف إجمالا.

الفصل الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة، وفيه ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني: الاستدلال على أصول الاعتقاد بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما في ذلك، وفيه ثلاثة مباحث .

الفصل الثالث: الاستدلال على أصول الاعتقاد بالمتواتر والآحاد من السنة وعدم التفريق بينهما، وفيه ثلاثة مباحث: .

الفصل الرابع: دلالة الإجماع والعقل الصحيح والفطرة السليمة على أصول الاعتقاد، وفيه ثلاثة مباحث .

الفصل الخامس: العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه، وفيه ثلاثة مباحث :

الفصل السادس: رد التأويل لنصوص التنزيل، وفيه مبحثان .

الفصل السابع: تقديم فهم السلف أهل القرون المفضلة للنصوص الشرعية واعتبار ذلك، وفيه مبحثان .

الباب الثالث: خصائص أهل السنة والجماعة في العمل والتطبيق.

الفصل الأول: حصرهم الاتباع لرسول الله ﷺ فلا معصوم عندهم غيره، وفيه خمسة مباحث.

الفصل الثاني: الاقتداء بالسابقين من المهاجرين والأنصار مع الأمثلة العملية لذلك، وفيه ثلاثة مباحث .

الفصل الثالث: الولاء لأولياء الله والبراء من أعدائه، وفيه أربعة مباحث .

الفصل الرابع: تحذيرهم من المحدثات والبدع وذمهم لها، وموقفهم العملي من أهل البدع والأهواء، وفيه أربعة مباحث .

الفصل الخامس: توسطهم بين الإفراط والتفريط مع بيان نماذج عملية لذلك، وفيه أربعة مباحث .

الفصل السادس: قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصبرهم على الأذى فيه، وفيه ستة مباحث .

الباب الرابع: خصائص أهل السنة والجماعة السلوكية والخلقية، وفيه: تمهيد وثمانية فصول:

التمهيد: بيان فضائل حسن الخلق والسلوك، وفيه ثلاثة مباحث .

الفصل الأول: حرصهم على العدل والإنصاف، وفيه أربعة مباحث .

الفصل الثاني: أرحم الناس للناس وأحسن الناس أخلاقا، وفيه أربعة مباحث .

الفصل الثالث: حرصهم على الزهد وكثرة العبادة وملازمة الطاعة، وفيه ستة مباحث.

الفصل الرابع: تحذيرهم من الفتن ومنع أسبابها، وفيه أربعة مباحث .

الفصل الخامس: صبرهم على ما يصيبهم ومنعهم الخروج على ولاة الأمور، وفيه مبحثان.

الفصل السادس: ثباتهم على دينهم وعدم ترددهم وتذبذبهم، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل السابع: وضوح عقيدتهم وصفائها، وفيه أربعة مباحث .

الفصل الثامن: العمل على تأليف القلوب واجتماع الكلمة، وفيه ثلاثة مباحث .

ثم الخاتمة.

وأتبع ذلك بفهارس علمية واختصرتها في هذه الطبعة إلى فهرست فقط وهما مراجع والموضوعات .

رابعا: منهج العمل في البحث :

حاولت الاستقصاء في جمع خصائص أهل السنة والجماعة من حيث التأصيل، والأصول التي تنبني عليها الأحكام الأخرى، مستشهدا في ثنايا البحث بجملة من نصوص الكتاب والسنة ، ولا ألتزم باستقصاء ذلك؛ لأن المقصود منه إثبات أصله، ثم أعضد ذلك بأقوال أهل العلم ، وبعض الآثار الواردة في الباب التي تثبت الأثر العملي لذلك التأصيل العلمي، وهذا من أعظم ما يميز به السلف عن غيرهم ، فقد جمعوا بين الجانب العلمي والجانب العملي، إلا أنني أريد أن أنبه على أمور:

١ـ الاقتصار في هذا البحث على بيان مذهب أهل السنة والجماعة في عدّ المسائل إلا ما أدت إليه الحاجة من بيان آراء المخالفين.

٢ـ إذا خالف آحاد أهل السنة في مسألة من المسائل ، فالعبرة بما يؤيده الدليل الشرعي، وهو الذي اعتمدت عليه في بحثي.

٣ـ إذا وافق بعض أهل الأهواء أو المخالفين في مسألة من المسائل لمذهب أهل

السنة والجماعة، فالعبرة بما عليه أهل السنة والجماعة، لأنهم عدوا تلك المسائل أصولاً ، ولا يمنع من كون ذلك من خصائص أهل السنة ؛ فإن لهم قصب السبق في تأصيل ذلك، وغيرهم تابع لهم إذا وافقوهم.

٤ـ لم أتوسع في ذكر الخصائص في المسائل الجزئية ، وإنما اقتصرت على الخصائص المتعلقة بالكليات، وأصول الاستدلال وما يتبع ذلك، وذلك أن الجزئيات إنما تجتمع بالكليات، فكان الأولى ضبط الكليات التي قررها أهل العلم في الاعتقاد وغيره، وفي هذا البحث اتبعت الخطوات التالية:

١ـ اجتهدت في جمع المادة من مظانها من المصادر والمراجع.

٢ـ عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣ـ خرجت الأحاديث تخريجاً موجزا، إلا ما دعت الضرورة إلى الإطالة فيه أحيانا.

وعند تخريج الحديث فإني اتبعت في ذلك ما يلي :

ـ إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بالعزو إلى موضعه في الصحيح.

ـ وإذا لم يكن الحديث في أحد الصحيحين، ذكرت من خرجه من أئمة السنة.

ثم ختمت ذلك بالحكم عليه حسب ما قرره وقاله أهل العلم بالحديث ما وجدت إلى ذلك سبيلا.

٤ـ توثيق النقول من مصادرها، ونسبتها إلى قائلها.

٥ـ ترجمت للأعلام الذين يرد ذكرهم في هذا البحث ترجمة موجزة.

٦ـ فسرت الكلمات الغريبة التي ترد في البحث، وعرفت بالمصطلحات العلمية.

٧ـ عرفت بالفرق والطوائف والأماكن.

٨ـ ذيلت البحث بفهارس علمية حسب ما ذكرتها في خطة البحث.

والله أعلم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شكر وتقدير

الشكر أولا لله سبحانه وتعالى على تيسيره وإعانته لإتمام هذه الرسالة، وله الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

كما أتقدم بالشكر لجامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين على ما قدمت لطلابها من جهود جبارة ، أسأل الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء.

كما أشكر المشرف فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف المرشدي على ملاحظاته القيمة، وصبره وجلده في تقويم الرسالة حتى خرجت بهذه الصورة.

كما أنني أتقدم بالشكر للمناقشين على ما تفضلا به من قراءة هذه الرسالة، وإبداء الملاحظات القيمة عليها.

كما أتقدم بالشكر والدعاء لكل من وقف معي بجهده وعلمه وساعدني في إخراج هذا البحث.

أسأل الله أن يجزيهم جميعا خير الجزاء ، وأن يرفع منازلهم في الدنيا والآخرة، وأن يضاعف لهم الأجر، ويجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفَصْلُ الأَوَّلُ
تَعْرِيفُ الخَصَائِص

وفيه خمسة مباحث:

المَبْحَثُ الأَوَل : تَعْرِيف الخَصَائِص لُغةً.

المَبْحَثُ الثَانِي : تَعْرِيف الخَصَائِصِ اصْطِلاحًا.

المَبْحَثُ الثَالِثُ: نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَة عَن التَصْنِيف في الخَصَائِص.

المبحث الرابع : تعريف أهل السنة والجماعة ومفهومهما .

المبحث الخامس : ألقاب أهل السنة والجماعة .

المبحث الأول

تعريـــف الخصـــائـــص

تمهيد:

مما لا ريب فيه أن معرفة المصطلحات العلمية المستخدمة في البحوث المعاصرة لها أهمية كبرى ، وذلك لمعرفة مدلول الألفاظ ، ومدى تطوره مع استعمالات العلماء والباحثين، بحيث يعطى كل مدلول ما يستحقه من معنى، ومن هنا تكمن أهمية رجوع طالب العلم إلى الأصل اللغوي لهذه المصطلحات، حتى يصح تنزيل المعاني المناسبة لتلك الألفاظ، ولعل هذا يجعلني أقدم الكلام على أصل هذه الكلمة اللغوي ، ثم أردف ذلك بالمعنى الاصطلاحي.

المطلب الأول: تعريف الخصائص لغة.

إن المتأمل في المعاجم اللغوية يجد أن هذه الصيغة "خصائص" لم تذكر عند المصنفين الأوائل بتعريف واضح، وإنما وجدتُ أول من أشار إليها ـ حسب علمي ـ صاحب كتاب محيط المحيط كما سيأتي النقل عنه، إلا أنني استأنست بذكر جمع من أئمة اللغة واستعمالهم لها، كابن جني[(١)]، حيث ألف مصنفا في اللغة أسماه الخصائص ، والثعالبي[(٢)] أيضا صنف فيها "خصائص اللغة"، وغيرهم من العلماء مما

---

(١) هو عثمان بن جني ، أبو الفتح ، الموصلي، إمام العربية، وصاحب التصانيف، ومنها: سر الصناعة واللمع، مات سنة ٣٩٢ هـ، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/ ٣١١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ١٧)، البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٣١).

(٢) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، أبو منصور ، الشاعر، شيخ الأدب، من مصنفاته فقه اللغة، وسر البلاغة، وغيرها، مات سنة ٤٣٠ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٣٧)، البداية والنهاية (١٢/ ٤٤)، مرآة الجنان (٣/ ٥٣).

سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله.

وهذا ما يجعل القارئ يطمئن لأصالة هذه الصيغة، وأنها مستخدمة من قبل أهل العلم باللغة وغيرها.

ثم بعد الكلام على الصيغة، سأتعرض إلى أصل اشتقاق الكلمة.

إن أصل كلمة : "خصائص" من خصّ.

قال ابن فارس[١]: "الخاء والصاد أصل مطّرد منقاس، وهو يدل على الفرجة والثلمة"[٢].

يقال: خصَّه بالشيء يخُصُّه خَصًّا وخَصوصاً، بالفتح في الأخيرين، ويضم الثاني، وخصوصية.

وقد اشتق من هذا عدة ألفاظ أذكر منها ما يهمني في هذا الباب:

ـ **الخَصاصُ والخَصاصةُ**: وهو الفرج بين الأثافي[٣].

يقال للقمر: بدا من خَصاصة السحاب[٤].

قال ذو الرمة[٥]:

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين العلامة المحدث النحوي الإمام، ولد سنة ٣٢٩ هـ، ومات بالري سنة ٣٩٥ هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١١٨ـ١٢٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ١٠٣ـ١٠٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد فارس ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (٢/ ١٥٢).

(٣) انظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: إبراهيم السامرائي وغيره، (٤/ ١٣٤)، معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٥٢)

(٤) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ١٥٢).

(٥) هو غيلان بن عقبة بن بُهَيس المضري ، الملقب بـ : ذو الرُّمَّة ، شاعر من مشهور، مات بأصبهان عام ١١٧ هـ، انظر: وفيان الأعيان (٤/ ١١)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٧)، البداية والنهاية (٩/ ٣١٩).

أصاب خصاصه فبدا كليلا كلا وارتغل سائره انغلالا[(١)]

وقيل: هو الخلل في الثغر، أو كل خلل وفرق في باب ومنخل وبرقع ونحوه[(٢)]، ويجعل بعضهم الخَصاصة للثقب الصغير والكبير[(٣)].

وسمي الخُصُّ - وهو بيت من شجر - بذلك لما فيه من الخصاص، وهي التفاريج الضيقة[(٤)]، وتطلق الخَصاصة على سوء الحال والخَلَّة والفقر[(٥)].

- الخَصوصية - والفتح فيها أفصح -، والخَصيَّة، والخاصَّة: وهي ما فضّله دون غيره وميّزه، وخصه بالود كذلك[(٦)].

والخاصة: من تخصه لنفسك ضد العامة[(٧)].

قال الخليل بن أحمد[(٨)]: «الخاصّة الذي اختصصته لنفسك»[(٩)].

---

(١) ديوان ذي الرمة (٤٣٤).

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: الترزي، (١٧/ ٥٥٠_٥٥١).

(٣) انظر: العين (٤/ ١٣٤)، المحيط في اللغة لإسماعيل بن عباد، عالم الكتب، ١٤١٤ هـ، (٤/ ١٥٧)، تاج العروس (١٧/ ٥٥٣).

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: علي البجاوي وغيره، (٦/ ٥٥١)، القاموس المحيط للفيروزأبادي(٢/ ٤٤١).

(٥) انظر: العين (٤/ ١٣٤)، تهذيب اللغة (٦/ ٥٥١).

(٦) انظر: جمهرة اللغة (١/ ١٠٥)، الصحاح للجوهري (٣/ ١٠٣٧)، القاموس المحيط للفيروز آبادي، بيروت، ١٤١٢ هـ، (٢/ ٤٤١)، لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٤).

(٧) انظر: لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٤_٢٥)، مجمل اللغة (٢/ ٢٧٥)، تاج العروس (١٧/ ٥٥١_٥٥٣، ٥٥٥).

(٨) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي البصري، الإمام اللغوي، وهو منشىء علم العروض، عرف بالدين والورع والقناعة والتواضع، ولد بالبصرة سنة ١٠٠ هـ، وبها مات سنة ١٧٠ هـ، وقيل غير ذلك، انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٤_٢٤٨)، بغية الوعاة للسيوطي (١/ ٥٥٧_٥٦٠).

(٩) العين (٤/ ١٣٤)، وانظر: المحيط في اللغة (٤/ ١٥٧).

فيقال: خاصة الشيء ما يختص به ولا يوجد في غيره كُلاً أو بعضاً[١].

ويقال أيضا: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد.

ــ الخَصوص، والتَّخصيص: وهو التفرد ببعض الشيء مما لا تشاركه فيه الجملة[٢].

ــ والخاصيَّة: نسبة إلى الخاصّة وهي جمع خاصيات، وخصائص على غير قياس، ذكره صاحب محيط المحيط[٣]، ولم أره عند غيره ـ حسب إطلاعي ـ، والله تعالى أعلم.

يتضح من خلال هذا العرض أن كلمة خصائص ترجع في معناها إلى التميز والتفرد، وهذا لا يعارض أصل الاشتقاق.

ولهذا قال ابن فارس: "لأنه إذا أفرد واحد فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره"[٤].

المطلب الثاني: تعريف الخصائص اصطلاحا.

من خلال ما سبق عرضه من المصادر اللغوية يتضح لي أن معنى الخاصية والخصائص يدور على معنى الانفراد والفضل والتميّز.

ولعل أقرب الكلمات المرادفة لكلمة الخصائص هي المزايا أو الميزات، والله أعلم.

فخصائص الشيء هي الصفات التي تميزه عن غيره وتفرده، وتظهر فضله على غيره.

---

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تعليق: محمد المصري، (ص٤٢٢).

(٢) انظر: تاج العروس (١٧/ ٥٥١ـ٥٥٢، ٥٥٥).

(٣) محيط المحيط لبطرس البناني، مكتبة لبنان، طبع ١٩٨٣ م، (ص٢٢٥).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٥٣).

فخصائص القرآن مثلا : هي كل ما يتميز به القرآن الكريم من كل وجه عن الحديث النبوي وعن الأحاديث القدسية، وسائر الكتب السماوية، وكلام البشر.

وخصائص النبي ﷺ أيضا هي الفضائل والمعجزات التي يتميز بها، وينفرد بها عن سائر الأنبياء والبشر.

وعلى هذا يكون تعريف خصائص أهل السنة والجماعة:

ما يتميز به أهل السنة والجماعة وما يفضلون به عن غيرهم، مما ينفردون به عن غيرهم في التلقي والاستدلال، وفي العمل والتطبيق، وفي السلوك والأخلاق.

المطلب الثالث: نبذة مختصرة عن التصنيف في الخصائص.

بالنظر إلى ما صنف في شتى العلوم مما يحمل اسم الخصائص يتضح أن هذا اللفظ شمل أمورا عدة فمن ذلك ما ألف في العلوم التالية:

أ ـ في اللغة مثلا: الخصائص لابن جني، خصائص اللغة للثعالبي.

ب ـ وفي الحديث والفقه والفضائل مثلا: خصائص علي بن أبي طالب للنسائي[1].

خصائص مسند الإمام أحمد[2]

---

(١) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني، النسائي، أبو عبد الرحمن، الحافظ، الإمام المحدث ، البارع الثبت ، شيخ الإسلام، وناقد السنة، ولد سنة ٢١٥، وطلب العلم ورحل إليه، له من المصنفات : السنن الكبرى و وغيرها، مات سنة ٣٠٣ هـ، انظر: وفيات الأعيان (١/ ٧١)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٧ـ١٣٣)، البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٢٣).

(٢) هو الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، الذهلي، الشيباني، المروزي، البغدادي، أحد الأئمة الأعلام، صاحب التصانيف العظيمة ، سيرته مشهورة، وأخباره معروفة، توفي سنة ٢٤١ هـ، انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٥٤)، التاريخ الكبير (٢/ ٥)، حلية الأولياء (٩/ ١٦١)، تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢)، البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٥).

لأبي موسى المديني[١]، نور اللمعة في خصائص الجمعة للسيوطي[٢].

ج - وفي السيرة والنبوات مثلا: خصائص النبي ﷺ لابن الملقن[٣].

الخصائص الكبرى للسيوطي.

إلى غير ذلك من المصنفات[٤]، ومع الاطلاع السريع عليها يجد القارئ أن ما حوته هذه المؤلفات لا يخرج عما ذكرته آنفا في المعنى الاصطلاحي.

وفيما نحن فيه فإن أهل العلم قد تعرضوا لذكر خصائص أهل السنة في ثنايا الكتب والمصنفات، فيجدها القاىٔ مبثوثة في كتب العقائد: كالشريعة للآجري[٥]،

---

(١) هو محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى أحمد بن عمر، أبو موسى المديني، الأصبهاني الشافعي، العلامة الكبير الحافظ الثقة، صاحب التصانيف المشهورة، كالطوالات وذيل معرفة الصحابة، مات سنة ٥٨١ هـ، انظر: الروضتين لأبي شامة (٢/ ٦٨)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٦)، العبر في خبر من غبر للذهبي (٤/ ٢٤٦)، سير أعلام النبلاء (٢١/ ١٥٢).

(٢) هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد، جلال الدين، أبو بكر، السيوطي، الحافظ المشهور، ولد سنة ٨٤٩ هـ، وطلب العلم على مشايخ بلده ثم سافر إلى الشام والحجاز وغيرها،، توفي رحمه الله سنة ٩١١ هـ، انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (١/ ٣٣٥)، الضوء اللامع (٤/ ٦٤)، شذرات الذهبي لابن العماد (٨/ ٥١).

(٣) هو عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الأندلسي، المعروف بابن الملقن، من المحدثين الفقهاء، ومن أئمة الشافعية في القرن الثامن، له من المصنفات البدر المنير، وشرح البخاري، وغيرها، مات سنة ٨٠٤هـ، انظر: ذيل الدرر الكامنة (ص١٢١)، الضوء اللامع للسخاوي (٦/ ١٠٠)، شذرات الذهبي (٧/ ٤٤).

(٤) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٧٠٥).

(٥) هو محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، أبو بكر الآجري، الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب كتاب الشريعة، والغرباء، مات سنة ٣٦٠ هـ، انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٣)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٣).

والإبانة لابن بطة[١]، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي[٢]، وغيرها .

ثم إن فيما سطره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لغنية لطالب الحق في هذا الباب، وقد جمع كثيرا منها ابن القيم في الكافية الشافية.

إلى جانب ذلك فقد اهتم أهل العلم والباحثون في العصر الحالي في تعداد جملة منها في ثنايا الكتب والمؤلفات[٣].

ولم أجد من جمع في هذا الباب شيئا على سبيل الاستيعاب[٤]، وهذا ما دفعني للكتابة في هذا الباب ، وقد كفانا أهل العلم في هذا ، ولا يسع القارئ إلا أن يجتهد في جمع المشتت مع ترتيبه، مع التنبيه إلى أهمية هذه الخصائص في الرجوع بالأمة إلى مجدها الأول وذلك من خلال دراسة هذه الخصائص دراسة هادفة.

---

(١) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، العكبري، أبو عبد الله، المعروف بابن بطة، الحنبلي، الإمام القدوة ، العابد الفقيه، المحدث ، شيخ العراق، مات سنة ٣٨٧ هـ.
انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١)، البداية والنهاية (١١/ ٣٢١).

(٢) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، أبو القاسم اللالكائي ، الإمام المفتي المجود الحافظ، له مصنفات كثيرة، مات سنة ٤١٨ هـ، انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠)، تذكر الحفاظ (٣/ ١٠٨٣)، البداية والنهاية (١٢/ ٢٤).

(٣) انظر على سبيل التمثيل: قواعد منهج السلف (ص٢٥٣)، وجوب لزوم جماعة المسلمين لجمال بادي (ص٢٨٥ فما بعدها)،، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٤١)، وغيرهم.

(٤) من المحاولات التي ينبغي أن تذكر هنا : ما ذكره أحمد فريد في تأليفه لخصائص أهل السنة، والذي لا بد من التنبيه على أن له قصب السبق في هذا الباب.

الفَصْلُ الثاني: تَعْرِيفُ السُّنَّةِ.

وفيه مبحثان:

المَبْحَثُ الأَوَلُ : تَعْرِيفُ السُّنَّة لغَةً.

المَبحَثُ الثَانِي : تَعْرِيفُ السُّنَّة اِصْطِلاَحًا.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ورود لفظ السنة في نصوص الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: ورود لفظ السنة في كلام الصحابة.

المطلب الثالث: اصطلاحات السنة عند أهل العلم.

الفصل الثاني

تعريـف السنـة

توطئة:

لقد تناول أهل العلم الكلام عن السنة من حيث التعريف بها والمراد منها عند الإطلاق، والاحتجاج بها، ومكانتها، ولم يقتصر الأمر على أهل الحديث منهم والمشتغلين به، بل لقد اشتملت مادة السنة على كتب الفقه وأصوله والعقائد، وكتب اللغة قبلها.

وسأحاول في هذا الفصل الاقتصار على بيان معنى السنة والاستعمالات الخاصة التي استعملت فيها، ومراد المحدثين والفقهاء وغيرهم منها، وسأتعرض قبل ذلك لمعانيها اللغوية.

المبحث الأول: تعريف السنة لغة، السنة ـ بضم السين وفتح النون المشددة ـ مأخوذة من سَنَن.

قال ابن فارس: "السين والنون أصل واحد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة"[1].

والأصل فيها قولهم: سننتُ الماءَ على وجهي أَسُنُّه سَنًّا إذا أرسلته إرسالا.

ومما اشتق منه هذا الأصل: السنة، وتطلق على معان:

ـ **السيرة**: يقول في ذلك خالد الهذلي[2]:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٦٠).

(٢) هو خالد بن أخت أبي ذؤيب، وهو ابن زهير الهذلي بن محروق. انظر: فصل المقال للبكري (ص٣٩٤ـ٣٩٥).

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راضٍ سنةً من يسيرها[١]

وإنما سميت بذلك ؛ لأنها تجري جريا.

ومن ذلك قولهم: امض على سَننك، وسُننك أي وجهك[٢].

ـ **الطريقة المستقيمة المحمودة أو السيئة** : وخصها بعضهم بالحسنة دون القبيحة[٣].

قيل: السنة في الأصل سنة الطريق، وهو طريق سنه أوائل الناس ، فصار مسلكا لمن بعدهم، ومن ذلك قوله ﷺ: **(من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)**[٤][٥].

وهذان المعنيان؛ السيرة والطريقة هما الأصل في كلمة السنة، وإلا فلها معان أخرى استعملت فيها هذه اللفظة[٦].

ـ ما يدل على الملامسة : ومنه إطلاقها على الوجه أو دائرته أو صورته.

قال الأعشى[٧]:

---

(١) انظر: ديوان أبي ذؤيب (ص١٥٧).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٦١).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٩٨)، البحر المحيط للزركشي (٤/ ١٦٣).

(٤) أخرجه مسلم ٢/ ٧٠٥، رقم: ١٠١٧، من حديث جرير ﷺ.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٣٠٠ـ٣٠١)، الصحاح (٥/ ٢١٣٨ـ٢١٣٩)، لسان العرب (١٣/ ٢٢٠).

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٢/ ٤٠٩).

(٧) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني، أبو المصبح الكوفي، شاعر مفوه شهير، كان متعبدا فاضلا، ثم عبث بالشعر وامتدح النعمان بن بشير، فاعتنى به، قتله الحجاج سنة نيف وثمانين، انظر: جمهرة ابن حزم (ص٣٩٣)، تاريخ بغداد (٣/ ٢٤٢).

كريما شمائله من بني   معاوية الأكرمين السنن[١]

والمعنى الأكرمين الوجوه، وأراد بالسنن الوجوه[٢].

ـ التتابع وتواليه: ولهذا يقال: كل من ابتدأ أمر وعمل به قوم بعده ، قيل: هو الذي سنه.

قال نُصيب[٣]:

كأني سننتُ الحبّ أول عاشق   من الناس أو أحببت بينهم وحدي[٤]

ـ العناية بالشيء ورعايته، يقال: سن الإبل إذا أحسن رعايتها، وأظهر العناية بها[٥].

وأنشد فيه بعضهم:

ما عاين الناس من فضل كفضلهم، ولا رأوا مثلهم في سالف السنن[٦]

ويعني في سالف الأمم.

ـ المثال المتبع، والإمام المؤتم به: ومنه قول لبيد بن ربيعة[٧]:

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٢٤).

(٢) انظر: القاموس المحيط (٤/ ٢٣٩)، لسان العرب (١٣/ ٢٢٤).

(٣) هو نصيب بن رباح ، أبو محجن الأسود، الشاعر مولى عمر بن عبد العزيز ، وشعره في الذروة، تنسك وأقبل على شأنه ، وترك التغزل، مات في بداية القرن الثاني، انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٦)، تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ١١).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٩٨ـ٣٠١)، القاموس المحيط (٤/ ٢٣٩)، لسان العرب (١٣/ ٢٢٥).

(٥) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٢٥).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٢١٦).

(٧) هو لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري ، أحد الشعراء الفرسان، الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، وله ديوان مشهور، مات سنة ٤١ هـ، انظر: خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٣٣٧)، الأعلام للزركلي (٥/ ٢٤٠).

مِن معشر سنّت لهم آباؤهم ولكل قوم سنّة وإمامها[١]

إلى غير ذلك من المعاني الواردة فيها، بحيث يختلف بحسب السياق الذي سيقت له[٢].

إلى جانب هذا فقد ضبط للكلمة عدة صيغ أخرى أذكرها للفائدة وحتى لا يكون اشتباه بينها، ومن هذا:

١ـ السِّنَّة ـ بكسر السين، وتشديد النون ـ ، وهي الدبّة أو الفهدة.

٢ـ السَّنة ـ بفتح السين وتخفيف النون ـ هي العام، وتطلق على سني الجدب.

٣ـ السِّنة ـ بكسر السين وتخفيف النون ـ وهي النعاس وما دون النوم.

قال عدي بن الرقاع العاملي[٣]:

وسنان أقصد النعاس فرنّقت في عينه سِنة وليس بنائم[٤]

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٤/ ٦٥).

(٢) انظر للتوسع: حجية السنة ، الموسوعة الإسلامية (١٢/ ٢٨٠).

(٣) هو عدي بن الرقاع العاملي ، الشاعر ، مدح الوليد بن عبد الملك، وهاجى جرير بن الخطفي، وكان آية في الشعر، مات في مطلع القرن الثاني، انظر: تاريخ الإسلام (٤/ ١٥٠)، خزانة الأدب (٤/ ٤٧٠).

(٤) انظر: غريب القرآن لأبي بكر السجستاني ، دمشق، ١٩٩٥ م، (ص٧٩).

المبحث الثاني تعريف السنة اصطلاحاً.

إن المتأمل والمتتبع لاستعمالات لفظة "السنة" يرى أنها استعملت لأكثر من معنى واصطلاح اتفق عليه أهل العلم، حيث إن كل فريق منهم يعطيها مدلولا خاصا بها.

ولهذا أذكر ما ورد من هذه اللفظة في الكتاب والسنة، وما كان عليه الصحابة والتابعون الأولون في استعمالها، ثم أعرض لاستعمال كل فريق من أهل العلم في مطالب :

المطلب الأول: ورود لفظ السنة في نصوص الكتاب والسنة.

لقد جاء استعمال هذه الكلمة في القرآن الكريم والسنة النبوية على معاني متعددة، يحسن بي ذكرها على سبيل الإيجاز.

أولا: ورود لفظ السنة في القرآن الكريم. وهي ثلاثة عشر موضعا :

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[١]. وقوله: ﴿ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٢]. وقوله: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا ﴾[٣]. وقوله: ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾[٤]. وقوله: ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٥]. وقوله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ﴾[٦]. وقوله: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[٧].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٨.

(٢) سورة الحجر، الآية ١٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٧٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٧٧.

(٥) سورة الكهف، الآية ٥٥.

(٦) سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

(٧) سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

وقوله: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [١]. وقوله: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [٢]. وقوله: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾ [٣]. وقوله: ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ﴾ [٤]. وقوله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ﴾ [٥]. وقوله: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ [٦]. ووردت لفظة السنن بالجمع في آية واحدة وهي: وقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [٧].

ثانيا: ورود لفظ السنة في السنة النبوية:

إذا استعرضتَ كتب الحديث التسعة ـ والتي هي العمدة عند المشتغلين بالحديث ـ فإنه يتبين ما سبق تقريره من أن السنة قد استعملت لعدة معان متقاربة، وأعني بالكتب التسعة:

ـ الكتب الستة؛ وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود، والسنن الصغرى للنسائي، وسنن ابن ماجه، وموطأ الإمام مالك، وسنن الدارمي، ومسند الإمام أحمد.

ففي هذه المصادر جاءت لفظة السنة ـ مفردة ومجموعة ـ نحو مائة وسبع مرات تقريبا، ويزداد هذا العدد إذا أدخلنا فيها المصادر الأخرى [٨].

---

(١) سورة فاطر، الآية ٤٣.
(٢) سورة فاطر، الآية ٤٣.
(٣) سورة فاطر، الآية ٤٣.
(٤) سورة غافر، الآية ٨٥.
(٥) سورة الفتح، الآية ٢٣.
(٦) سورة الفتح، الآية ٢٣.
(٧) سورة النساء، الآية ٢٦.
(٨) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن، ١٩٣٥م، (٢/ ٥٥٥)، مفتاح كنوز السنة، تعريب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٩٣٥ م، (ص٢٤٦).

وباستعراض مقتضب لعدد ورودها في السنة يظهر للباحث معاني عدة يمكن إجمالها في معان عدة، وهي كالتالي:

ـ اتباع سنن من قبلنا من اليهود والنصارى.

ـ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين.

ـ أجر من سن سنة حسنة.

ـ وجوب اتباع السنة وإن لم ينزل فيه قرآن.

ـ ملازمة المسلم للكتاب والسنة.

ـ التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة.

ـ إثم من يحيد عن السنة.

ـ ما حرم الرسول ﷺ مثل ما حرم الله.

ـ كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن.

ـ السنة قاضية ـ أي حاكمة ـ على القرآن(١).

هذا من حيث الإجمال، وأما من حيث التفصيل فإنك تجد أن لفظ السنة استعمل في كثير من الأحاديث للدلالة على معنيين:

الأول: ما كان شاملا للشريعة كلها.

الثاني: ما كان على سبيل المقابلة للقرآن.

١ـ ورود السنة بمعنى الشريعة، لقد استعملت هذه اللفظة بمعنى التشريع العام في الإسلام وما تضمنه من مسائل الدين الواردة في القرآن والسنة أو المستنبطة منهما

(١) انظر: مفتاح كنوز السنة (ص٢٤٦).

مما يحتج به، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً، أود أن أشير إلى بعضها هاهنا:

أ ـ منها قوله ﷺ : (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[(١)].

ب ـ وقوله ﷺ : (إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي ، ثم نرجع فننحر من فعله فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل، فإنما هو لحم قدمه لأهله...) الحديث[(٢)].

ج ـ وقوله ﷺ : (...فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ)[(٣)].

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في الباب.

وقد أشار ابن حزم[(٤)] إلى هذا بقوله: "السنة هي الشريعة نفسها، وأقسامها في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٠٤)، رقم: ٥٠٦٣، ومسلم، رقم (١٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١٢٨)، رقم: ٥٥٤٥.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٠١)، رقم: ٤٦٠٧، والترمذي (٤/ ١٤٩ـ١٥٠)، رقم: ٢٨١٦، وابن ماجه في سننه ، المقدمة، (١/ ١٥)، رقم: ٤٢، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٦)، والدارمي في سننه، باب اتباع السنة، (١/ ٤٣)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم: ح٢٦ـ ٢٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٨٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٨١٨)، وغيرهم من طرق عن العرباض بن سارية، والحديث قال عنه الترمذي : حسن صحيح، وصححه أيضا من العلماء:

ـ ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٧٥٨)، وابن رجب الحنبلي. جامع العلوم والحكم (ص١٧٨)، والحافظ ابن حجر كما موافقة الخبر الخبر (١/ ١٣٧)، ومن المعاصرين الشيخ الألباني. انظر: إرواء الغليل (٨/ ١٠٧)، صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٤١)، تعليقاته على مشكاة المصابيح (١/ ٥٨)، ظلال الجنة في تخريج السنة (ح٢٦).

(٤) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، الفقيه المشهور، من اشهر مصنفاته الفصل في الملل والنحل، المحلى وغيرها ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، ومات بالأندلس سنة ٤٥٦هـ، انظر: الصلة (٢/ ٤١٥ـ٤١٧)، نفح الطيب (٢/ ٧٧ـ٨٤).

الشريعة فرض أو ندب أو إباحة أو تحريم أو كراهة، كل ذلك قد سنه رسول الله ﷺ عن الله عز وجل"[١].

وقال الشيخ محمد الخضر بن الحسين[٢]: "وتطلق ـ أي السنة ـ على ما يقابل البدعة فيراد بها ما وافق القرآن أو حديث النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، سواء كانت دلالة القرآن أو الحديث على طلب الفعل مباشرة أو بوسيلة القواعد المأخوذة منهما"[٣]، وقد أومأ إلى هذا الاستعمال الشيخ أبو زهو[٤].

٢ـ ورود لفظ السنة في مقابلة القرآن في كثير من الأحاديث جاءت كلمة السنة في مقابلة القرآن أو معطوفة على كلمة الكتاب، والمقابلة والعطف يقتضي التغاير، فعلى هذا فإن لفظ السنة يشمل ما ذكره النبي ﷺ من غير الوحي.

وقد جاءت نصوص كثيرة عن النبي ﷺ في هذا المعنى، فمن ذلك:

قول النبي ﷺ : (**إن الأمانة نزلت من السماء في جذور قلوب الرجال، ونزل القرآن ، فقرأوا القرآن وعلموا السنة..**) الحديث[٥].

وبهذين المعنيين عرفت السنة في عهد النبوة.

المطلب الثاني: ورود لفظ السنة في كلام الصحابة.

لم تزل السنة في عصر الصحابة بعد النبي ﷺ تشتمل على ما أشرت إليه من المعنيين السابقين، وأكتفي في هذا المبحث بمثال أو مثالين لكل واحد من المعنيين.

---

(١) إحكام الأحكام (١/ ٤٣).

(٢) هو محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، عالم أديب ، باحث، ممن تولى مشيخة الأزهر، مات سنة ١٣٧٧هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١١٣).

(٣) رسائل الإصلاح (٣/ ٨٣ـ٨٤).

(٤) انظر: الحديث والمحدثون (ص٩ـ١٠).

(٥) أخرجه البخاري (٩/ ٦٦)، ومسلم (١/ ١٢٦)، رقم: ١٤٣.

أولا: **شمول لفظ السنة للشريعة**. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (**من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم**)[١].

ثانيا: **ورد لفظ السنة مقابلة للقرآن**، ومن الآثار الواردة عن الصحابة في هذا الباب: قول أبي بكر ﷺ للجدة التي جاءت تسأل عن ميراثها: (**مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ فارجعي حتى أسأل الناس**) الحديث[٢].

وعن ابن عمر[٣] رضي الله عنهما أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان[٤] يبايعه:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، رقم: ٦٥٤.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، باب ميراث الجدة، (٢/ ٥١٣)، وأبو داود (٣/ ١٢١)، رقم: ٢٨٩٤، والترمذي (٣/ ٢٨٤)، رقم: ٢٧٢٤، وابن ماجه (٢/ ٩١٠)، رقم: ٢٧٢٤.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، يكنى أبا عبد الرحمن، أسلم بمكة مع أبيه، ولم يكن بالغا حينئذ، هاجر مع أبيه إلى المدينة، كان ﷺ شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى، وكان كثير الصدقة. مات ﷺ بمكة سنة أربع وسبعين، صفة الصفوة (١/ ٥٦٣)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ١٠٧).

(٤) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي يكنى أبا الوليد كان قبل الخلافة عابدا ناسكا بالمدينة، شهد مقتل عثمان وهو ابن عشر سنين، قال نافع: لقد رأيت المدينة، وما بها شاب أشد تشميرا ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك، ملك الشام ومصر بعد أبيه ثم حارب ابن الزبير وأخاه مصعبا، وقتلهما، واستولى على الحجاز والعراق. سمع عثمان وأبا هريرة وأم سلمة وغيرهم، وعنه عروة، والزهري، ويزنس بن ميسرة، وغيرهم. توفي بدمشق سنة ست وثمانين، انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٢٢٣)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٩)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٤٦).

(وأقرُّ لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله بما استطعت)[(١)].

وبهذا المفهوم للسنة من خلال هذه النصوص يتضح المعاني المشهورة التي كانت تستعمل في عهد النبي ﷺ ومضى عليه صحابته الكرام، والتابعون لهم بإحسان.

المطلب الثالث: اصطلاحات السنة عند أهل العلم.

أهل العلم اختلفت أقوالهم في معرفة مدلول كلمة السنة لاختلافهم في المقاصد التي منها يتكلمون في موضوع السنة.

فتجد بعضهم مثلا: يجتهد في معرفة ما صح عن النبي ﷺ مما نقل عنه مما لم يصح ذلك عنده، من ولادته ﷺ إلى وفاته، ويتمثل هذا في المحدثين.

وبعضهم كان هدفه أن النبيﷺ هو المشرع فيستنبط من أقواله وأفعاله الأحكام الشرعية، وهذا يمثل جانب الأصوليين.

وآخرون اقتصرت نظرتهم في مدلول الكلمة من جهة كونها سنة أو مندوب أو مشروع، وهكذا، وهؤلاء طائفة الفقهاء.

ورابع هؤلاء جعلت غايتها في نظرتها عرض ما يصدر من أعمال الناس التي يتعبدون بها لله تعالى، وأنها موافقة للسنة وسالمة من الشبهات والشهوات، أو أنها بدعة مخالفة للسنة، وهذا رأي من صنف في الاعتقاد من أئمة السنة[(٢)].

وقد ذكر الزركشي[(٣)] رحمه الله ـ في هذا الباب ـ أن السنة تطلق على الواجب

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٤٥)، رقم: ٧٢٧٢.

(٢) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي (ص٦١)، السنة قبل التدوين لمحمد حجاج الخطيب (ص١٥).

(٣) هو محمد بن بهادر بن عبد الله ، الزركشي ، الشافعي، صاحب التصانيف البديعة، كالبحر المحيط، وغيره، توفي سنة ٧٩٤هـ، انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ١٧)، أنباء الغمر لأبناء العمر لابن حجر أيضا (١/ ٤٤٦)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٦/ ٣٣٥).

وغيره في عرف اللغويين والمحدثين، وأما في عرف الفقهاء فإنما يطلقونها على ما ليس بواجب، وأطلقها بعض الأصوليين على الواجب والمندوب والمباح، وتطلق في مقابلة البدعة كقولهم: فلان من أهل السنة[١].

ففي هذا بيان نظرة كل فئة من هؤلاء الأعلام، واختلاف التعاريف الخاصة لمدلول كلمة السنة، ويمكن توضيح هذا فيما يأتي من المباحث.

أولا: تعريف السنة في اصطلاح أهل الحديث، السنة: هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، خَلْقِيَة أو خُلُقِيَة أو سيرة سواء كانت قبل البعثة أم بعدها[٢].

ويقارب هذا ما قاله الحافظ ابن حجر[٣]: "المراد بالسنة ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما همّ بفعله"[٤].

وهذا التعريف لوحظ فيه المعنى المتقدم المشار إليه وهو كون السنة مقابلة للقرآن، فكان جل اهتمام المحدثين التأسي بالنبي ﷺ في كل أفعاله وأقواله وتقريراته، وخلقه وشمائله، ومعرفة الصحيح منها من السقيم لتتم القدوة بسيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ.

---

(١) انظر: البحر المحيط (٤/ ١٦٣)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٦٣).

(٢) انظر: تدريب الراوي (١/ ١٦٦)، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة كلاهما للسيوطي (ص٤٦)، قواعد التحديث للقاسمي (ص٣٥-٣٨)، توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائري (ص٢)، السنة قبل التدوين للخطيب (ص١٦)، الحديث والمحدثون لأبي زهو (ص١٠)، لمحات في أصول الحديث (ص٢٧).

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري ، شهاب الدين الشافعي، المعروف بابن حجر، صاحب التصانيف المشهورة كفتح الباري ، والإصابة في معرفة الصحابة وغيرهما، مات سنة ٨٥٢ هـ، انظر: الجواهر والدرر للسخاوي .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٢٤٥).

وفي هذا الباب ذكر أهل العلم أمثلة عدة على قوله ﷺ وفعله وتقريره وخلقه وخلقه وسيرته، فمن ذلك على سبيل الإيجاز:

١ـ ما جاء من أحاديث في أقوال النبي ﷺ، أما القول فهو الأحاديث التي قالها النبي ﷺ في مختلف شؤون الحياة وحسب المناسبات التي تترتب من وراءها أحكاماً متعددة، ومن أشهر ذلك ما أجاب عنه ﷺ عن أسئلة الصحابة في مختلف علوم الشرع مما احتاجت الأمة إلى بيانه، ومن ذلك:

أ ـ قول النبي ﷺ : **(هو الطَّهور ماؤه الحِلُّ ميتته)**(١).

ب ـ وقول النبي ﷺ : **(فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا**(٢) **العشر، وما سقي بالنضح**(٣) **نصف العشر)**(٤).

ج ـ وعن ابن عباس(٥) رضي الله عنهما، قال: (وجد النبي ﷺ شاة ميتة

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٢)، وأبو داود في السنن (١/ ٢١)، والترمذي في الجامع (١/ ١٠١)، والنسائي في السنن الصغرى (١/ ٥٠)، وابن ماجه في السنن (١/ ١٣٦)، والدارمي في السنن (١/ ٢٠١)، وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٥٩)، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٤٩)، وابن الجارود في المنتقى (١/ ٢٣)، والدارقطني في السنن (١/ ٣٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣) وغيرهم.

(٢) العثري : ما سقته السماء، انظر: القاموس المحيط (ص٥٦٠).

(٣) نضح البيت ينضحه، رشه، ونضح النخل: سقاها بالسانية، انظر: القاموس المحيط (ص ٣٢٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، ٤/ ٩٠.

(٥) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، يكنى أبا العباس، ابن عم النبيﷺ ، ولد وكان بنو هاشم قد حصرتهم قريش بالشعب، فأتى به النبيﷺ فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: خمس. وفي الصحيح عنه : (أن النبي ﷺ ضمه إليه، وقال: اللهم علمه الحكمة)، مات بالطائف سنة ثمان وستين ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ٩٣٣)، أسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٢٩٠).

أُعْطِيتها مولاة لميمونة[١] من الصدقة، قال النبي ﷺ : هلا انتفعتم بجلدها؟ قالوا: إنها ميتة، قال: إنما حرم أكلها)[٢].

٢ـ ما جاء من أحاديث في أفعال النبي ﷺ، وهي أفعاله ﷺ التي نقلها إلينا الصحابة ﷺ ، مثل أدائه للصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، كرفع يديه عند افتتاح الصلاة، وصفة الركوع، والسجود، مع تنبيهه ﷺ إلى متابعته في ذلك حيث قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[٣].

وكذلك أداؤه لمناسك الحج، وما شوهد في المشاعر من قبل صحابته رضوان الله عليهم، مع حثه ﷺ لهم بقوله ﷺ في ذلك: (لتأخذوا عني مناسككم)[٤].

٣ـ ما جاء من أحاديث في تقرير النبي ﷺ. أما التقرير فكل ما أقره الرسول ﷺ مما صدر عنه عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال، بسكوت منه وعدم إنكار، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار، والموافقة عليه صادرا عن رسول الله ﷺ .

---

(١) ميمونة: هي ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية، كان اسمها برة، فسماها النبي ﷺ ميمونة، خطبها النبي ﷺ وجعلت أمرها إلى العباس، فأنكحها ﷺ وقت فراغه من عمرة القضاء سنة سبع من ذي العقدة، وبنى بها بسرف، باب كثرة النساء، (٩/ ١٤١)، رقم: ٥٠٦، انظر: الطبقات الكبرى (٨/ ١٣٢)، الاستيعاب (٤/ ٣٩١)، السير (٢/ ٢٣٨)، الإصابة لابن حجر (٤/ ٣٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٣٥٥)، رقم: ١٤٩٢، (١/ ٢٧٦)، رقم: ٣٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في(٢/ ١١١)، رقم: ٦٣١، والشافعي كما في مسنده (١/ ١٢٩)، من حديث مالك بن الحويرث.

(٤) أخرجه مسلم رقم: ١٩٤٦، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠١، ٣١٨، ٣٦٧)، وغيرهما ، من حديث جابر بن عبد الله .

أ ـ ومن هذا حديث أبي سعيد الخدري[١] ﷺ : (**أنه خرج رجلان في سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة فتيمما صعيدا طيبا، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء، ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يعد: أصبت السنة، وقال للآخر: لك الأجر مرتين**)[٢].

ب ـ ومن ذلك قول أنس ﷺ[٣] : (**كان المؤذن إذا أذن قام ناس من أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري حتى يخرج النبي ﷺ وهم كذلك يصلون ركعتين قبل المغرب، ولم يكن بين الأذان والإقامة شيء**)[٤][٥].

٤ ـ **ما جاء في خَلْق النبي ﷺ وخُلُقه وسيرته**، ومن ذلك الأحاديث التي جاءت في صفة خَلقه ﷺ، وهي كثيرة جدا، جمعها الإمام الترمذي في كتابه العظيم الشمائل،

---

(١) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري نسبة إلى خدرة، بطن من الأنصار، اشتهر بكنيته، استصغره الرسول ﷺ يوم أحد، وكان عمره ثلاث عشرة سنة، وأجازه في غزوة بني المصطلق، وكان عمره خمس عشرة سنة، كان ﷺ من حفاظ المكثرين، توفي سنة ثلاث وستين، قيل: غير ذلك، انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٣٦٩)، صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٧١٤)، أسد الغابة لابن الأثير (٦/ ١٤٢)، الإصابة لابن حجر (٢/ ٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٩٣)، رقم: ٣٣٨، والنسائي (١/ ٢١٣)، رقم: ٤٣٣، والدارمي في سننه (١/ ٢٠٧)، والدارقطني (١/ ١٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٣١).

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم ، أبو حمزة، الأنصاري ، الخزرجي، الصحابي الجليل خادم رسول الله ﷺ ، وأحد المكثرين رواية للحديث، ولد بالمدينة ، ومات بالبصرة سنة ٩٣ هـ، وقيل غير ذلك، انظر: الاستيعاب (١/ ١٠٩)، أسد الغابة (١/ ١٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٦)، رقم: ٦٢٥، ومسلم في كتاب الأذان، رقم: ٨٣٧.

(٥) وقد ذكر أهل العلم تفاصيل كثيرة تتعلق بأقسام الأقوال والأفعال والتقرير، انظر للاستزادة: الواضح في أصول الفقه لابن عقيل (١/ ٣٨ـ٤١)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٦٠)، الموافقات للشاطبي (٤/ ٥٣).

وكذلك ذكر طرفا منها ابن دحية[١] في شرف أعضاء النبي ﷺ.

ومن ذلك قول جابر بن سمرة: (**كان رسول الله ﷺ ضليع الفم**[٢]**، أشكل العين**[٣]**، منهوس العقب**[٤])[٥].

وقد جاء في بيان خُلُقه ﷺ أحاديث كثيرة ، فمنها قول عائشة رضي الله عنها لما سئلت : (**عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: الست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن**) الحديث[٦].

ومما يتعلق بالسيرة فإن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة، ومنها حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي، حيث قالت: (**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء، ... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ ..**) الحديث[٧].

---

(١) هو عمر بن حسن بن علي بن الجميل الكلبي، أبو الخطابي ، الداني، السبتي ، المشهور بابن دحية، الشيخ العلامة المحدث المتفنن، وكان له حظ وافر من اللغة، مات سنة ٦٣٣ هـ.
انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٨)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٨٩).

(٢) ضليع الفم: عظيمه، أو واسعه، أو عظيم الأسنان متراصفها.
انظر: القاموس المحيط (ص٩٥٩).

(٣) أشكل العين: أي طويل شق العين.
نظر: القاموس المحيط (ص١٣١٧).

(٤) المنهوس: القليل اللحم من الرجل، ومنهوس القدمين : معرقهما.
انظر: القاموس المحيط (ص٧٤٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٣٩)، والترمذي في جامعه، كتاب المناقب، رقم: ٣٦٤٩.

(٦) أخرجه مسلم (١/ ٥١٣)، رقم: ٧٤٦.

(٧) أخرجه البخاري (١/ ٢٣)، رقم: ٣، ومسلم (١/ ٥١٣)، رقم: ٧٤٦.

ثانيا: تعريف السنة في اصطلاح أهل الأصول. عرفها جمهور الأصوليين بأنها: ما صدر من الرسول ﷺ من الأقوال والأفعال والتقرير[(١)].

زاد الزركشي : "والهم"، ثم قال: "وهذا الأخير لم يذكره الأصوليون، ولكن استعمله الشافعي في الاستدلال"[(٢)].

ولا شك أن علماء الأصول إنما خصوا هذا في مدلول السنة لملاحظة موضوع علم الأصول ذاته، الذي يهتم بالأدلة وطرق الاستنباط منها، فلما كانت السنة من الأدلة المتفق على الاستدلال بها، ظهر في تعريفهم لها الاقتصار على جانب الاستدلال، فيقولون: هذا الحكم ثابت بالسنة أي بدليل من السنة لا غيره من الأدلة كالقرآن والإجماع والقياس الصحيح ونحوها.

ثالثا: تعريف السنة في اصطلاح الفقهاء. المعتمد عندهم أنهم يبحثون في سنة رسول الله الذي تدل عليه أفعاله على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوبا أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك.

والسنة عندهم هي: كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب[(٣)].

---

(١) انظر: أصول السرخسي (١/ ١١٣)، الإحكام لابن حزم (١/ ٨٧)، المستصفى للغزالي (١/ ١٢٩)، الإحكام للآمدي (١/ ١٦٩)، التمهيد لأبي الخطاب الكلوداني (١/ ٦٥)، شرح المعالم لابن التلمساني (ص٢٠ـ٢١)، الواضح في أصول الفقه لابن عقيل (١/ ٣٨)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٦٠)، البحر المحيط للزركشي (٤/ ١٦٣)، كشف الأسرار للبخاري (٢/ ٦٥٣)، شرح المحلي على جمع الجوامع (٢/ ٩٤)، نهاية السول شرح منهاج الوصول للأسنوي (٢/ ٢٣٨)، إرشاد الفحول للشوكاني (ص٣٣)، أصول الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي (١/ ٤٤٩)، الحديث والمحدثون (ص٩).

(٢) البحر المحيط (٤/ ١٦٤).

(٣) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/ ١٥٦)، الإحكام للآمدي (١/ ١٢٧)، البحر المحيط للزركشي (٤/ ١٦٤)، فتح الباري لابن حجر(١٣/ ٢٤٥ــ٢٤٦)، إرشاد الفحول (ص٣٣)، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٣/ ٧٠٣).

هذا من حيث الجملة وإلا فقد تجد عند بعض أهل العلم بعض المعاني التي لا يذكرها غيرهم، وذلك لاختلاف مدارسهم الفقهية، ولهذا من المناسب الإشارة إلى بعض أقوال فقهاء المذاهب الأربعة لكي يتضح مدلول السنة عند الفقهاء.

١ــ السنة في اصطلاح فقهاء الحنفية. السنة عند الحنفية: هي ما واظب على فعله الرسول ﷺ مع تركه مرات بلا عذر، فإذا اقترن الترك بإنكار الرسول ﷺ على من لم يفعله فهو الواجب، وإن لم يقترن بالإنكار كانت دليل السنة المؤكدة[(١)].

٢ــ السنة في اصطلاح فقهاء المالكية. اختلفت عبارات المالكية في تعريف السنة؛ فقال بعضهم: ما فعله الرسول ﷺ وأظهره في جماعة وواظب عليه، ولم يرد دليل على وجوبه.

وقيل: ما فعله وداوم عليه ـ كصلاة الخوف ـ واقترن به ما يؤكد أنه ليس فرضا، سواء أظهره في جماعة أم لا[(٢)].

٣ــ السنة في اصطلاح فقهاء الشافعية. السنة عند الشافعية مرادفة للمندوب والمستحب والتطوع والنافلة والمرغّب فيه والحسن، ولهذا جاء تعريفها عندهم: "السنة ما يحمد فاعلها، ولا يذم تاركها"، وقيل: السنة هي المندوب الذي واظب عليه النبي ﷺ[(٣)].

٤ــ السنة في اصطلاح فقهاء الحنابلة. كما أن تعريفات الحنابلة للفظ السنة قد تنوعت أيضا، فقال بعضهم: ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.

---

(١) انظر: التحرير في أصول الفقه لابن همام الاسكندري (٣/ ١٩)، حجية السنة (ص٥٤).

(٢) انظر: عقد الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة لابن شاس (ص١٥٥)، حجية السنة (ص٦٣).

(٣) انظر: منهاج الوصول للبيضاوي (ص١٥١)، حجية السنة (ص٥٣).

ويرادفها المندوب والمستحب والتطوع والطاعة والنفل.

وقيل: نوع من المندوب، وهي أعلاه(١).

وقد تطلق السنة على ما هو أعم من هذا وهو المنقول عن النبي ﷺ قولا أو فعلا أو تقريرا، أو عن السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المقتدى بهم(٢).

رابعا: **تعريف السنة في المفهوم العقدي.** هي ما وافق الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات، وتقابلها بهذا المعنى البدعة(٣).

وهذا الاصطلاح إنما استمد من مفهوم السنة الذي هو الاتباع المقابل للابتداع، وقد جاءت في ذلك آثار كثيرة:

١ـ فمن ذلك قول ابن مسعود(٤) ﷺ: (**الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة**)(٥).

٢ـ وقال الحسن(٦): (**لا يصح القول إلا بعمل ولا يصح قول وعمل إلا بنية، ولا يصح**

---

(١) انظر: شرح غاية السول لابن المبرد (ص٢٠٢)، حجية السنة (ص٦٧).

(٢) انظر: شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٦٣ـ٦٤).

(٣) انظر: البحر المحيط للزركشي (٤/ ١٦٣)، الموافقات للشاطبي (٤/ ٤).

(٤) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم، أبو عبد الرحمن الهذلي، الصحابي الجليل، أسلم بمكة قديما، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها. مات سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن بضع وستين، انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٣٤٢)، التاريخ الكبير (٥/ ت٣)، تاريخ بغداد (١/ ١٤٧).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (رقم:٢٢٣)، والمروزي في السنة (ص ٣٠)، وابن أبي عاصم في الزهد (١٥٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٣)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٦١ـ٦٢)، رقم: ١٣ـ١٤، وغيرهم.

(٦) هو الحسن بن أبي الحسن واسم أبيه يسار، البصري، الأنصاري مولاهم، من الثقات الفقهاء المشهورين بالزهد والورع والتقوى والعلم، مات سنة ١١٠ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، تقريب التهذيب (رقم: ١٢٣٧).

قول وعمل ونية إلا بالسنة)[١].

٣ ـ وقال عمر بن عبد العزيز[٢]: "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده[٣] سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها ، فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ، ومن استبصر بها أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله عز وجل ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيرا"[٤].

٤ ـ وقال الأوزاعي[٥]: "كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة واتباع السنة، وعمارة المسجد ، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله"[٦].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٣)، رقم: ١٨، وقد روى أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٤٣)، عن الأوزاعي بنحوه.

(٢) عمر بن عبد العزيز بن مروان القرشي الأموي المدني الخليفة الزاهد الراشد ، كنيته أبو حفص، كان من أئمة الاجتهاد، عدّه الشافعي رحمه الله من الخلفاء الراشدين، قال عنه الذهبي: كان حسن الخَلق والخُلق ، كامل العقل حسن السمت جيد السياسة ،حريصا على العدل. تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين، ومات سنة إحدى ومائة، ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر، انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٣٣٠)، التاريخ الكبير(٦/ ١٤٧).

(٣) لعله يعني الخلفاء الراشدين.

(٤) رواه الآجري في الشريعة (١/ ٤٨)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٠٦)، رقم: ١٣٥.

(٥) هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الفقيه، الثقة، علامة الشام، وكان كثير الحديث والعلم والفقه، مات سنة ١٥٧ هـ، انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٢٧)، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، تقريب التهذيب (رقم: ٣٩٩٣).

(٦) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٧١)، رقم: ٤٨، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٤٢).

٥ ـ ومن هذا أيضا قول أبي بكر بن عياش[(١)] لما سئل: من السني؟ قال: "الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها"[(٢)].

٦ ـ وقال سفيان بن عيينة[(٣)]: « "السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة...» .

فذكر عشرة أمور[(٤)].

٧ ـ وقال الإمام أحمد: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات ....) إلى آخره[(٥)].

ويقول ابن رجب[(٦)] : «السنة طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات، ثم صار معنى السنة في عرف كثير من العلماء المتأخرين

---

(١) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، الكوفي، المقرئ الحناط، من الثقات العباد المشهورين بالعلم ، مات سنة ١٩٤ هـ، انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٧١)، تقريب التهذيب (رقم ٨٠٤٢).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٧٣)، رقم: ٥٤.

(٣) هو الإمام سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه، مات سنة ١٩٨ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، تقريب التهذيب (رقم: ٢٤٦٤).

(٤) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٥).

(٥) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٦)، وبنحو هذا عن ابن المديني . المصدر السابق (١/ ١١٨٥).

(٦) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي أبو الفرج زين الدين، من كبار المحدثين والحفاظ في عصره، ولد سنة ٧٣٦ هـ، وله من المصنفات القواعد الفقهية وجامع العلوم والحكم، وغيرها، مات سنة ٧٩٥ هـ.
انظر: الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٨)، إنباء الغمر (٣/ ١٧٦)، شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩).

من أهل الحديث عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة، وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة ؛ لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة »[١].

وقد وافقه على هذا الإمام محمود الآلوسي[٢] حيث قال: "السنة في الأصل تقع على ما كان عليه رسول الله ﷺ وما سنه أو أمر به من أصول الدين وفروعه حتى الهدى والسمت، ثم خصت في بعض الإطلاقات بما كان عليه أهل السنة من إثبات الأسماء والصفات خلافا للجهمية[٣] المعطلة النفاة، وخصت بإثبات القدر ونفي الجبر خلافا للقدرية النفاة وللقدرية الجبرية العصاة[٤].

وتطلق أيضا على ما كان عليه السلف الصالح من مسائل الإمامة والتفضيل والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ »[٥].

وهكذا تجد أهل العلم يطلقون الاسم على بعض مسمياته، تنبيها بذلك على أهمية هذا الركن وعظم شأنه.

---

(١) كشف الكربة (ص ١١).

(٢) هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين الآلوسي ، علامة العراق، ومن الدعاة المصلحين، له من المصنفات: غاية الأماني في الرد على النبهاني، والأجوبة العراقية، وغيرها، توفي سنة ١٣٤٢ هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٤٩)، أعيان القرن الثالث عشر (ص٤٧).

(٣) هم أتباع جهم بن صفوان السمرقندي، أبي محرز الراسبي ، ضال مبتدع، جنى على الأمة الإسلامية شرا عظيما، قتل سنة ١٢٨ هـ، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٩).

(٤) سيأتي التعريف بهذه الفرق ، انظر: ص ١٣٤ من هذه الرسالة.

(٥) غاية الأماني (١/ ٤٢٨).

من خلال الآثار السابقة عن السلف يظهر للباحث أن السنة كانت تتناول جميع حياة المسلم من الاعتقاد والعبادة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « لفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات والاعتقادات »[(١)].

ثم صار في عرف كثير من أهل العلم يطلق على ما سلم من الشبهات في الاعتقاد، كما سبق عن ابن رجب والآلوسي[(٢)].

هذه أهم الاصطلاحات التي ذكرها أهل العلم في لفظة السنة، وهي تختلف في المراد منها تبعا لاختلاف الموضوع الذي يبحث فيه، وحيث إن موضوعي يتعلق بالجانب المنهجي، فإني سأتحدث عن خصائص أهل السنة والجماعة ـ التي شملت الاعتقاد والعمل والسلوك ـ من خلال المنظور العقدي لمدلول كلمة السنة.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق د. صلاح المنجد، (ص٧٧).

(٢) انظر: أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى (ص٤٤).

الفصل الثالث

تعريـــف الجماعـــة

المبحث الأول: تعريف الجماعة لغة.

لفظ الجماعة: أصله من جمع.

يقال: جمعت الشيء المتفرق فاجتمع.

وتجمع القوم أي اجتمعوا من هنا وهاهنا ، وأجمعت الشيء جعلته جميعا.

وقد وردت عدة صيغ لها علاقة وطيدة بلفظ الجماعة فمن ذلك:

١ــ الاجتماع: وهو ضد التفرد وضد الفرقة، يقال: تجمع القوم إذا اجتمعوا من هنا وهنا.

٢ــ المجموع: الذي جمع من هنا وهنا.

٣ــ الجمع: وهو اسم لجماعة الناس ، والجمع: مصدر قولك: جمعت الشيء.

٤ــ الإجماع: وهو الاتفاق والإحكام، يقال: أجمع الأمر أي أحكمه إلى غير ذلك من الصيغ المستعملة.

فعلى هذا يراد بالجماعة: العدد الكثير من الناس[١]، وطائفة من الناس يجمعها غرض واحد.

وسميت جماعة ؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وأين صار لفظ لجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين[٢].

---

(١) وقيل: تطلق على الناس وغيرهم. انظر: لسان العرب (٨/ ٥٣).

(٢) انظر: الصحاح للجوهري (٣/ ١١٩٨ـ١٢٠٠)، مجمل اللغة (١/ ١٩٨)، مختار الصحاح (ص١١٠)، لسان العرب (٨/ ٥٣)، المعجم الوسيط (١/ ١٣٥).

المبحث الثاني: تعريف الجماعة اصطلاحا.

إن مفهوم الجماعة كما ورد في السنة وفي كلام أهل العلم يدور على معان عدة أوجزها فيما يلي:

١ـ الصحابة.

٢ـ أهل العلم وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدين.

٣ـ الاجتماع على الحق وعدم الفرقة.

٤ـ السواد الأعظم.

٥ـ أهل الحل والعقد والعلماء والأمراء والقضاة والأعيان.

وسيأتي الكلام على كل معنى فيها مع شيء من التفصيل في عدة مطالب .

المطلب الأول: الجماعة بمعنى جيل الصحابة.

يرى بعض أهل العلم أن المراد بالجماعة الصحابة ﷺ في عصرهم، فإنهم أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم لا يجتمعون على ضلالة أصلا.

وهذا القول نسبه الشاطبي لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى[١]، وهو قول البربهاري وغيره[٢].

ولعل هؤلاء استندوا إلى الأحاديث الواردة في الباب مما يحث على التمسك بمنهج الصحابة كما في الحديث : (**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا**

---

(١) انظر: الاعتصام (٢/ ٢٦٣).

(٢) انظر: شرح السنة (ص٢٢).

واحدة، قيل: من هي يا رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)[١].

وفي رواية : (هي الجماعة)[٢].

فالصحابة هم الجماعة في عهد رسول الله ﷺوالخلفاء الراشدين فإن نصوص الجماعة الواردة في السنة إنما تنصرف أولا إليهم، لسبقهم في الزمن والفضل.

المطلب الثاني: الجماعة بمعنى أهل العلم وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدين.

المقصود بالجماعة هنا الأئمة العلماء المجتهدين، من الأعلام المتبعين للكتاب والسنة والمقتفين لأثر النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، ومن اتبعهم على ذلك ممن جاء بعدهم.

وهذا القول نسبه الشاطبي لابن المبارك[٣] وإسحاق بن راهويه[٤] وجماعة من السلف غيرهم[٥]. وحكاه ابن بطة عن عمرو بن قيس[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ٤)، رقم: ٤٥٦٩، والترمذي (٥/ ٢٥)، رقم: ٢٦٤٠، ٢٦٤١، وابن ماجه (٢/ ١٣٢١)، رقم: ٣٩٩١، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٢، ٣/ ١٢٠)، والدارمي في سننه في كتاب السير باب افتراق الأمم (٢/ ١٨٥)، رقم: ٢٥٢١، وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم: ٢٠٣، ٢٠٤، ٣/ ٤٨٠).

(٢) سيأتي الكلام عليها.

(٣) هو الإمام عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي الإمام الحافظ، شيخ الإسلام عالم زمانه ، جامع الفقه والحديث واللغة، وكان شجاعا سخيا ، توفي سنة ١٨٠ هـ. انظر: طبقات خليفة (ص٣٢٣)، تاريخ بغداد للخطيب (١٠/ ١٥٢)، حلية الأولياء (٨/ ١٦٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٤)، سير أعلام النبلاء (٨/٣٧٨).

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، أبو يعقوب المروزي، أحد الأئمة الأعلام، نزيل نيسابور، وعالمها مات سنة ٢٣٨ هـ، انظر:تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٢)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨)، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٨٣).

(٥) انظر: الاعتصام (٢/ ٢٦١).

(٦) انظر: الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٨٢).

وهذا قول الإمام البخاري حيث قال: "باب (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم"[(١)].

وهو ما رجحه الترمذي، حيث قال: "وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث"[(٢)].

ولهذا فإنه لما سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله عن الجماعة قال: أبو بكر وعمر، فقيل له: قد مات أبو بكر وعمر. قال: ففلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان، قال ابن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة.

قال أبو عيسى: وأبو حمزة[(٣)] هو محمد بن ميمون وكان شيخا صالحا، وإنما قال هذا في حياته عندنا[(٤)].

المطلب الثالث: الجماعة بمعنى الاجتماع على الحق وعدم الفرقة.

تطلق الجماعة على الاجتماع على الحق وعدم الفرقة، وهي بهذا المفهوم تعني الاعتصام بالحق والجماعة التي تكون على الحق، ونبذ الفرقة .

وقد أشار إلى هذا القول البربهاري[(٥)]. إلا أن الشاطبي أشار إلى أن هذا القول يرجع إلى بعض الأقوال السابقة حيث قال: "وكأن هذا القول يرجع إلى الثاني ـ أي المطلب الثاني هنا ـ وهو يقتضي أيضا ما يقتضيه ، أو يرجع إلى القول الأول ـ وهم

---

(١) صحيح البخاري ـ مع فتح الباري ـ (١٣/ ٣٢٨).
(٢) جامع الترمذي (٤/ ٤٦٧)، وانظر: عون المعبود (١٢/ ٣٤٢).
(٣) هو محمد بن ميمون المروزي ، أبو حمزة السكري ، عالم مرو الحافظ الإمام الحجة، وكان رحمه الله مستجاب الدعوة، توفي رحمه الله سنة ١٦٧ هـ، انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٢٦٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٣٠)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨٥).
(٤) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٧)، وانظر: شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٦).
(٥) انظر: شرح السنة (ص٢٢).

السواد الأعظم من المسلمين ـ وهو الأظهر[١].

ومن هذا الباب قول ابن مسعود ﷺ : (الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك)[٢].

ولهذا قال أبو شامة[٣] مؤكدا هذا المعنى: "حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلا ، والمخالف له كثيرا ، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه، ولا نظرة إلى كثرة أهل الباطل بعدهم[٤].

المطلب الرابع: الجماعة بمعنى السواد الأعظم.

المقصود بالجماعة على هذا القول السواد الأعظم من أهل الإسلام[٥] ، وقد عزا الشاطبي[٦] هذا لابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري، وغيرهما[٧].

---

(١) الاعتصام (٢/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٠٩)، وانظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (ص٢٢)، إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٧٠).

(٣) هو عبد الرحمن بن إسماعيل شهاب الدين أبو محمد، الشافعي، المعروف بأبي شامة المقدسي، من الفقهاء الأعلام ، صاحب التصانيف العديدة الجودة، كإبراز المعاني والروضتين في أخبار الدولتين، وغيرهما، مات سنة ٦٦٥هـ.انظر: الذيل على الروضتين لأبي شامة (٣٩)، تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٦٦٥ هـ)، (ص ١٩٤).

(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٢).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٤١٩)، الفقيه والمتفقه للخطيب (١/ ١٦١)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣١٦، ١٣/ ٣٥، ١٢/ ٢٠١).

(٦) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ، أبو إسحاق الشاطبي، العلامة المحقق، اشتهر بكتابه الاعتصام والموافقات وغيرهما ، مات سنة ٧٩٠ هـ. انظر: أعلام الفكر الإسلامي لابن عاشور (ص ٧٧).

(٧) انظر: الاعتصام (٢/ ٢٦١).

ثم قال: « فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدوا الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم ؛ لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذّوا وهم نهبة الشيطان....»[١].

المطلب الخامس: الجماعة بمعنى أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء والقضاة والأعيان أو بعضهم.

وهذا ما اختاره الطبري[٢] رحمه الله ، وأن الجماعة هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم[٣].

وهذا قول ابن العربي[٤] أيضا[٥]، وإلى هذا يشير ابن بطال[٦]: «والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر» [٧].

---

(١) الاعتصام (٢/ ٢٦١).

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، الإمام العالم الفقيه المحدث المؤرخ المفسر، صاحب التصانيف المشهورة، توفي ببغداد عام ٣١٠ هـ، انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٤٧)، الاعتصام (٢/ ٢٦٤).

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي، أبو محمد، الأندلسي، الإشبيلي، إمام المالكية في عصره بالأندلس، مات سنة ٥٤٣هـ، انظر: معجم المؤلفين (١٠/ ٢٤٢).

(٥) انظر: عارضة الأحوذي (٩/ ١٠)، وانظر: معالم السنن (٤/ ٣١١).

(٦) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن، من أهل العلم بالحديث بقرطبة، له شرح على صحيح البخاري، مات سنة ٤٤٩هـ، انظر: شذرات الذهب (٣/ ٢٨٣)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٥).

(٧) انظر: فتح الباري (١٣/ ٣١٦).
وهو اختيار المباركفوري أيضا. انظر: تحفة الأحوذي (٦/ ٣٨٤).

ولهذا قال الشاطبي ما حاصله محاولا التوفيق بين هذا المعنى والمعاني السابقة: «وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم»[1].

المطلب السادس: معنى الجماعة.

من خلال ما سبق من هذه المعاني فإنها لا اختلاف بينها ولله الحمد، أن الجماعة هي وصف لأهل السنة بجميع الاعتبارات، ولهذا قال الشاطبي: « فهذه خمسة اقوال دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع، وأنهم المرادون بالأحاديث»[2].

فالجماعة وإن فسرت بالصحابة، فإن ذلك لأنهم كانوا على الحق وهم أهله، وكانوا السواد الأعظم في وقتهم، ثم من تبعهم على ذلك من أهل العلم والاجتهاد المجتمعين على الحق ـ وذلك من كان على وصفهم من اتباع الحق وأهله ـ ، وأن عوام المسلمين تبع لهم، لرجوعهم إليهم في أمور دينهم.

فهؤلاء كلهم هم الجماعة فإن كان لهم إمام مسلم وجب عليهم طاعته في غير معصية الله ، والاجتماع حوله، كما يفهم ذلك من قول الطبري وغيره.

ويمكن أن يختصر هذا فيقال: الجماعة هم الصحابة والتابعون لهم ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة، ومن تبعهم في ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن كان لهم إمام مسلم فواجب

---

(١) الاعتصام (٢/ ٢٦٥).

(٢) الاعتصام (٢/ ٢٦٥).

عليهم طاعته ، والاجتماع حوله، وإلا فليكن المسلم مع الحق أينما كان وأينما وجد[(١)(٢)].

---

(١) كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان ﷺ والذي فيه: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم). أخرجه البخاري (١٣/ ٣٥، رقم: ٧٠٨٤).

(٢) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٣/ ٣٩٧)، الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٦٢ـ٢٦٥)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن المحمود (١/ ١٨)، وجوب لزوم الجماعة لجمال بادي (ص٩٦ فما بعدها)، معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد عبد الهادي (ص١٦٧)، وسطية أهل السنة للشيخ محمد باكريم (ص٨٧ـ٨٩).

الفَصلُ الرَّابِع

تَعرِيفُ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَة ومَفهُومُهَا

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبحَثُ الأَولُ : الأَصْلُ فِي التَّسَمِّي بأهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَة

المَبحَثُ الثَّانِي: تَعرِيفُ أهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَة.

المَبحَثُ الثَالثُ : مَفهُومُ أهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَة.

المبحث الأول

الأصل في التسمي بأهل السنة والجماعة

إن الأصل الذي منه استمد السلف التسمية بأهل السنة والجماعة هو ما ورد في النصوص الشرعية من الأمر باتباع الكتاب والسنة، والتحاكم إليهما ولزوم الجماعة، وهي كثيرة جداً وسيأتي عرض بعضها.

المطلب الأول: الرجوع إلى الكتاب والسنة.

وذلك أن الكتاب والسنة هما المصدر الأساسي الذي يوزن به الأقوال والأعمال، فقد جاءت الأدلة الكثيرة على الأمر باتباعهما والعمل بهما والاعتصام بهما.

أولا: من القرآن الكريم. جاءت آيات كثيرة توجب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وترغب في ذلك، فمن ذلك:

قول الله جل وعلا: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾[3]. إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب.

ثانيا: من السنة النبوية. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: **(يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا**

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ٩٢.

كتاب الله وسنتي)[١].

وعن جابر بن عبد الله[٢] رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)[٣].

وعن العرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (...فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ)[٤].

وسيأتي مزيد تفصيل في الفصل الأول من الباب الثاني.

المطلب الثاني: الأمر بلزوم الجماعة والحث عليها.

إن المتأمل في نصوص الكتاب والسنة ليجد الاهتمام الواضح تجاه الجماعة، والأمر بلزومها وفضل ذلك، وما ذلك إلا لأهمية الجماعة، ونبذ الافتراق.

وذلك في نصوص كثيرة: منها قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، في كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، (رقم: ١٦١٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٤)، وغيرهم.

(٢) جابر بن عبد الله: هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي يكنى أبا عبد الله شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، كان من المكثرين الحفاظ للسنن، وكانت له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، مات بالمدينة سنة ٧٤هـ، وكان آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٢٠٧)، الاستيعاب (١/ ٢٢٢)، صفة الصفوة (١/ ٦٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١١)، رقم: ٨٦٧، وغيره.

(٤) تقدم تخريجه.

حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[١]. وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٢].

وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٣].

وقال ﷺ : **(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)**[٤]، وفي رواية : (هي الجماعة)[٥].

إلى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة وسيأتي ذلك مفصلا في بابه[٦].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآيات ١٠٥-١٠٧.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) جاءت هذه الرواية عن عدد من الصحابة منهم: أنس بن مالك، ومعاوية ، وعوف بن مالك.أما حديث أنس : فرواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٠، ١٤٥)، وابن ماجة في السنن كتاب الفتن، (٣٩٩٣)، وغيرهما، وأما حديث معاوية: فأخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود في سننه ، كتاب السنة، (رقم: ٤٥٩٧)، والدارمي في سننه (٢/ ١٨٥) رقم: ٢٥٢١، وابن أبي عاصم في السنة (رقم: ٦٥،٢،١)، وغيرهم، وأما حديث عوف بن مالك: فأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (رقم: ٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٢) رقم: ٦٣، وغيرهما. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم:٢٠٤، ١٤٩٢).

(٦) انظر: الباب الرابع، الفصل الثامن.

المبحث الثاني

تعريف أهل السنة والجماعة

إن معرفة حدود المصطلحات له أهمية كبرى للوصول إلى المدلول الحقيقي لأي مصطلح شرعي، ولهذا تجد أهل العلم يتفننون في ضبط حدود المصطلحات، فتراهم يتطرقون إلى ذلك من جهة التعريف اللقبي والتعريف الإضافي، ولعلي أسلك هذا المسلك في حد أهل السنة والجماعة، اقتفاء بأعلامنا السالفين الذين لهم قصب السبق في هذا الباب.

المطلب الأول: التعريف الإضافي لأهل السنة والجماعة.

أهل الشيء هم أخص الناس به، يقال: أهل الرجل : أخص الناس به وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام من يدين به، وأهل المذهب من يدين به[١].

فمعنى أهل السنة: هم أخص الناس بها وأكثرهم تمسكا بها واتباعا لها.

ومما يتضح للباحث من خلال الفصلين الماضيين أن معنى السنة كما تقدم ذكره من خلال الآثار السابقة عن السلف كانت تتناول جميع أمور الشرع من الاعتقاد والعبادة، ثم صار عند كثير من أهل العلم يطلق على ما سلم من الشبهات في الاعتقاد ، كما سبق عن ابن رجب والآلوسي، فهي إذا شاملة لأبواب الاعتقاد والعمل والسلوك.

وأما الجماعة فهم الصحابة والتابعون لهم ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة، ومن تبعهم في ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن كان لهم إمام مسلم فواجب عليهم طاعته ، والاجتماع حوله، وإلا فليكن المسلم مع الحق أينما كان وأينما وجد، كما تقدم.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ١٥٠)، لسان العرب (١١/ ٢٩).

فعلى هذا يكون تعريف أهل السنة والجماعة: هم المتمسكون بالمنهج النبوي من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، القائمين بالحق على منهج الكتاب والسنة في جميع أمور الدين من الاعتقاد والسلوك والعمل والقول وغيرها[١].

المطلب الثاني: التعريف اللقبي لأهل السنة والجماعة.

ليس هناك اختلاف كبير بين ما تقدم تقريره وبين ما عرفه به أهل العلم هنا، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في تعريف أهل السنة والجماعة ـ: "هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه السابقون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"[٢].

ويقول أيضا مركزا ـ رحمه الله ـ على جانب الاتباع : "فإنه ـ أي مذهب أهل السنة والجماعة ـ مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة"[٣].

وقال ابن حزم: "وأهل السنة .. أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة ، فإنهم الصحابة ومن سلك نهجهم من خيار التابعين ، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها"[٤].

وسيأتي مزيد تفصيل في المبحث الآتي إلا أنه يجدر بي أن أنبه هنا أنه قد ورد

---

(١) انظر: الدين الخالص (٣/ ٤٤)، مفهوم أهل السنة والجماعة د. العقل (ص٧٨)، شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح الفوزان (ص١٠)، فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص١٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٧٥).

(٣) منهاج السنة (٢/ ٤٨٢).

(٤) الفصل (٢/ ١٠٧).

استعمال لفظ أهل السنة منفردا ، ولفظ الجماعة[١] منفردا إلا أنه قليل ، اكتفاء بأحدهما للتعبير عن الآخر كما قال الإمام مالك لما سئل عن السنة: " هي ما لا اسم له غير السنة وتلا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ الآية[٢][٣].

بل الأشهر الجمع بين المصطلحين، وذلك لوجود التناسب بين مدلولي الكلمتين الجماعة والسنة، بل ما من جماعة التي هي على الحق إلا وتجدها على السنة، وكذلك من كان مهتديا بالسنة فإنه على الحق وهو من الجماعة، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى نحو هذا قائلا: «فإن السنة مقرونة بالجماعة كما أن البدعة مقرونة بالفرقة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة»[٤].

---

(١) سيأتي الكلام على هذا اللقب ص١٢٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٣) انظر: الاعتصام (١/ ٥٨)، مسألة التقريب د. ناصر القفاري (١/ ٣٤).

(٤) الاستقامة (١/ ٤٢).

المَبحَثُ الثَّالثُ

مَفهُـــومُ أهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَـــة

قد عرفنا أن مذهب أهل السنة والجماعة هو ما كان عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم من الأعلام وغيرهم المتمسكون بالسنة في الاعتقاد والعمل والسلوك، فهم لا ينتسبون إلا إلى السنة ، مجتمعين في الأخذ بها، والحث على العمل والتمسك بها، وفي هذا المبحث سيأتي الكلام على حقيقة مصطلح أهل السنة والجماعة بشيء من التفصيل ، ولذلك سأتعرض إلى نبذة عن تاريخ هذه التسمية، وسببها، وعلى من يصح إطلاقها.

المطلب الأول: نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة :

قد علم من العرض السابق أن مبدأ أهل السنة والجماعة هم الصحابة رضوان الله عليم، فهذا من حيث المعنى.

ويشهد لهذا صنيع الإمام اللالكائي رحمه الله حيث يفتتح كتابه الموسوم بـ"شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة" بذكر أئمة الدين الذين ترسموا بالإمامة بعد رسول الله ﷺ فيبدأ بذكر أبي بكر والخلفاء الثلاثة بعده، وبقية أئمة العلم والدين من الصحابة والتابعين إلى زمنه[(١)].

وأما إطلاق هذا اللقب فإنه لم يطلق إلا بعد ظهور الفتن، وكان قصدهم بذلك تمييز من كان على منهج الحق من غيرهم.

فليس القصد من هذا المطلب البحث فيه كما تبحث نشأة الفرق الضالة، وذلك

---

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٣١ فما بعدها).

لأن مذهب أهل السنة والجماعة هو مذهب الصحابة رضوان الله عليهم الذي تلقوه من النبي ﷺ .

بل الذي أريد الكلام عليه هنا هو عن بداية التسمي بهذا المصطلح لا نشأة المُسَمَّى، ولا شك في أصالة التسمية إذ إنها مستمدة من النصوص الشرعية كما تقدم ذلك[١].

وإنما وقع التنبيه عليه هنا لئلا يخلط بين ما يتطرق إليه السلف من الكلام على بداية التسمي بهذا المصطلح، وبين من يدعي كون أهل السنة والجماعة فرقة من الفرق التي حدثت عبر حقب التاريخ الإسلامي وعصوره[٢].

وعودا إلى بدء فإن لقب أهل السنة والجماعة إنما ظهر في أواخر أيام الصحابة[٣]، فقد قال ابن سيرين[٤]: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم» [٥].

---

(١) انظر: ص ٤٩.

(٢) انظر: المؤامرة على الإسلام لأنور جندي (ص٢٦٦)، مسألة التقريب (١/ ٤٣).

(٣) ورد عن ابن عباس أثر في تفسير قوله تعالى : ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾، قال: (فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم...)، أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (رقم: ٧٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٣)، إلى غيره، وفي سنده مجاشع بن عمرو منكر مجهول، وقال البخاري في شيخه ميسرة بن عبد ربه: رمي بالكذب . انظر ميزان الاعتدال (٤/ ٤٢٣)، فالأثر على هذا لا يصح.

(٤) هو محمد بن سيرين ، أبو بكر، الإمام المشهور ، من كبار التابعين، أدرك نحو ثلاثين صحابيا، ولد في أواخر خلافة عمر ﷺ وتوفي سنة ١١٠ هـ. انظر: الجرح والتعديل (٧/ ٢٨٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٦٠٦).

(٥) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٥).

ثم تتابع السلف في استعمال هذا اللقب ، ومن ذلك قول أيوب السختياني[(١)]: "إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي"[(٢)]، وقال سفيان الثوري[(٣)]: "ما أقل أهل السنة والجماعة"[(٤)]، وقال الطحاوي في مقدمة عقيدته المشهورة: "هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة..."[(٥)].

ومما سبق يتبين أن لقب أهل السنة والجماعة له أصل شرعي من حيث التسمية، وكذلك من حيث الاستعمال، وأنه قديم، وهذا يدفع ما يظنه بعضهم من أن ذلك إنما عرف في أيام أئمة المذاهب الأربعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق أبا حنيفة ومالك والشافعي[(٦)] وأحمد ـ رضي الله عنهم ـ فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة...، وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة .. فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولا، بل إن السنة كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها"[(٧)].

---

(١) هو أيوب بن أبي تميمة ، أبو بكر السختياني، الإمام العلم المشهور ، مات سنة ١٣١هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ١٣٠) ، تقريب التهذيب (رقم : ٦١٠).

(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٠-٦١).

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة فقيه عابد، إمام حجة، مات سنة ١٦١ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٣)، تقريب التهذيب (رقم: ٢٤٥٨).

(٤) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٤).

(٥) عقيدة أهل السنة والجماعة ـ بتعليق الشيخ ابن مانع ـ (ص٥).

(٦) هو محمد بن إدريس القرشي ثم المطلبي، أحد الأئمة الأربعة المجمع على ثقتهم وإمامتهم وعدالتهم ، مات سنة ٢٠٤ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٥٦)، الانتقاء لابن عبد البر (ص٦٦).

(٧) منهاج السنة (٢/ ٤٨٢).

المطلب الثاني: سبب التسمية بأهل السنة والجماعة :

أما عن سبب التسمية بهذا اللقب فإنه قد بينه شيخ الإسلام ابن تيمية، وأوضح أن ذلك راجع لاتباعهم آثار رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا، واتباع سبيل الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان ـ قال" :وسموا أهل الجماعة ؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين ؛ والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في الدين والعلم.

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة ـ أي الكتاب والسنة والإجماع ـ جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين"[١] .

المطلب الثالث: معنى مصطلح أهل السنة والجماعة.

إن لقب أهل السنة والجماعة قد تناقله الناس ، عبر العصور، وكان في العصور المفضلة ومن مشى على ذلك يستخدم في ما يقابل البدعة وأهلها. إلا أنه صار يطلق إطلاقان بعد ذلك:

١ـ إطلاق عام.

٢ـ وإطلاق خاص.

أولا: الإطلاق العام للقب أهل السنة والجماعة. وهذا المعنى يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام عدا الرافضة، فيقال: هذا رافضي وهذا سني، وذلك لأن الرافضة هم المشهورون عندهم بمخالفة السنة فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي ، فإذا قال أحدهم أنا سني فإنما معناه لست رافضيا[٢] .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٧).
(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٥٦).

ثانيا: الإطلاق الخاص للقب أهل السنة والجماعة. هذا المعنى أخص من السابق والمراد به أهل السنة المحضة الخالصة من البدع، ويخرج بذلك سائر أهل الأهواء والبدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الثلاثة، فيدخل في ذلك ـ أي في أهل السنة ـ جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة"(١).

ويزيد هذا توضيحاً الإمام السجزي(٢) حيث يقول: "أهل السنة هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن رسول الله ﷺ؛ لأنهم رضي الله عنهم أئمة، وقد امرنا باقتفاء آثارهم، واتباع سنتهم، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى إقامة برهان"(٣).

المطلب الرابع: الانتساب عند أهل السنة والجماعة.

هذه المسألة من المسائل المهمة التي تتعلق بهذا الباب، وذلك أن هذه الألقاب والنسبة إليه، ما ظهرت إلا بعد ظهور الفرق والبدع، وسأتعرض في الكلام عليها إلى أمرين:

---

(١) منهاج السنة (٢/ ١٦٣)، وانظر: (٢/ ٢٢١).

(٢) هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي، السجزي، الإمام الكبير، صاحب سنة، من مصنفاته: الإبانة الكبرى في مسألة القرآن، توفي سنة ٤٤٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤).

(٣) الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص٩٩).

١ـ انتساب أهل السنة والجماعة.

٢ـ الانتساب إلى أهل السنة والجماعة.

أولا: انتساب أهل السنة والجماعة. كان المسلمون عند وفاة النبي ﷺ على منهاج واحد في الدين، غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا، فما كان ثمة إلا كافر أو مسلم أو منافق.

وبوفاة النبي ﷺ وقع الخلاف فيمن ينصب إماماً للمسلمين ، إلا أن الصحابة اتفقوا على تنصيب أبي بكر خليفة بعد رسول الله ﷺ.

ثم تسلم الخلافة عمر ﷺ وفي زمنه ظهرت فتوحات الإسلام واتسعت رقعة الإسلام، وما زال الأمر كذلك حتى انكسر الباب وبزغت الفتن بمقتل أمير المؤمنين عمر، على يد مجوسي فاجر لا رحم الله فيه مغرز إبرة.

ثم لطف الله بالمسلمين فتمت بيعة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فسار بالناس على سيرة صاحبيه أبي بكر وعمر ﷺ، لكن عبث المجوسي اليهودي كدر صفو الحياة، وتفتحت أبواب الهرج، ونشطت الدعوات الهدامة، وكان على رأس الفتنة عبد الله بن سبأ الخبيث الطاغية، الذي تلبس باسم الدين، وأشعل نار الهمج، بالنفخ في الآذان وتكثير سوادهم، حتى وقع المصيبة بمقتل عثمان رضي الله عنه، وتولى الخلافة بعده علي بن أبي طالب ﷺ .

وهكذا استمرت الأمة في صراع بعده دار فيه الحروب في صفين والجمل، حتى قتل علي ﷺ مظلوما في رأس عام ٤٠ هـ، ثم تمت البيعة لمعاوية بعد تنازل الحسن ابن علي ﷺ حقنا لدماء المسلمين ومراعاة شمل الأمة[1].

---

(١) انظر لمزيد من التوسع لقضية انشقاق الفرق الضالة عن أهل السنة والجماعة: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٦ـ٢٣٧)، الصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ١٤٧ـ١٥١)، تهذيب السنن (٧/ ٦١ـ٦٢)، الاعتصام (١/ ١٧ـ١٨)، حكم الانتماء للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد (ص ١٧ـ٢٨).

قال الشاطبي في وصف هذا الواقع التاريخي: (ثم استمر تزايد الإسلام، واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ ومن بعد موته ، وأكثر قرن الصحابة ﷺ إلى أن نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة ، وأصغوا إلى البدع المضلة، كبدعة القدر وبدعة الخوارج ... ثم لم تزل الفرق تتكاثر حسبما وعد به الصادقﷺ في قوله: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[١]، .... فتكالبت على سواد السنة البدع والأهواء ... ولينجزن الله ما وعد نبيه ﷺ من عود وصف الغربة إليه.

ثم قال: لا بد أن تثبت جماعة أهل السنة حتى يأتي أمر الله غير أنها لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء استدعاء إلى موافقتهم لا يزالون في جهاد ونزاع ، ومدافعة وقراع، آناء الليل والنهار، وبذلك يضاعف لهم الأجر الجزيل ويثيبهم الثواب العظيم[٢].

فما زال أهل السنة والجماعة الذين درجوا على منهاج النبوة يدافعون عن الحق ويدعون إليه عبر الأزمنة والعصور، وفي جميع الأمصار، ولم ينفصلوا عنها ولا لحضة زمنية واحدة لا باسم ولا برسم، فليس لهم شخص ينتمون إليه سوى النبي ﷺ ومن قفى أثره ، وليس لهم رسم ومنهاج سوى منهاج الكتاب والسنة[٣] ، وليس لهم جماعة من المسلمين بل جماعتهم هي الجماعة وهي الطائفة المنصورة وهي الفرقة الناجية وهم أصل الجماعة، إذ الأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميزه، إنما الذي يحتاج إلى اسم معين هو الخارج عن الأصل، من تلكم الفرق الضالة التي انشقت عن جماعة المسلمين.

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) الاعتصام (١/ ١٧ـ١٨).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٧٤).

فهم بحق يمثلون الامتداد الطبعي للإسلام في مجموعه وصفائه، وللمسلمين في اجتماعهم وائتلافهم[١].

فلم يكن لأهل السنة والجماعة قبل ظهور البدع لقب منسوب إلا إلى الإسلام وما كان في معناه، قال الله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ الآية[٢].

قال ابن القيم في تفسير هذه الآية : «فأخبر تعالى أنه اجتباهم فهم المجتبون الذين اجتباهم الله إليه، وجعلهم أهله وخاصته، وصفوته من خلقه بعد النبيين والمرسلين، ولهذا أمرهم تعالى أن يجاهدوا فيه حق جهاده ، فيبذلوا له أنفسهم، ويفردوه بالمحبة والعبودية، ويختاروه وحده إلها معبودا محبوبا على كل ما سواه، كما اختارهم على من سواهم، فيتخذونه وحده إلاههم ومعبودهم الذي يتقربون إليه بألسنتهم وجوارحهم، وقلوبهم ومحبتهم وإرادتهم، فيؤثرونه في كل حال على من سواه، ... ثم أخبر تعالى أنه نوه بهم وسماهم كذلك بعد أن أوجدهم اعتناء بهم ورأفة لشأنهم وإعلاء لقدره» [٣].

وكون أهل السنة والجماعة هم الأصل في الاجتماع هو الذي بينه أهل العلم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وطريقتهم ـ أي أهل السنة ـ هي دين الإسلام، لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة

(١) انظر: نظام الخلافة في الفكر الإسلامي لمصطفى حلمي (ص٢٩٢)، حكم الانتماء (٢٨ـ٢٩).

(٢) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ١٦٧ـ١٦٨)، وانظر: بدائع التفسير (٣/ ٢٢٣).

وهي الجماعة صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة[١].

ولهذا ورد عن جمع من السلف أن أهل السنة هم الذين ليس لهم نسب إلا السنة، وأنهم ليسوا برافضة ولا جهمية ولا قدرية ولا غيرهم من الفرق الضالة، ولا يتعصبون للأهواء .

قال الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن السنة : " هي ما لا اسم له غير السنة وتلا:﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ الآية[٢][٣].

وقال أيضا : «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي» [٤].

وقال أبو بكر بن عياش لما سئل: من السني؟ قال: «الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها» [٥].

فالحاصل من هذا أن أهل السنة والجماعة كانت نسبتهم إلى الإسلام وما في معناه في صدر الإسلام ثم لما ظهرت الفتن والبدع ، أظهروا الألقاب الشرعية التي تميزهم عن الفرق الضالة ليتبين الحق من الباطل، ومن الألقاب المستمدة من نصوص الكتاب والسنة: "أهل السنة والجماعة"، كما سبق بيانه، وسيأتي ذكر بقية

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٩).
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.
(٣) تقدم قريبا ص ٩٥.
(٤) انظر: الانتقاء لابن عبد البر (ص٣٥).
(٥) تقدم الكلام على ذلك ولمزيد انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٧٢).

الألقاب الشرعية والتي تناقلها العلماء جيلا بعد جيل مقرين لها[١].

ثانيا: الانتساب إلى أهل السنة والجماعة. إن مدلول مصطلح أهل السنة والجماعة يجعل المؤمن ينتسب إليهم لصحة ما يدعون إليه ولأصالته، ولا يمنع من الانتساب إليها أو إلى أحد الألقاب التي أقرها أهل العلم للجماعة المتمسكة بالكتاب والسنة، كون النصوص قد دلت على تسميتها بالمسلمين وما كان في معناها، وذلك أن هذا كان قبل الاختلاف من جهة.

ثم لما ظهرت الفتن أظهر السلف الصالح تلك الألقاب المنصوص عليها، تمييزا للحق عن الباطل، كما مر في أثر ابن سيرين وغيره[٢].

المطلب الخامس: نبذة عن عناية أهل السنة والجماعة بالاعتقاد.

إن أهم ما يتميز به منهج أهل السنة والجماعة عن سائر الفرق الباطلة هو سلامة مصدر التلقي عندهم، حيث إنهم لا يعتمدون إلا على الكتاب والسنة والإجماع المنعقد كما سبق ، ولا يصدرون إلا منها، وذلك لانتسابهم وانتمائهم للكتاب والسنة ، ومتبوعهم هو محمد ﷺ، وأما الرجال فهم عندهم أدلاء على الحق، فما وافق من كلامهم الحق أخذوا به وما لا فلا[٣].

ولقد ظهرت عناية السلف الصالح بالاعتقاد ، واهتمام بالغ بتصحيحه على وفق ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، فألفوا الكتب الكثيرة في بيانها وإيضاحها من جهة، وفي الرد على المخالفين لهم من جهة أخرى.

وقد واكب التأليف في العقيدة تدوين السنة، ولنذكر في هذه العجالة بعض من

---

(١) انظر: ص ١٢٢.
(٢) انظر: حكم الانتماء (ص٣١-٣٢).
(٣) انظر: الاعتصام (٢/ ٣٥٥-٣٦٢)، وسيأتي مزيد تفصيل في الباب الآتي.

ألف في هذا الباب ليكون علما على الباقي.

١ـ الإمام مالك بن أنس ، وقد جعل بابا كبيرا في القدر في كتابه الموطأ.

٢ـ الإمام أحمد بن حنبل، وله كتب عدة في الاعتقاد ، منها:

السنة، والإيمان، والرد على الزنادقة والجهمية، وفضائل الصحابة.

٣ـ الإمام البخاري، حيث أفرد في صحيحه أبوابا كثيرة في الإيمان والتوحيد والاتباع، وألف خلق أفعال العباد.

٤ـ الإمام مسلم ، فقد خصص أيضا أبوابا كثيرة في الإيمان والقدر وغيرهما.

٥ـ الترمذي ، وذلك بتبويبه على مسائل الاعتقاد في جامعه.

٦ـ أبو داود السجستاني، ومن ذلك تخصيصه لكتاب السنة من سننه، وهذا ما فعله ابن ماجه.

٧ـ ابن قتيبة[١]، وله الاختلاف في اللفظ، وتأويل مختلف الحديث، وغيرها.

٨ـ عثمان بن سعيد الدارمي[٢]، ومن مصنفاته الماتعة الرد على الجهمية، والرد على بشر المريسي[٣].

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الإمام العلامة، خطيب أهل السنة، من أئمة الأدب واللغة والنحو والشرع، مات سنة ٢٧٦ هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٢) .

(٢) هو عثمان بن سعيد بن خالد ، أبو سعيد الدارمي، السجستاني، الإمام الحافظ العلم المشهور ، من مصنفاته الرد على الجهمية وغيرها ، مات سنة ٢٨٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢١).

(٣) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي ، المعتزلي، المبتدع، الضال، مات سنة ٢١٨ هـ. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٣٢٢)، وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٢٧٧).

٩ـ ابن خزيمة[١]، وله كتاب التوحيد.

١٠ـ الطحاوي[٢]، وله العقيدة الطحاوية.

١١ـ الآجري، وله كتاب الشريعة، وتصديق بالنظر إلى الله تعالى.

١٢ـ ابن بطة، وله الإبانة الكبرى والصغرى.

١٣ـ ابن منده[٣]، وله كتاب الإيمان، والتوحيد، والرد على الجهمية.

١٤ـ الإمام أبو القاسم اللالكائي ، وله كتاب شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة.

فلم يخل عصر من الأعصار إلا والسلف ألفوا في الذب عن عقيدة الأمة الصحيحة، ودافعوا عنها إلى عصرنا الحاضر.

ومن خلال عرض سريع لما حواه اعتقاد الإمام أحمد رحمه الله يدرك القارئ أهمية المسائل التي تطرق إليها أهل السنة والجماعة في مجمل الاعتقاد والتي تمثل أصول العقائد عندهم .

وليس هذا خاصا بالإمام أحمد فحسب بل هذا ما تناقله السلف الصالح في جمل

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر النيسابوري، الحافظ الحجة، إمام الأئمة، الفقيه الشافعي، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٠)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٠٩).

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامة ، أبو جعفر الطحاوي، الحنفي، الإمام العلامة الحافظ، صاحب التصانيف البديعة، مات سنة ٣٢١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٠٨).

(٣) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، الحافظ المحدث، صاحب التصانيف المشهورة كالإيمان، والرد على الجهمية وغيرهما ، توفي سنة ٣٩٥ هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢/ ١٦٧)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨ـ٤٣).

اعتقاد أهل السنة والتمسك بها والوصية بحفظها قرنا بعد قرن[١].

ومما جاء في معتقد الإمام أحمد رحمه الله: أصول السنة عندنا:

١ـ التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم.

٢ـ وترك البدع، وكل بدعة ضلالة ، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

٣ـ والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ .

٤ـ والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن.

٥ـ وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول، ولا الأهواء، إنما هي الاتباع وترك الهوى.

ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها:

١ـ الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها لا يقال لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها.

ثم ذكر أصول الاعتقاد التي يجب على المؤمن أن يعتقدها[٢].

وبنحوه عن الإمام ابن المديني[٣] وسفيان بن عيينة، والأوزاعي، وأبي

---

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٠).

(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٥ فما بعدها).

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم، أبو الحسن ابن المديني البصري، الثقة الإمام الثبت، أعلم أهل عصره بالحديث والعلل ، مات سنة ٢٣٤ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٨)، تقريب التهذيب (رقم: ٤٧٩٤).

زرعة[١] وأبي حاتم[٢] وغيرهم[٣].

وعن البخاري بنحوه، وقال فيه: لقيت فيه أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز[٤] ومكة والمدينة والكوفة[٥] والبصرة[٦] وواسط[٧]

(١) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولاهم ، الرازي ، المشهور بأبي زرعة، الإمام ، حافظ عصره، من أفراد الدهر حفظا وذكاء ودينا وإخلاصا وعلما وعملا، مات سنة ٢٦٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥٧).

(٢) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي ، أبو حاتم الرازي، أحد الأعلام، من الحفاظ الكبار، مات سنة ٢٧٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٦٧).

(٣) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٥ـ٢٠٤).

(٤) **الحجاز:** جبل ممتد حال بين تهامة ونجد، فكأنه منع كل منهما أن يختلط بالآخر، فهو حاجز بينهما، وجزيرة العرب تنقسم إلى: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، وبلاد الحجاز: الجبل نفسه وسراته، وما احتجز به في شرقيه من الجبال وما حوله. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢١٨ـ٢١٩)، مراصد الاطلاع (١/ ٣٨٠).

(٥) الكوفة: من مدن العراق المشهورة، بنيت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع عشرة، انظر: فتوح البلدان للبلاذري (ص٣٨٧)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/ ٣٧).

(٦) البصرة : مدينة مشهورة أيضا من مدن العراق بنيت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة أربع عشرة، بناها عتبة بن غزوان. انظر: فتوح البلدان للبلاذري (ص ٤٨٣)، تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٢٥).

(٧) واسط: مدينة كبيرة أنشأها الحجاج بن يوسف عام (٨٥ هـ). وهي واقعة بين البصرة والكوفة، وقد كانت من الحواضر العلمية في القرن الثالث الهجري فما بعد، ولما لها من الأهمية فقد كتب فيها المؤرخون والعلماء مصنفات عدة، منها تاريخ واسط لأسلم بن سهل الواسطي المعروف ببحشل المتوفى سنة ٢٩٢ هـ، وتاريخ واسط للدبيثي (ت٦٣٧ هـ)، وغيرهما. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٣/ ٢٥٧)، البداية والنهاية (٩/ ٥١)، معجم ما استعجم للبكري (ص١٣٦٣) ـ طبعة القاهرة ـ.

وبغداد[١] والشام[٢] ومصر[٣]: لقيتهم كرات قرنا بعد قرن، ثم قرنا بعد قرن أدركتهم وهم متوافرون. ثم سمى جماعة من الحفاظ والعلماء .

ثم قال: فما رأيت واحدا منهم يختلف في ذه الأشياء، وسمى أصولا كثيرة[٤].

واتفاقهم في أصول الاعتقاد دليل على صحة مذهبهم وأنه هو الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام ، وهذا ما يقرره الإمام قوام السنة الأصبهاني في كتابه الحجة حيث قال: "ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد ، وهل على الحق دليل ابين من هذا[٥].

---

(١) **بغداد**: من أشهر بلاد الإسلام ، بنيت في آخر أيام التابعين على يد أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨ هـ)، وقد اشتهرت بالعلم والحديث وغيرهما من العلوم. انظر: مقدمة تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، الإعلان بالتوبيخ للسخاوي (ص ٦٦٣).

(٢) **الشام**: يقال إنها سميت بذلك نسبة إلى سام بن نوح لأنه أول من نزلها فجعلت السين شينا، وحدودها قديما من الفرات إلى العريص المتاخم للديار المصرية، ومن جبلي طيء إلى بحر الروم، وتمثل الآن سوريا والأردن وفلسطين، ولبنان، وغيرها. انظر: معجم البلدان (٣/ ٣١١ـ٣١٥)، مراصد الاطلاع (٢/ ٧٧٥ـ٧٧٦).

(٣) **مصر**: من الأمصار المعروفة من قديم، حدها من برقة إلى أيلة، افتتحها عمرو بن العاص في زمن عمر ﷺ وسكنها خلق من الصحابة ، وكثر العلم بها في زمن التابعين، ثم ازداد بعد ذلك في عهد تابع التابعين. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ١٣٧)، الأمصار ذوات الآثار للذهبي (ص١٦٧).

(٤) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٣ـ١٩٧).

(٥) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٢٤ـ٢٢٥).

الفَصْلُ الخَامِسُ

أَلْقَابُ أَهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَة

تمهيد:

أهل السنة والجماعة في كل عصر ومصر يفارقون أهل البدع والفرقـة، ويتميـزون عنهم، وذلك أنهم ليس لهم اسم يعرفون به ولا لقب أو رمز يميزهم عن غيرهـم إلا الإسلام أو ما دل عليه.

بل لا ينتمون لشخص أي انتماء مهما بلغ مـن الرتبـة، يجعلونـه قـدوتهم في كـل شيء إلا رسول الله ﷺ .

فإلى جانب الآثار التي تقدم ذكر بعض منها، فإن الأئمة الأعلام قد حرصوا علـى هذا، ومن ذلك:

ـ ما جرى لابن عباس رضي الله عنهما حيث قال : (قال لـي معاويـة رضـي الله عنه : أنت على ملة علي ﷺ ؟ قلت: لا ، ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسـول الله ﷺ)[١].

ـ وقال مالك بن مغول[٢]: إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة فألحقه بأي دين شئت[٣].

والمقصود به التسمي بغير الأسماء الواردة في الكتـاب والسـنة، أو مـا يشـهد لهـا وأخذ به علماء الأمة.

---

(١) انظر: الإبانة لابن بطة (١/ ٣٥٥)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي (١/ ٩٤).

(٢) هو مالك بن مِغوَل الكوفي، أبو عبد الله ، ثقة ثبت، مات سنة تسع وخمسين ومائة على الصحيح. انظر: تقريب التهذيب (ص٥١٨).

(٣) انظر: الإبانة الصغرى لابن بطة (ص١٣٧).

إلى غير ذلك من الآثار وما زال علماء السنة أهل العلم والهدى يحذون حذو سلفهم الصالح في اتباع هذا النهج القويم في الانتساب إلى الأسماء الواردة في الشرع سواء بالتنصيص أو بالاعتبار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك التفريق بين الأمة بما لم يأمر الله به ولا رسوله: مثل أن يقال للرجل : أنت شكيلي أو قرفندي.

فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ، ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأمة لا شكيلي ولا قرفندي.

والواجب على المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شكيلي، ولا قرفندي، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ... والله تعالى قد سمانا في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله، فلا نعدل عن الأسماء التي سمانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم ـ وسموها هم وآباؤهم ـ ما أنزل الله بها من سلطان"[1].

ويقول ابن القيم واصفا أهل الحق ـ وهو يعدد علامات أهل العبودية ـ : "العلامة الثانية : قوله: "ولم ينسبوا إلى اسم" أي لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاما لأهل الطريق.

وأيضا فلم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال.

فإن هذا آفة العبودية، وهي عبودية مقيدة.

وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب ضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة ولا اسم ولا بزيّ ولا طريق وضعي اصطلاحي،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٤١٥).

بل إن سئل عن شيخه قال : الرسول .

وعن طريقه؟ قال: الاتباع" إلى آخر ما قاله رحمه الله تعالى[(١)].

وما اشتهر لأهل السنة من هذه الأسماء لا ينافي ما سبق تقريره من أنهم ليس لهم اسم أو لقب يعرفون به غير الإسلام أو ما يشهد لذلك في الشرع؛ لأن هذه الأسماء دالة على الإسلام.

ولما انتسب إلى الإسلام من لم يحققه قولا ولا عملا من أهل البدع ظهرت هذه الأسماء للتفريق بين الانتساب الشرعي الصحيح، وبين التمحل البدعي الباطل.

وهذا ما سأعرض له في هذا الفصل مما سيأتي من مطالب.

المطلب الأول: أهل الجماعة.

يعد هذا الاسم من الأسماء المشهورة التي عرف به أهل السنة، إلا أنه يغلب اقترانه بلفظ السنة، فيقال: أهل السنة والجماعة، ويقل استعماله منفردا[(٢)].

ولهذا قال شيخ الإسلام: "وأهل السنة هم أهل الجماعة فإن السنة مقرونة بالجماعة كما أن البدعة مقرونة بالفرقة، فيقال: اهل السنة والجماعة"[(٣)].

وهذا الاسم مأخوذ من قوله ﷺ ـ في وصف الفرقة الناجية ـ : (هي الجماعة)[(٤)].

وقد تقدم ذكر النصوص الواردة في الحث على الجماعة وذم الفرقة.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٧٤ـ١٧٦).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٥٠)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٧)، منهاج السنة (٣/ ٤٦٨، ٥/ ١٥٨)، وسطية أهل السنة (ص٩٢).

(٣) الاستقامة (١/ ٤٢).

(٤) سبق تخريجه.

المطلب الثاني: السلف.

أولاً: تعريف السلف في اللغة. جمع سالف، وهي دالة على السبق والتقدم.

قال ابن فارس: "السين واللام والفاء، أصل يدل على تقدم وسبقٍ، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون"[١].

وقال الفيروز آبادي[٢]: "والشيء (سلفاً) محركة : مضى ، وفلان سلفاً وسَلوفاً: تقدم.

وكل عمل صالح قدمته ، أو فرَط فرط لك، وكل من تقدم من آبائك وقرابتك"[٣].

فيتحصل مما ذكره أهل اللغة أن السلف يدور على معنيين:

الأول: كل شيء قدمه العبد من عمل صالح أو ولد صالح.

الثاني: الذي يتقدم الإنسان من آبائه وذوي قرابته الذين هم فوقه في السن[٤].

وهذا حاصل ما ذكره من ألف في غريب الحديث؛ ففي مشارق الأنوار[٥]: «والسلف: كل عمل صالح تقدم للعبد».

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٩٥).

(٢) هو محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي، أبو طاهر، من أئمة اللغة،، ومن مؤلفاته القاموس المحيط، توفي سنة ٨١٧ هـ. انظر: شذرات الذهب (٧/ ١٢٦)، معجم المؤلفين (١٢/ ١١٨).

(٣) القاموس المحيط (ص١٠٦٠).

(٤) انظر: لسان العرب (٩/ ١٥٩).

(٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (٢/ ٢١٩).

وقال ابن الأثير[١]: "وسلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته.

ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"[٢]، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٣][٤].

ومنه أيضا قوله ﷺ : **(ولا أراني إلا وقد حضر أجلي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك)**[٥].

ثانياً: مفهوم السلف في الاصطلاح. يتضح للباحث مما سبق أن لفظ السلف يدور حول معنى السبق والتقدم سواء بالعمل أو الزمن، وهذا المعنى حاصل في الجانب الاصطلاحي.

إلا أنك إذا نظرت إلى المدلول من الناحية الزمنية فإنك تجد اختلافا بيننا في تحديد مفهوم السلف زمنيا، وهذا ما سأتعرض له فيما يأتي.

أ - **تحديد مفهوم السلف زمنيا.** المقصود بهذا تلك المجموعات المتقدمة من الأمة الإسلامية التي عاشت في فترة تاريخية معينة ، وهي في القرون المفضلة.

وقد حصل الاختلاف في هذا المجال على سبيل الاختصار:

١ـ إن المراد بالسلف : هم الصحابة فقط، وهو وصف لازم لهم يختص بهم دون

---

(١) هو المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري، أبو السعادات، المحدث الفقيه، من مصنفاته النهاية في غريب الحديث، توفي سنة ٦٠٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٨)، شذرات الذهب (٥/ ٢٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٩٠).

(٣) سورة الزخرف، الآية ٥٦.

(٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٤/ ١٤٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، ٤/ ١٩٠٥، رقم: ٢٤٥٠.

غيرهم، وهذا عليه جمع من المالكية[١].

٢ـ وقيل: إن المراد بالسلف هم: الصحابة والتابعون.

وهو رأي أبي حامد الغزالي[٢] حيث يقول: "واعلم أن الحق الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني: مذهب الصحابة والتابعين"[٣].

٣ـ إن المراد بالسلف: الصحابة والتابعون، وتابعو التابعين، وهو قول جمهور أهل العلم[٤].

ويشهد لهذا قوله ﷺ: (**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**)[٥]، وهذا الذي صرح به أهل العلم كما سيأتي.

---

(١) انظر: حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني لعلي الصعيدي العدوي (١/ ١١٢)، مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص٣ـ٥)، تحرير المقالة في شرح الرسالة للقلشاني (ص٣٦)، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للمغراوي (١/ ١٨)، بصائر ذوي الشرف للهلالي (ص١٨ـ١٩).

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الغزالي، زين الدين الطوسي، الفقيه الشافعي، المتكلم الأصولي، الفيلسوف، صاحب الفنون المتنوعة والتصانيف الكثيرة، مات سنة ٥٠٥ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢١٦)، طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ١٠١).

(٣) إلجام العوام عن علم الكلام (ص٣) ـ ضمن مجموعة الرسائل للغزالي ـ، منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (١/ ٣٦).

(٤) انظر: درء التعارض (٧/ ١٣٤)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٢٠)، الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل للجليند (ص٥٢).

(٥) أخرجه البخاري (٧/ ٢)، رقم: ٣٦٥٠، ومسلم (٤/ ١٩٦٣) رقم: ٢٥٣٣.

وفيه أقوال أخرى تجدها مبثوثة في مصنفات أهل العلم(١).

ب - **المفهوم الصحيح للسلف.** مما سبق عرضه في تحديد مفهوم السلف زمنيا فإنه يظهر المعنى الأقوى بما استند عليه من النص النبوي الصحيح الذي يبين الأرجح من هذه الأقوال، وهو القول الثالث، وبه تجتمع الأقوال(٢).

وإلى هذا ذهب بعض أهل العلم، ويوافقه صنيع شيخ الإسلام حيث يقول: "سلف الأمة وخيار قرونها"(٣).

وقال الشوكاني(٤): "وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا نعرف أن مذهب السلف من الصحابة ﷺ والتابعين وتابعيهم وهو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها دون تحريف لها ولا تأويل"(٥).

ويلاحظ أن من أهل العلم من جعل الأمر أوسع من هذا فأدخل فيهم تابعي التابعين، كالإمام أحمد وغيرهم في مفهوم السلف.

ويشهد لهذا قوله ﷺ: **(خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم تسبق شهادتهم أيمانهم)** الحديث(٦).

---

(١) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة لتوحيد للبيجوري (ص٩١)، في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة لمحمود خفاجي (ص٢٠)، الإمام ابن تيمية وقضية التأويل (ص٥٢)، وسطية أهل السنة (ص٩٩).

(٢) انظر: في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة لمحمود خفاجي (ص٢١).

(٣) انظر: درء التعارض (٧/ ١٣٤).

(٤) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، أبو عبد الله، العالم ، الإمام، المحدث، الفقيه، الأصولي، من مصنفاته، فتح القدير، ونيل الأوطار، توفي سنة ١٢٥٥ هـ. انظر: معجم المؤلفين (١١/ ٥٣).

(٥) التحف في مذاهب السلف (ص٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧٧-٢٧٨)، من حديث النعمان بن بشير. =

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في معرض كلامه على نسبة قول للسلف ـ : "وكذلك قال ابن الماجشون[(١)]، وأحمد وغيرهما من السلف"[(٢)].

وممن رأيته يعتبر القرن الرابع أيضا من تابع التابعين الإمام ابن رجب رحمه الله حيث جعل السلف المقتدى بهم إلى عصر الإمام أحمد قال في بيان ذلك: "وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي ، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة..."[(٣)].

وعلى هذا فإن السلف يدور على مفهوم هو أوسع مما يظنه بعض الباحثين، بل يدخل فيه القرون المفضلة ممن يقتدى به في الدين، ثم من كان على طريقتهم من الأعلام، وفي هذا يقول الآجري رحمه الله: "علامة من أراد الله عز وجل به خيرا : سلوك هذا الطريق: كتاب الله عز وجل وسنن رسول الله ﷺ ، وسنن أصحابه ﷺ ومن تبعهم بإحسان رحمة الله عليهم، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان عن العلماء؛ مثل: الأوزاعي ، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي،

= ويشهد لذكر القرن الرابع: ما رواه أحمد (٥/ ٣٥٧)، وابن حبان في مقدمة الثقات (١/ ٨)، من حديث بريدة رضي الله عنه. وصحح هذه الرواية ابن حبان، وأيضا ما أخرجه: ابن حبان في صحيحه (رقم: ٧٢٢٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٥٨٤)، من حديث عمران بن حصين، وممن قوى هذه الرواية ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٦).

(١) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، المعروف بابن الماجشون ، أحد الفقهاء الحفاظ الثقات، أصله من أصبهان، نزل المدينة ثم توجه إلى بغداد وأقام فيها إلى أن مات سنة ١٦٤هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤٣٦)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٤٣).

(٢) درء التعارض (١/ ٢٠٧).

(٣) فضل علم السلف على علم الخلف ، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ص٦٠.

وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام[(١)]، ومن كان على طريقتهم، ومجانبة كل مـذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء[(٢)].

وبنحوه عن ابن كثير رحمه الله حيث قال ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[(٣)] ـ : « فللناس في هذا مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك ، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد[(٤)] والشافعي، وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه[(٥)]، وغيرهم ، من أئمة المسلمين قديما وحديثاً »[(٦)].

ويؤيده أيضا ما سطره الذهبي أثناء تراجمه العطرة من خلال كتابه الفذ سير أعـلام النبلاء، فإنه إذا أراد أن يبين صحة معتقد المترجَم قال عنه إنه على مـذهب السـلف أو ما يشبه ذلك، ومن ذلك قوله عن الدارقطني الإمام : «لم يـدخل الرجـل أبـدا في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك بل كان سلفيا»[(٧)].

---

(١) هو القاسم بن سلام بن عبد الله ، أبو عبيد ، الهروي الأزدي، من العلماء الأعلام الكبـار، ولد سنة ١٥٧ هـ، ومات سـنة ٢٢٤ هــ. انظـر: تـاريخ بغـداد (١٢/ ٤٠٣)، سـير أعـلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠)، شذرات الذهب (٢/ ٥٤).

(٢) الشريعة (ص١٤).

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

(٤) هو الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، أبو الحارث الفهمي الإمام عالم الديار المصرية ، وفقيههـا، ومحـدثها، تـوفي سـنة ١٧٥ هــانظـر: تـاريخ بغـداد (١٣/ ٣)، تـذكرة الحفـاظ (١/ ٢٢٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٢٢)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩).

(٥) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي، أحد الأئمة الأعلام، نزيل نيسابور، وعالمها، ولـد سنة ١٦١ هـ، ومات سنة ٢٣٨ هـ. انظـر: تـاريخ بغـداد (٦/ ٣٤٥)، سـير أعـلام النـبلاء (١١/ ٣٥٨)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٨٣).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٢٦ـ٤٢٧).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٧).

وقال أيضا: «فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف فقف مع نصوص القرآن والسنن، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات ، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم وإما تسكت بحلم»[(١)].

ولا يعني هذا أن كل من عاش في القرون المفضلة يكون سلفا يقتدى به، وذلك لما علم من وجود كثير من أئمة البدع والأهواء في تلك الحقبة، ولهذا فإن المقصود بالسلف في هذه القرون المفضلة من يقتدى به في الدين ممن هو على الكتاب والسنة، فمن خالف الكتاب والسنة، فلا يكون من جملة هؤلاء، وإن عاش بين ظهرانيهم[(٢)].

والحاصل من هذا أن من أحسن من وفق لتعريف السلف هو السفاريني، حيث قال:

"المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف، دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي؛ مثل: الخوارج[(٣)]، والروافض[(٤)]،

---

(١) العلو للعلي الغفار (ص١٦).

(٢) انظر: الإمام ابن تيمية وقضية التأويل للجليند (ص٥٢).

(٣) الخوارج: سموا بهذا الاسم لخروجهم على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ يوم الحكيم ، فمضوا عنه ونزلوا بأرض يقال لها حروراء، فسموا بذلك حرورية، من عقائدهم تكفير صاحب الكبيرة، وأنه مخلد في النار ـ إلا النجدات منهم ـ وإجماعهم على إكفار عثمان وعلي بن أبي طالب وطالب وطلحة والزبير وعائشة ﷺ وأصحاب الجمل. انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٦٧)، التبصير في الدين (١/ ٤٦).

(٤) الرافضة: سموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهذا قول الأشعري.
وقال بعضهم: لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما خرج عن هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر وعمر، فمنعهم من ذلك وتولاهما، فرفضوه ولم يبق معه إلا مئتا فارس، فقال لهم زيد: رفضتموني، قالوا نعم، فبقي عليهم هذا الاسم. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥، ٨٨، ١٣٦)، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص ٥٢)، الملل والنحل (١/ ١٤٦).

والقدريــة[١]، والمرجئــة[٢]، والجبريــة[٣]، والجهميــة[٤]، والمعتزلــة[٥]،

---

(١) القدرية: فرقة من الفرق الضالة ، سميت بذلك لتكذيبهم القدر، ومقولتهم قائمة على أن العبد خالق لأفعاله كلها، خيرها وشرها، وأول ما ظهر عنهم هو أن الأمر أنف، أي لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه، وكان أول من تكلم به رجل نصراني يقال له: سنسويه البقال، وسماه بعضهم : سوسن، أسلم ثم عاد فتنصر، فأخذ عنه معبد الجهني ، وعن أخذ غيلان الدمشقي هذه المقالة العرجاء. انظر: السنة للخلال (ص٥٢٦)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٨)، التبصير في الدين (ص ٦١).

(٢) المرجئة، سموا بذلك نسبة إلى الإرجاء ، وهو تأخير العمل عن الإيمان، والإرجاء على نوعين: أحدهما بمعنى التأخير ، والثاني: إعطاء الرجاء. وهم أصناف من أهمها: المرجئة الخالصة ، وهم الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، ومن هؤلاء جهم وأصحابه. مرجئة الفقهاء وهو الذي اشتهر عند أهل الكوفة.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٦).

(٣) الجبرية : من فرق المرجئة، سميت بذلك نسبة إلى الجبر، زعموا أن الله تعالى جبر الخلق على الإيمان والكفر والطاعة وخلقها فيهم، فالعبد عندهم مجبور على فعله، لا قدرة له في ذلك، فهو كالريشة في مهب الريح، وهم على أصناف عدة. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١٠٣)، الملل والنحل (١/ ٨٥).

(٤) الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان (ت ١٢٨ هـ)، وسموا بذلك نسبة إليه ، من أهم مقالاتهم: نفي أسماء الله وصفاته، والقول بخلق القرآن ، والقول بالإرجاء ، وغيرها.
انظر: انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١١)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص١٠٨).

(٥) المعتزلة: سموا بذلك لاعتزال مؤسس نحلتهم واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ)، مجلس الإمام الحسن البصري، بعد مخالفته له في مرتكب الكبيرة، حيث قال واصل : إنه في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم تنحى عن مجلس الحسن ، واعتزل جانبا يقرر رأيه هذا، فقيل له ولأتباعه من يومئذ المعتزلة. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١١٤)، الملل والنحل (١/ ٤٤-٤٥).

والكرامية[١]، ونحو هؤلاء[٢].

ومما تقدم يمكن أن يجعل مفهوم السلف في نطاق تأريخي، وفي نطاق أوسع من ذلك: فالأول يشمل مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم، ممن كان على الكتاب والسنة.

وأوسع من هذا ما يشمل القرون المفضلة وغيرها مما سار على نهج تلك القرون والتزم منهجهم في الفهم لنصوص الكتاب والسنة[٣].

ج - **تناقل لقب السلف والانتساب إليه.** مما يجدر بالذكر أن أهل العلم قد تناقلوا في القرون المفضلة هذا المصطلح للدلالة على منهج الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، ومن تلكم النصوص الكثيرة:

١ـ عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول على رؤوس الناس : "دعوا حديث عمرو ابن ثابت[٤] فإنه كان يسب السلف[٥].

٢ـ وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقِف حيث وقف القوم وقل بما

---

(١) الكرامية: أتباع محمد بن كرام السجستاني ، انتهت بهم بدعتهم وغلوهم في إثبات الصفات إلى التجسيم، وتجويز قيام الحوادث بذات الله، وله مخالفات أخرى لمعتقد السلف.
انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٩ـ١٠٥)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ١٥٤)، لسان الميزان (٥/ ٣٥٣ـ٣٥٦).

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٠). وانظر: حقيقة البدعة وأحكامها للغامدي (١/ ٢٧٥).

(٣) انظر: قواعد المنهج السلفي لمصطفى حلمي (ص٢٣)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (١/ ٤٠ـ٤١).

(٤) هو عمرو بن ثابت ، وهو ابن أبي المقدام الكوفي، مولى بكر بن وائل، ضعفه أهل العلم، ورموه بالرفض، ما سنة ١٧٢ هـ. انظر: مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٦)، تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (رقم: ٥٠٣٠).

(٥) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٦).

قالوا، وكفّ عما كفّوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم»[١]. وقال أيضا: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول»[٢].

٣ـ وقال البخاري رحمه الله : قال راشد بن سعيد[٣]: "كان السلف يستحبون الفحولة[٤] لأنها أجرى وأجسر"[٥].

قال الحافظ ابن حجر ـ مفسرا لكلمة السلف ـ : «أي من الصحابة ومن بعدهم».

٤ـ وقال البخاري أيضا: «باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم»[٦].

وأما الانتساب إلى السلف فإنه محمود وسديد، وليس هو بابتداع مذهب جديد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا»[٧].

كما أنه جاء عن بعض أهل العلم أنهم عرفوا بانتسابهم للمذهب السلفي، بل

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (ص٥٨)، شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٥٤).
(٢) انظر: الشريعة (ص١٠٢)، مختصر العلو (ص١٣٨).
(٣) هو راشد بن سعيد بن راشد القرشي، أبو بكر الرملي، صدوق في الحديث، مات سنة ٢٤٣هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ١٨٦٥).
(٤) الفحل الذكر من الحيوان، ويقال في جمعه: فحول وفحولة.انظر: المصباح المنير (ص٢٤٠).
(٥) انظر: فتح الباري (٦/ ٦٦).
(٦) المصدر السابق (٩/ ٥٥٢).
(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١٤٩).

عرف بذلك جماعة منهم، كما ذكر ذلك السمعاني[(١)] وابن الأثير[(٢)(٣)].

وكذلك وجد من أهل العلم المعاصرين من أطلق هذه النسبة، كالشيخ عبد الرحمن المعلمي، والشيخ الألباني، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمهم الله أجمعين وغيرهم[(٤)].

ومن هنا فلا بد أن يعلم أن مذهب السلف خير من الخلف في العلم والعمل والإيمان والعقل والدين والعبادة وفي كل شيء يقرب من الله تعالى، قال ابن تيمية: «ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة ، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف ، أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة ، من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل ، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم من الدين بالضرورة من دين

---

(١) هو عبد الكريم بن محمد بن المنصور بن محمد بن عبد الجبار ، أبو سعد، التميمي، السمعاني، المروزي الفقيه الشافعي، الحافظ ، صاحب الأنساب وغيرها من المصنفات مات بمرو سنة ٦١٤ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٩، طبقات الشافعية (٤/ ٢٥٩).

(٢) هو علي بن محمد ، أبو الحسن عز الدين ، ابن الأثير، إمام في حفظ الحديث ومعرفته ، صاحب الكامل، واللباب في تهذيب الأنساب وأسد الغابة ، مات بالموصل سنة ٦٣٠ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٤).

(٣) انظر: الأنساب للسمعاني (٣/ ٢٧٣)، اللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ١٢٦).

(٤) انظر: القائد إلى تصحيح العقائد للمعلمي (ص٤٧، ٥١، ١٩٩)، مختصر العلو للشيخ الألباني (ص١٢٢)، مقدمة شرح العقيدة الطحاوية للشيخ الألباني (ص٥٧)، تنبيهات هامة على ما كتبه محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (ص٣٤ت٣٥)، وسطية أهل السنة (ص١١٠ـ١١١).

الإسلام ، وأَضله الله على علم»(١).

ويؤكد هذا المقارنة التي أجراها شيخ الإسلام بين من هو على هدى مستقيم، وبين من استهوته الشياطين في الأرض حيران، وفي كل واد يهيم، حيث قال: «ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون المنقوصون المسبوقون، الحيارى، المتهوّكون، أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدُّجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء؛ فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة!!»(٢).

وأختم هذا بما رواه ابن مسعود ﷺ حيث قال في وصف الرعيل الأول: «من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم» (٣).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١٥٨).
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ١١).
(٣) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/ ٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤).

المطلب الثالث: أهل الحديث.

يطلق عليهم في كتب اللغة ويراد به ضد القديم[١].

ويقال: الحديث الجديد[٢].

وفي الاصطلاح : عرفه بعضهم بأنه : «ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي» [٣].

وهذا اللقب من الأسماء التي ترد كثيرا عن أهل السنة والجماعة، وهم العاملون بحديث رسول الله ﷺ المتبعون لرسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا علما وعملا[٤].

وهذا الاصطلاح قد وجد عند كثير من أهل العلم:

١ـ قال أحمد بن سنان القطان[٥] ـ وقد جعل من سيم المبتدعة بغض الحديث وأهله ـ : «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث فإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه» [٦].

٢ـ وقال اللالكائي: «فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع ، وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم وأحقهم بهذا الوسم وأخلصهم بهذا الرسم

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (مادة: حدث).
(٢) انظر: القاموس المحيط (مادة: حدث)، ص٢١٤.
(٣) انظر: نزهة النظر (ص١٨)، منهج النقد في علوم الحديث (ص٢٦ـ٢٧).
(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٩٥).
(٥) هو أحمد بن سنان القطان، أبو جعفر الواسطي، من كبار أئمة الحديث في عصره، الحافظ المجود ، صنف المسند، ومات سنة ٢٥٨ هـ. انظر: العبر للذهبي (١/ ٣٧٠)، السير (١٢/ ٢٤٤)، البداية والنهاية (١١/ ٣١).
(٦) انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص٧٣)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٢١).

أصحاب الحديث لاختصاصهم برسول الله ﷺ واتباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه»[(١)].

٣ـ وقال الإمام أبو عثمان الصابوني[(٢)]: «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة حفظ الله أحياءهم، ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة».

ثم قال: وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومَنَّ عليهم بالتعرف والتفهيم[(٣)].

فقد عبر بأحد اللقبين عن الآخر، كما أنه أماء إلى هذا في عنوان رسالته الموسومة: «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، وأنهما بمعنى واحد.

٤ـ وقال الأصبهاني: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، ... لا ترى فيهم اختلافا، ولا تفرقاً في شيء ما...»[(٤)].

٥ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ... مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة[(٥)].

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٢).

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو عثمان، الصابوني، مقدم أهل الحديث في خراسان، وكان يلقب بشيخ الإسلام، من مؤلفاته الفصول في الأصول، ولد سنة ٣٧٣ هـ، ومات سنة ٤٤٩ هـ. انظر: الأنساب للسمعاني (٨/ ٢٤٧ـ٢٤٨)، البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٧٦).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٣ـ٤).

(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٢٤ـ٢٢٥).

(٥) درء التعارض (١/ ٢٠٣).

ولا يعني أهل العلم بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته وروايتـه، وإن جمع إلى ذلك نوع بدعة، بل المراد من ذلك كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه واتباعه كما سبق التنبيه عليه.

ولهذا لما سئل ابن الصلاح عن الفرق بين السنة والحديث وكيف جمع مالك بين الحديث والسنة، قال: "السنة ضد البدعة، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالك رضي الله عنه جمع بين السنتين، فكان عالما بالسنة ـ أي : للحديث ـ ومعتقدا للسنة أي كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة"[(١)].

وعلى هذا فإن ما يطلقه أهل العلم من لقب "أهل الحديث" ـ الذين هم أهله ـ في كتب العقائد فهم أهل السنة والجماعة، وهم السلف، كما مر التنبيه عليه[(٢)]، وذلك لأنهم لا يصدرون في أعمالهم وعقائدهم عن آراء قابلة للتسليم والرد، وإنما عما أثر عن النبي ﷺ من الأخبار المسندة عنه وعن أصحابه الكرام بنقل الثقات العدول، وتسميتهم مأخوذة من الكتاب والسنة لاتباعهم ما فيهما[(٣)].

المطلب الرابع: **أهل الأثر.**

أولاً : **تعريف الأثر**. يطلق الأثر في اللغة على بقية الشيء، وجمعه آثار[(٤)].

وفي الاصطلاح: هو مرادف للخبر. فيطلق على المرفوع والموقوف، وفقهاء خراسان[(٥)] يسمون الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر[(٦)].

---

(١) فتاوى ابن الصلاح (١/ ٢١٣).

(٢) انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص٥٥ فما بعدها).

(٣) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٢٤).

(٤) انظر: القاموس المحيط ، (مادة : أثر)، (ص ٤٣٥).

(٥) **خراسان**: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند غزنة وسجستان وكرمان، وهي مشتملة على بلدان عدة منها نيسابور، وهراة وبلخ، وغيرها. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٥٠).

(٦) انظر: تدريب الراوي للسيوطي (ص٦)، توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائري (ص٣).

ثانياً: **مفهوم أهل الأثر.** لقد وجد هذا اللقب عند كثير من أهل العلم، وهو مرادف لأهل الحديث، المشتغلين بحفظه وإتقانه ومعرفته، واتباع الدليل من الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا، ومن ذلك:

ما قاله أبو حاتم الرازي: "مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل: أبي عبد الله أحمد بن حنبل"(١).

وقال أيضا : "علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر" أي وقيعتهم في أهل السنة(٢).

كما أن الأئمة قد استخدموا هذا اللقب ومنهم : أبو نصر السجزي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والسفاريني وغيرهم(٣).

ويقول السفاريني في بيان حقيقة أهل الأثر : "الذين إنما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله جل شأنه في كتابه، أو في سنة النبي ﷺ ، أو ما ثبت وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام ، والتابعين لهم الفخام"(٤).

المطلب الخامس: الفرقة الناجية.

مأخذ هذا اللقب من قوله ﷺ في حديث الافتراق(٥) : (...لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار). قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: (الجماعة)(٦).

---

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٩-١٨١).

(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٩-١٨١).

(٣) انظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص١٧٥، ١٧٧، ٢٢٣)، درء التعارض (٦/ ٢٦٦)، لوامع الأنوار (١/ ٦٤).

(٤) لوامع الأنوار (١/ ٦٤).

(٥) انظر: الشريعة للآجري (ص١٤)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٤٥).

(٦) تقدم تخريجه.

وهذا الوصف لا ينطبق إلا على أهل السنة والحديث ، أهل الحق، الذي يقولون الحق، وبه يعملون، ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا الحديث وعن الفرقة الناجية قال: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم» [(١)].

وهذا اللقب أيضا قد استخدمه أهل العلم للدلالة على مذهب أهل السنة والجماعة[(٢)]، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة الواسطية : «أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة.. »[(٣)].

وقال أيضا : " فإذا كان وصف الفرقة الناجية أتباع الصحابة على عهد رسول الله ﷺ وذلك شعار أهل السنة كانت الفرقة الناجية هم أهل السنة"[(٤)].

كما أن بعضهم قد ضمنها عناوين مصنفاتهم كما فعل ابن بطة حيث وسم كتابه المشهور بـ : «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة"، وكما فعله ابن القيم في مصنفه : "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

وهذا ما قرره أهل العلم المعاصرون قال الشيخ حافظ الحكمي[(٥)] ـ تحت عنوان "الفرقة الناجية" : «وقد أخبر الصادق المصدوق أن الفرقة الناجية من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه ، وإنما تصلح هذه الصفة لحملتها وحفاظها المنقادين لها المتمسكين بها أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة» [(٦)].

---

(١) انظر: شرف أصحاب الحديث (ص٢٥).

(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٤).

(٣) العقيدة الواسطية ـ مع شرح الهراس ـ (ص١٤).

(٤) منهاج السنة (٣/ ٤٥٧).

(٥) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، الفقيه الأديب، أحد أعلام جيزان، ولد بقرية السلام، التابعة لمدينة المضايا ، طلب العلم واشتغل به، ألف مصنفات كثيرة، كأعلام السنة المنشورة ، ومعارج القبول، توفي سنة ١٣٧٧ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٥٩).

(٦) معارج القبول (١/ ١٩).

المطلب السادس: الطائفة المنصورة.

هذا اللقب استفيد من قول النبي ﷺ : (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**)[١]. وقوله ﷺ : (**لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**)[٢].

وفي الباب: عن جابر بن سمرة ، وسعد بن أبي وقاص، وعمران بن حصين، وزيد بن أرقم، وأبي هريرة ، ومعاذ بن جبل، وعقبة بن عامر، وغيرهم، حتى عده بعض أهل العلم من الأحاديث المتواترة[٣].

وقد جاء تفسير هذا الحديث عن جمع من السلف: قال ابن المبارك : «هم عندي أصحاب الحديث» [٤].

وقال علي بن المديني: "هم أصحاب الحديث، والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ﷺ ويذبون عن العلم لولاهم لم تجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء شيئا من السنن"[٥]. وقال البخاري : "يعني أصحاب الحديث"[٦]. ثم تتابع أهل العلم على هذا التفسير: كابن قتيبة، وابن حبان[٧]، والآجري،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٩٣، رقم: ٧٣١١)، ومسلم (٣/ ١٥٢٣، رقم: ١٩٢١).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٨٥)، رقم: ٢١٩٢، وابن ماجه في مقدمة سننه (١/ ٤)، رقم: ٦. وقد صححه الألباني. انظر: صحيح الترمذي (٢/ ٢٣٩)، وصحيح ابن ماجه (١/ ٦).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٦)، الأزهار المتناثرة للسيوطي (ص٢١٦)، نظم المتناثر للكتاني (ص٩٣)، صلاة العيدين للألباني (ص٣٩ـ٤٠).

(٤) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٢٦).

(٥) انظر: جامع الترمذي (٤/ ٤٨٥ رقم: ٢١٩٢)، شرف أصحاب الحديث (١٠، ٢٧).

(٦) انظر: شرف أصحاب الحديث (ص٢٧)، فتح الباري (١٣/ ٢٩٣).

(٧) هو محمد بن حاتم بن حبان البستي ، الإمام المحدث الحافظ، الفقيه، اللغوي، مات سنة ٣٥٤هـ. انظر: طبقات الشافعية (٢/ ١٤١)، معجم المؤلفين (٩/ ١٧٣).

والحاكم[(١)]، والخطيب البغدادي[(٢)]، والبغوي[(٣)]، والنووي[(٤)]، وغيرهم[(٥)].

والمراد بأهل الحديث كما تقدم ذكره ؛ أهله رواية ودراية علما وعملا واتباعا، فهم أهل لصحبة أنفاس النبي ﷺ ، وهم أولى بهذا الوصف، قال أبو عبد الله الحاكم: "فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف الماضين، ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله ﷺ"[(٦)].

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد ، الحاكم أبو عبد الله ، النيسابوري، المعروف بابن البيع ، إمام أهل الحديث في عصره، مات سنة ٤٠٥ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٤٧٣)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٠)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٦٤).

(٢) أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ، أبو بكر الخطيب البغدادي، الإمام المحدث، المؤرخ الأصولي، صاحب التصانيف الكثيرة، كتاريخ بغداد ، والكفاية وغيرهما، مات سنة ٤٦٣هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٩٢)، معجم المؤلفين (٢/ ٣).

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد ، الفراء، البغوي، الفقيه الشافعي، المحدث المفسر، وكان بحرا في العلوم، مات سنة ٥١٠هـ.انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٣٦)، طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ٢١٤).

(٤) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن، محيي الدين النووي، الإمام العلامة المشهور، وأحد أعيان الشافعية في عصره، مات سنة ٦٧٦ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٣٩٥)، شذرات الذهب (٥/ ٣٥٤).

(٥) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٥١)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/ ١٤)، الأربعين للآجري (ص٥٥)، معرفة علوم الحديث (ص٢-٣)، شرف أصحاب الحديث (ص٧-١٠)، شرح السنة للبغوي (٤/ ٢١٣)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/ ١٦-١٧).

(٦) معرفة علوم الحديث (ص٣٠).

وقال القاضي عياض[١]: «إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»[٢].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف أهل السنة والجماعة: «وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي..) »[٣].

المطلب السابع: الجمع بين ألقاب أهل السنة والجماعة.

يتضح مما سبق أن لأهل السنة والجماعة ألقاباً عدة ظهروا بها على غيرهم من الفرق الضالة، ينشدون بذلك تمييز الحق من الباطل، ولذلك من تأملها فإنه يظهر له أنها تدل على الإسلام فبعضها ثابت لهم بالنص من الرسول ﷺ ، وبعضها إنما حصل لهم بفضل تحقيقهم للإسلام تحقيقا صحيحا، وهي بذلك مخالفة لمسميات أهل البدع وألقابهم.

والناظر في ألقاب أهل السنة يتبين له مباينتها لمنهج أهل الأهواء ومسمياتهم، ولعلي أتطرق في هذه العجالة لبعض النقاط التي تلخص ذلك كله:

أولا: أن ألقاب أهل السنة والجماعة نسب لم تنفصل ولا لحظة واحدة عن الأمة الإسلامية منذ تكوينها على منهاج النبوة فهي تحوي جميع المسلمين على طريقة الرعيل الأول، ومن يقتدى بهم في تلقي العلم وطريقة فهمه، وبطبيعة الدعوة إليه.

ثانيا: أنها تحوي كل الإسلام ـ الكتاب والسنة ـ فهي لا تختص برسم يخالف الكتاب والسنة زيادة أو نقصا.

---

(١) هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي الحافظ ، ولي القضاء، في سبتة ثم غرناطة وغيرها، مات سنة ٥٤٤ هـ.انظر: شذرات الذهب (٤/ ١٣٨).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٦ـ٦٧).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٩).

ثالثا: أنها ألقاب منها ما هو ثابت بالسنة الصحيحة، ومنها ما لم يبرز إلا في مواجهة مناهج أهل الأهواء والفرق الضالة، لرد بدعتهم والتميّز عنهم.

رابعا: أن عقد الولاء والبراء والموالاة والمعاداة لديهم هو على الإسلام لا غير، لا على رسم باسم معين، ولا على رسم محدد، إنما هو الكتاب والسنة فحسب.

خامسا: أن هذه الألقاب لم تكن داعية لهم للتعصب لشخص دون رسول الله ﷺ .

سادسا: أن هذه الألقاب لا تفضي إلى بدعة ولا معصية، ولا عصبية لشخص معين ولا لطائفة معينة، فإذا قيل: أهل السنة والجماعة انتظم هذا اللقب هذه الخواص، وهذا لا يكون لأحد من أهل الفرق بأسمائهم ورسومهم التي انشقوا بها عن جماعة المسلمين، وهكذا بقية ألقاب أهل السنة[1].

وهكذا فإنه يستخلص مما تقدم أن هذه الألقاب كلها تطلق على السلف، فالسلف الصالح : هم أهل السنة لاتباعهم سنة رسول الله ﷺ، وهم الجماعة لاجتماعهم على الحق، وهم أهل الحديث والأثر لاتباعهم حديث رسول الله ﷺ وتطبيقه ظاهرا وباطنا.

وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الذين استثناهم رسول الله ﷺ من فرق أهل النار الهالكة، وهذا الوصف الذي ورد في النصوص لا ينطبق إلا عليهم وعلى من اتبع منهجهم ، واقتفى آثارهم ، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

وهذا الذي ذكره أهل العلم في هذا الباب، ويحسن ذكر جملة من ذلك ليتضح اجتماع هذه الألقاب في أهل السنة والجماعة، فمن ذلك:

قال ابن حزم: «وأهل السنة الذين نذكرهم هم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم الصحابة ﷺ وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله

---

(١) انظر: حكم الانتماء للشيخ بكر أبي زيد (ص٣١ـ٣٧).

عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها» (١).

وقال اللالكائي ـ بعد الكلام على الفرقة الناجية ـ: «فهي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، والعصبة الهادية والجماعة العادلة المتمسكة بالسنة» (٢).

وقال النووي: « يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بحرب وفقيه ومحدث ومفسر ، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض» (٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا وصف الفِرقة (أي الناجية)، بأنها أهل السنة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر، والسواد الأعظم، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبا من مبلغ الفرقة الناجية ، فضلا عن أن تكون بقدرها، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة، وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع» (٤).

وقال ابن رجب: «وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة ، فبسببها تفرق أهل القبلة، وصاروا شيعا، وكفّر بعضهم بعضا، وأصبحوا أعداء وفرقاً وأحزاباً، بعد أن كانوا إخواناً قلوبهم على قلب رجل واحد، فلم ينجُ من هذه الفرق إلا الفرقة الناجية ، وهم المذكورون في قوله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ...) وهم

---

(١) الفصل في الملل والنحل (٢/ ١١٣).
(٢) شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٤).
(٣) شرح صحيح مسلم (١٣/ ٦٦)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٩٥).
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٤٥ـ٣٤٦).

في آخر الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث»[١].

وأختم هذا الفصل بما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية أحسن تقرير في ذكر حقيقة أهل السنة والجماعة ونسبهم فقد قال ـ في خاتمة الواسطية ـ : «لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال: (هم ما كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة ، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولوا المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي) ـ الحديث ـ نسأل الله أن يجعلنا منهم ولا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا»[٢].

---

(١) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة (ص٢٢).

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٤١١)، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٩٧).

البَابُ الثَّاني

خَصَائِصُ أهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَة في التَّلَقي والاِسْتِدلاَل

وفيه تمهيد وسبعة فصول:

التمهيد: مصادر التلقي عند السلف إجمالا.

الفصل الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة

الفصل الثاني: الاستدلال على أصول الاعتقاد بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما في ذلك.

الفصل الثالث: الاستدلال على أصول الاعتقاد بالمتواتر والآحاد من السنة وعدم التفريق بينهما .

الفصل الرابع: دلالة الإجماع والعقل الصريح والفطرة السليمة على أصول الاعتقاد.

الفصل الخامس: العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه.

الفصل السادس: رد التأويل لنصوص التتريل .

الفصل السابع: تقديم فهم السلف أهل القرون المفضلة للنصوص الشرعية واعتبار ذلك.

التمهيد

مصادر التلقي عند السلف إجمالا

إن من خصائص أهل السنة والجماعة رجوعهم في تلقيهم العلم والاعتقاد إلى الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى، متمثلا في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي سنة رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه، لا يرغبون بغيرهما بدلا عنهما، ويؤيدون ذلك بالإجماع الذي مبناه على الوحي، وبالعقل الصحيح والفطرة السليمة، اللذين يقويان نصوص الكتاب والسنة، من باب تـوارد الأدلة.

فتلخص من هذا أن أهل السنة والجماعة يستقون المسائل العلمية والاعتقادية والعملية من مصادر معينة، وهي نوعان:

١ـ مصادر أساسية: الكتاب والسنة. وما ينبني عليهما من الإجماع.

قال الخطيب البغدادي: « وأما الكتاب والسنة فهما الأصلان الذان يقدم الاحتجاج بهما في أحكام الشرع على ما سواهما، ويتلوهما الإجماع، وليس يعرفه إلا من عرف الاختلاف» (١).

٢ـ مصادر فرعية: العقل الصحيح، والفطرة السليمة.

وسأتعرض هنا إلى نبذ من التعريفات وما يتعلق بها من مسائل بشكل موجز.

---

(١) الفقيه والمتفقه (٢/ ٤٠).

المبحث الأول

المصدر الأول القرآن الكريم

المطلب الأول: التعريف بالقرآن في اللغة والاصطلاح.

أولا: معنى القرآن لغة. القرآن : أصله من مادة قرأ، ومن قرأتُ الشيء ، فهو قرآن أي جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، فصار معناه: الجمع والضم.

ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنينا، أي لم يضم رحمها على ولد(١).

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على هذا المعنى قال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾(٣).

قال أبو عبيدة(٤) في معنى الآية الأولى : «تأليفه بعضه إلى بعض...».

وقال في معنى الآية الثانية: «إذا تلوت بعضه في إثر بعض ، حتى يجتمع وينضم بعضه إلى بعض، ومعناه: يصير إلى معنى التأليف والجمع» (٥).

ثانيا: معنى القرآن اصطلاحا. عرفه أهل السنة والجماعة كما قال الطحاوي:

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (مادة: قرأ) ، (١/ ٦٥)، لسان العرب لابن منظور، (مادة: قرأ)، (١/ ١٢٨).

(٢) سورة القيامة، الآية ١٧.

(٣) سورة النحل، الآية ٩٨.

(٤) هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، النحوي المشهور، ولد سنة ١١٠هـ، من تصانيفه مجاز القرآن، غريب الحديث، وغيرهما، مات سنة ٢٠٩ هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٥)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٧١).

(٥) مجاز القرآن (١/ ١-٣)، بتحقيق: محمد فؤاد سيزكين .

«وإن القرآن كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه، فزعم أنه كلام البشر فقد كفر»(١).

إلا أن هذا التعريف يغلب عليه التعريف بالوصف، وذلك أنه أدخل فيه كثير من مباحث الاعتقاد ، وليس ذلك إلا لبيان الحق في القرآن الكريم لما أحدث الجهمية مسائل متعددة متعلقة بالقرآن الكريم، فاضطر أهل السنة والجماعة أن يعرفوه بمثل ذلك ليتميز تعريف السلف عن تعريف الجهمية.

وعرفه السيوطي بقوله: «وأما في العرف فهو الكلام المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه».

قال: وزاد بعض المتأخرين: «المتعبد بتلاوته ليخرج المنسوخ تلاوة» (٢).

المطلب الثاني: القرآن كلام الله عز وجل.

عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن الكريم كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، وأنه سبحانه تكلم به حقيقة، وإضافته إليه سبحانه إضافة حقيقية، من باب إضافة الكلام إلى قائله، وهو الذي أنزله على رسوله ﷺ ، قال الله جل وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ ﴾(٣)، وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾(٤).

وقال النبي ﷺ : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه

---

(١) العقيدة الطحاوية ـ مع شرحها لابن أبي العز ـ (ص١٢١ـ١٢٢).
(٢) التحبير في علم التفسير، (ص٣٩ – ٤٠). وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٩٨).
(٣) سورة النمل، الآية ٦.
(٤) سورة يوسف، الآية ٢.

البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا، أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)[١]. إلى غير ذلك من الأدلة.

فهذه النصوص كافية في بيان أن القرآن كلام الله تعالى المنزل على النبيﷺ.

ثم إن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه ، قال عز من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[٢].

فالله تعالى أنزل كتابه ليكون للعالمين نذيرا، وليصبح مهيمنا على ما سبقه من الكتب، وحفظه من عبث المحرفين والمبطلين، ليبقى هذا القرآن مصونا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب الثالث: منهج السلف في تفسير القرآن الكريم :

كما أن القرآن الكريم هو من المصادر الأساسية التي اعتنى به أهل العلم قديما وحديثا، فإن السلف قد وضعوا له ضوابط في معرفة معناه وتفسيره، لإدراك المعنى الصحيح المقصود من النص القرآني، وللسلامة من الانحراف والانزلاق، وتكمن هذه الضوابط في النقاط التالية:

١ـ طلب معرفة تفسير القرآن ومعناه من القرآن نفسه، أي تفسير القرآن بالقرآن، إذ أحسن طريق لمعرفة مراد المتكلم : الاستدلال ببعض كلامه على بعض، حسب ما تقتضيه قواعد اللغة، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، ٩/ ٣، رقم: ٤٩٨١.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩.

(٣) سورة النحل، الآية ١٠٣.

(٤) سورة الزمر: الآية ٢٨.

ففي القرآن الكريم كثير من القصص تأتي موجزة هنا، ومفصلة في موطن آخر، كقصة فرعون وموسى حيث أوجزها في سورة البقرة، وفصل فيها في سورة الأعراف وغيرها.

وقد يرد النص مطلقا في موضع ، ثم يذكره مقيدا في موضع آخر، أو يأتي النص القرآني عاما، ثم يذكره الله تعالى خاصا، ففي هذه الحال يحتاج المفسر لكتاب الله تعالى أن يجمع الآيات في الموضوع الواحد ، ثم ينظر فيها مجتمعة ليعرف ما قد يكون بينها من علائق.

٢ـ كما أن المفسر يحتاج إلى طلب تفسير الآية من سنة النبي ﷺ ، فإنها لبيان للقرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ﴾[١]، وقال جل وعلا: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٢].

وقد ذكر أهل العلم أن السنة تأتي:

أ ـ مفسرة لبعض ما أجمل في كتاب الله تعالى كالصلوات والصيام والزكاة، وغيرها من مباني الإسلام، قد جاءت السنة فبينت واجباتها وسننها ومكروهاتها ونحو ذلك من جهة، ووضحت هيئاتها وقدرها، وأنصبتها من جهة أخرى.

ب ـ مخصصة لعموم الكتاب العزيز، كتخصيص الوصية بالثلث فقط، دون الزيادة عليه.

ج ـ مقيدة لما في كتاب الله تعالى[٣].

---

(١) سور النساء، الآية ١٠٥.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٤.

(٣) انظر: السنة للمروزي، (ص٣٠ـ٣١)، دار الفكر، دمشق ، الشام، الرسالة للشافعي، (ص٦٥،٦٦)، تحقيق : أحمد محمد شاكر .

٣ـ فإن تعذر فهم النص القرآني من السنة، طلبه المفسر من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، فهم أعلم بالتنزيل، لما شاهدوه من الأحوال، واختصهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، فهم أولى الناس بالفهم الصحيح، والعمل الصالح.

وإن اختلفت آراؤهم في تفسير الآية فليس من باب اختلاف تضاد، بل من باب اختلاف تنوع، كما قد بسطه أهل العلم.

٤ـ فإن لم يجد المفسر ما يعينه على فهم المراد من النص، فإنه يرجع إلى كلام أئمة التابعين من علماء التفسير، كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن المسيب[١]، وقتادة[٢]، وغيرهم، وتابعيهم، ومن بعدهم من أئمة الهدى، حيث إنهم أقرب عهدا بنزول القرآن، وأعرف من غيرهم بلغته وأساليبه، وأكثر حفظا للسنة والآثار، فهم أحق بالاقتداء بفهمهم ممن جاء بعدهم[٣].

---

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي القرشي ، أحد العلماء الأثبات ، والفقهاء الكبار، والأئمة الأعلام، مات سنة ٩٤ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥)، الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٢).

(٢) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، أبو الخطاب، الإمام المفسر، ثقة ثبت، مات سنة ١١٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٥)، تقريب التهذيب (رقم: ٥٥٥٣).

(٣) انظر لهذا المطلب: الرسالة، للشافعي (ص٤٢)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٦٢ فما بعدها)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ١٧٥)، التحبير في علم التفسير (ص٣٢٣)، أصول التفسير لخالد عبد الرحمن العك (ص٥٠ـ٥١) .

المبحث الثاني

المصدر الثاني: السنـــــة

قد مضى الكلام في التعريف بالسنة والكلام عليه في الفصل الأول من الباب الأول[١]، إلا أنه يعنينا هنا من المطالب أن نبين أن السنة وحي من الله تعالى محفوظة، وهي مصدر من المصادر في التشريع، وهذا ما سأذكره إن شاء الله تعالى.

مطلب: السنة وحي من الله تعالى محفوظة.

أولا: الأدلة على أن السنة وحي من الله تعالى. لقد دلت النصوص الشرعية على أن السنة وحي من الله تعالى ، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

١- دلالة القرآن على أن السنة وحي. جاءت الآيات الكثيرة تنص على ذلك منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[٢]. والآية عامة في كل ما ينطق به النبي ﷺ ولهذا قال ابن حزم: "فصح لنا بذلك أن الوحي من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ ينقسم على قسمين.." فذكر الكتاب والسنة[٣].

وقال عز وجل: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾[٤]، وقال جل وعلا: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[٥].

---

(١) انظر: ص ٣٥ من هذه الرسالة.

(٢) سورة النجم، الآيتان ٣،٤.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (١/١٠٨)، تحقيق: محمد أحمد، مكتبة عاطف، مطبعة الامتياز، ١٣٩٨ هـ، مصر.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٣١.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٣٤.

قال الإمام الشافعي: «سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن ، يقول: الحكمة سنة رسول الله»[١]. وهكذا قال القرطبي نقلا عن أهل العلم بالتفسير[٢].

٢ــ دلالة السنة النبوية على أن السنة وحي. كما أنه قد ورد في أحاديث عدة أن السنة وحي من الله تعالى، فمن ذلك:

أ ـ أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[٣] لما قيل له: "أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا"، فأمسك عن الكتاب حتى ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له النبيﷺ : (اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق)[٤].

ب ـ وقال النبي ﷺ : (**إن الروح الأمين قد ألقى في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها...**) الحديث[٥].

٣ــ دلالة الإجماع على أن السنة وحي من الله. قال الشوكاني: « وقد اتفق من يعتد به من أهل العلم، على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها

---

(١) الرسالة (ص٧٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٨٣).

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد، أبو محمد، أحد السابقين من الصحابة والمكثرين منهم، وأحد العبادلة الأفقهاء، مات في حدود سنة ٦٥ هـ، في ذي الحجة ليال الحرة على الأصح بالطائف على الراجح. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٣٥٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٦٠)، رقم: ٣٦٤٦، والحاكم في مستدركه، (١/ ١٠٤)، وصححه ووافقه الذهبي. وقد قواه الحافظ ابن حجر. انظر: فتح الباري (١/ ٢٠٧).

(٥) أخرجه الشافعي في الرسالة (ص٩٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٨١) رقم: ١١٤١. ومعنى الحديث مشهور كما قال ابن المنذر ، نقله عنه الشيخ أحمد شاكر، وقواه، انظر: حاشية الشيخ أحمد شاكر على الرسالة (ص٩٦ـ٩٧).

كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام»[١].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن»[٢].

ثانيا: **حفظ السنة النبوية**. اتضح لنا من خلال ما سبق أن السنة وحي من الله تعالى ، ومعلوم من النصوص الشرعية أن الوحي محفوظ من الله تعالى، قال الله جل وعلا: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾، يقول ابن حزم: "فصح بذلك أن كلامه ﷺ كله محفوظ بحفظ الله عز وجل، مضمون لنا أنه لا يضيع منه شيء، فهو منقول إلينا كله، فلله الحجة علينا أبدا"[٣].

وكان هذا الحفظ متمثلا في أمور عدة: منها طريقة النبي ﷺ في تثبيت السنة في صدور الصحابة، ثم جهود الصحابة في حفظ السنة، ثم جاء التابعون بعدهم فاتبعوا خطا من كان قبلهم وحرصوا على حفظ السنة ونشرها، ثم صنفت الصحاح والمسانيد والسنن، ووضعت بعدها قواعد علوم الحديث ونقد المتون، والجرح والتعديل ودراسة الأسانيد، كل ذلك حفاظا على سنة النبي ﷺ من التغيير أو التبديل[٤].

---

(١) إرشاد الفحول (ص٣٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٦٤).

(٣) الإحكام (١/ ١١٠).

(٤) وقد صنفت مصنفات عدة عنت بمراحل الحفظ السنة من عهد النبيﷺ إلى عصر تدوين السنة، ومن ذلك على سبيل التمثيل: دراسات في الحديث النبوي، للأعظمي، تدوين السنة النبوية للشيخ محمد مطر الزهراني، والسنة قبل التدوين.

المبحث الثالث

المصدر الثالث: الإجماع

المطلب الأول: تعريف الإجماع في اللغة.

الإجماع مصدر: أجمع، فيقال أجمع يجمع، إجماعا فهو مجمع، ويطلق ويراد به ما يلي:

١ـ العزم المؤكد، فيقال: أجمع فلان على السفر، إذا عزم عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾[(١)]، أي أعزموا أمركم.

٢ـ الاتفاق، فيقال: أجمع المسلمون على كذا ، أي اتفقوا عليه، ومنه قوله ﷺ : (لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا)[(٢)(٣)].

ولا شك أن الموافق للمعنى الاصطلاحي هو الثاني ، لأن العزم قد يتصور من غير اجتماع.

ثانيا: **تعريف الإجماع اصطلاحا**. لعلماء الأصول في تعريف الإجماع تعاريف عدة، من أخصرها وأدقها على المطلوب: «اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على أمر من الأمور»[(٤)].

---

(١) سورة يونس ، الآية ٧١.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١١٥ـ١١٧)، وله شواهد منها: ما أخرجه الترمذي ٥/ ٣٣٤، رقم: ٢١٦٨، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٩). وقد قوى الحديث الشيخ الألباني. انظر: تعليقه على مشكاة المصابيح (١/ ٦١)، وظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم رقم الحديث : ٨٠.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٨/ ٥٧ـ٥٨)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي ، (مادة: جمع)، (٣/ ١٤).

(٤) انظر: إرشاد الفحول (ص٧١)، حاشية العطار على جمع الجوامع، للشيخ حسن العطار (٢/ ٢١٠)، مطبعة مصطفى محمد، ١٣٥٨ هـ.

وقد شرح أهل العلم تعريف الإجماع وذكروا محترزاته، فأحيل هنا على بعض تلك المصادر رغبة في الإيجاز(١).

المطلب الثاني: **الأدلة على حجية الإجماع.** ذهب جمهور العلماء على أن الإجماع حجة شرعية، واستدلوا على ذلك بدلائل عدة منها:

أولا: من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾(٢). وهذه الآية من أقوى الأدلة على حجية الإجماع، استدل بها الإمام الشافعي على ذلك، وأن الله تعالى جمع بين مشاقة الرسول ﷺ وبين مخالفة سبيل المؤمنين في الوعيد، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحا لما جمع بينه وبين المحظور، فتبين أنه استوى فيه الحكم من جهة الطرفين، وأن كليهما يجتمعان في كونهما محظورين(٣).

٢ـ وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، والوسط الخيار العدول، ولما كان قول الشاهد حجة على غيره، يجب العمل بمقتضاه، كان قول الأمة وإجماعها حجة يجب

---

(١) انظر: الإحكام لابن حزم (٤/ ٦٥٩)، إحكام الأحكام للآمدي (١/ ١٤٨، ١٧٠)، الإبهاج شرح المنهاج (٢/ ٣٤٩)، نهاية السول في شرح منهاج الوصول للأسنوي (٣/ ٢٣٨)، كشف الأسرار عن أصول البزدوي لعبد العزيز بن أحمد البخاري (٣/ ٢٦١)، حاشية البناني على شرح المحلي على متن جمع الجوامع (١/ ١٧٧)، حجية الإجماع لفرغلي (ص٥٤).

(٢) سورة النساء، الآية ١١٥.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ١٧٨)، أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٢٤٣)، الإبهاج شرح المنهاج (٢/ ٣٥٣).

العمل بمقتضاه أيضا[١].

ثانيا: أدلة السنة على حجية الإجماع :

١ـ قوله ﷺ : (**ألا فمن سره بحبحة الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد...**)[٢]. ووجه الدلالة منه أنه إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين، فلم يكن حينئذ في لزوم الأبدان معنى، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم، والطاعة فيهما[٣].

ومنها أيضا: الحديث الذي مر قبل قليل ، وهو قوله ﷺ : (**لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا**)[٤][٥].

ثالثا: **دلالة المعقول على حجية الإجماع**. أنه قد ثبت قطعا أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء، وأن شريعته باقية إلى قيام الساعة، وقد حدثت بعد موته ﷺ حوادث ليس فيها نص من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ ، ولكن أجمعت الأمة على حكمها، فإن قلنا: إن إجماعهم ليس بحجة للزم بذلك القطع بأن الشريعة غير دائمة، فيؤدي ذلك إلى الخلف في أخبار الشارع، وإما أن يقال إن إجماعهم حجة لئلا يؤدي إلى

---

(١) انظر: الإبهاج شرح المنهاج (٢/ ٣٥٨)، أصول السرخسي (١/ ٢٩٧)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ١٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٣)، رقم: ٢١٦٦، والحاكم في المستدرك وصححه (١/ ١١٣ـ١١٥)، وابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب كراهية الشهادة لمن يستشهد، ٢/ ٤٣. وقد صححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم: ٤٣١).

(٣) انظر: الرسالة للشافعي (ص٤٧٥ـ٤٧٦).

(٤) تقدم تخريجه قريبا.

(٥) انظر: روضة الناظر لابن قدامة (١/ ٣٤١).

المحال وهو انقطاع الشريعة[١].

المطلب الثالث: مفاد الإجماع. اختلف القائلون بحجية الإجماع فيما يفيده الإجماع على مذاهب:

الأول: أن الإجماع حجة قطعية. وهو مذهب الأكثر.

الثاني: الإجماع لا يفيد إلا الظن، وهو اختيار الرازي والآمدي.

الثالث: التفصيل بين ما اتفق عليه المعتبرون ، فيكون حجة قطعية، وبين ما اختلفوا فيه كالإجماع السكوتي، وما ندر مخالفه، فيكون حجة ظنية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والصواب التفصيل بين ما يقطع به من الإجماع، ويعلم يقينا أنه ليس فيه منازع من المؤمنين أصلا، فهذا يجب القطع بأنه حق»[٢].

وقال أيضا: «وتنازعوا في الإجماع : هل هو حجة قطعية أو ظنية؟ والتحقيق: أن قطعه قطعي، وظنيه ظني.... »[٣][٤].

---

(١) انظر: كشف الأسرار (٣/ ٢٦٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٣٩).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٢٧٠).

(٤) انظر في تفصيل المسألة: أصول السرخسي (١/ ٢٩٥)، المحصول للرازي (٢/ ١/ ٢٩٨)، كشف الأسرار (٣/ ٢٥١)، إرشاد الفحول (ص٧٨)، حاشية البناني (٢/ ٢٠٠).

المبحث الرابع

منــزلة العقـــل عند السلف

المطلب الأول: تعريف العقل لغة.

العقل مصدر عقل، يعقل عقلا، فهو معقول، قال ابن فارس: "العين والقاف واللام أصل واحد منقاس يدل على حبسة في الشيء.. ومن ذلك العقل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"[١].

وأصل معنى العقل المنع والحبس، ومنه عقال البعير، ويقال: عقل الدواء بطنه إذا مسكه، واعتقل لسانه إذا حبس ومنع من الكلام[٢].

وسمي العقل عقلا لأنه يمنع صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه[٣].

ويرادف لفظ العقل في معناه: اللب، والفكر، والحلم والنّهى، وغيرها.

فلم يذكر لفظ العقل في القرآن الكريم، وإنما يوجد ما تصرف منه نحو: ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾، ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾، وذكرت أيضا الأسماء التي تتضمن معنى العقل، كالنهى والألباب.

ولا تكاد تجد لفظ العقل ـ كمصدر ـ في السنة الصحيحة إلا مثل حديث قوله ﷺ: **(ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن)**[٤][٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٦٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/ ٢٣٨ـ٢٤٠)، لسان العرب (١١/ ٤٥٨ـ٤٦٠).

(٣) انظر: القاموس المحيط (ص٤/ ١٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٠٥)، رقم: ٣٠٤.

(٥) انظر: بغية المرتاد لابن تيمية (ص٢٤٨ـ٢٥٠).

ثانيا: **تعريف العقل اصطلاحا.** تعددت آراء الناس في حد العقل ومعناه، وهنا أذكر ما سطره أهل العلم في حده، ثم بعد ذلك أتعرض لذكر مفهومه عند السلف.

قال الباجي[١] في حد العقل: «هو العلم الضروري الذي يقع ابتداء ويعم العقلاء»[٢].

قوله : «العلم الضروري» هو ما يلزم نفس المخلوق بحيث لا يمكنه الانفكاك منه ولا الخروج عنه.

وقوله: «يقع ابتداء» أي من غير تحصيل، ولا كسب له عن طريق أحد الحواس الخمس.

وقوله: «ويعم العقلاء» أي كل عاقل من بني آدم[٣].

وعلى هذا التعريف ملحوظات عدة، فإن العقل يطلق على ما هو أعم من قصره على العلوم الضرورية ، وسيأتي التنبيه على ذلك عند الكلام على مفهوم العقل عند السلف.

المطلب الثاني: مكان العقل. اختلف أهل العلم في مكان العقل من الإنسان:

فقال بعضهم: إن العقل محله الدماغ، أي الرأس.

---

(١) هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الباجي، القرطبي، من كبار فقهاء المالكية، ومن المشتغلين بعلم الحديث رواية ودراية، مات سنة ٤٧٤ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٨)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٥).

(٢) كتاب الحدود في الأصول (ص٣١)، تحقيق: نزيه حماد، مؤسسة الزعبي، ط:١، ١٣٩٢هـ، بيروت.

(٣) انظر: كتاب الحدود (ص٢٥). وراجع للوقوف على تعريف العقل: العدة لأبي يعلى (١/ ٨٣)، أصول الفقه لابن عقيل (١/ ٣٥)، التمهيد للكلوذاني (١/ ٤٣)، قواطع الأدلة للسمعاني (١/ ٢٦)، إحكام الفصول للباجي (ص١٧١).

وهو رأي الحنفية والحنابلة وغيرهم.

وقال بعضهم: محله القلب، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾. وهو رأي المالكية والشافعية وبعض الحنابلة.

ويرى بعض المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية أن العقل له تعلقان: يكون مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة والقصد في القلب، فالمريد لا يكون مريدا إلا بعد تصور المراد، والتصور محله الدماغ(١).

المطلب الثالث: مفهوم العقل عند السلف. لقد تجاذبت آراء الناس في معرفة حقيقة العقل ومعناه ، فخاض فيه المتكلمون والفلاسفة وغيرهم، واضطربت آراؤهم في ذلك، فبين أهل السنة والجماعة المعاني المتعلقة بالعقل، وأنها أربعة معان وهي: العلوم الضرورية ، والعلوم المكتسبة، والعمل بالعلم، والغريزة المدركة.

أولا: العلوم الضرورية. وهي التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات، والواجبات والممتنعات، وهذا المعنى يفرق به بين العاقل والمجنون الذي رفع عنه القلم، وهو مناط التكليف.

ثانيا: العلوم المكتسبة. وهي التي تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره، وتدخل فيه العلوم النظرية التي تحصل بالنظر والاستدلال.

ثالثا: العمل بالعلم، وهذا أيضا يدخل في مسمى العقل، بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح، ولهذا قال بعضهم: «العقل: الإمساك عن القبيح، قصر النفس وحبسها على الحسن»(٢).

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ٣٠٤). وراجع لهذه المسألة: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٣٧٠)، المسودة لآل تيمية (ص٥٥٩ـ٥٦٠).

(٢) انظر: المخصص لابن سيده (١/ ٣/ ١٦)، المكتب التجاري، بيروت.

رابعا: **الغريزة**. وهي التي بها يعقل الإنسان، وهي فيه كقوة البصر في العين، والذوق في اللسان، وقد روي هذا المعنى عن جمع من السلف كابن المبارك، والإمام أحمد وغيرهم[١].

هذه هي المعاني التي ذكرها السلف للعقل، خلافا لمن حصرها في الأمور الضرورية غير المكتسبة[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود أن اسم العقل في اصطلاح جميع المسلمين بل جميع أهل الملل وعامة بني آدم يراد به ما هو قائم بغيره سواء كان علما أو قوة أو عملا بعلم ونحو ذلك، ولا يراد به ما هو جوهر قائم بنفسه إلا في اصطلاح هؤلاء الفلاسفة»[٣].

المطلب الرابع: مرتبة العقل عند أهل السنة والجماعة. لقد رفع الإسلام من شأن العقل إلى مكانة عالية، واعتنى به عناية فائقة، حيث إنه ورد في النصوص الشرعية ما يفهم منها أن انتفاء العقل مذمة، وقد ذكرت معانيه كثيرا في القرآن الكريم كالتفكر والاعتبار والتذكر والتدبر والنظر إلى مخلوقات الله، كلها تومئ إلى أنها أوصاف مدح وكمال المتصف بها، وأن انتفاءها مذمة له وهوان.

ومن تلك العناية أن حرم الله تعالى ما يذهب هذا العقل من الخمور وما كان في حكمه، وحرم ما ينافيه من الترهات والخرافات كالسحر والكهانة والطيرة

---

(١) انظر: روضة العقلاء لابن حبان (ص٤١)، العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (١/ ٧٦)، بغية المرتاد (ص٢٥٧).

(٢) انظر: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٣٧، ٣٨)، بغية المرتاد (ص٢٦٠، ٢٥٧ـ٢٦٣)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ١٦، ٣٠٥، ٢٨٧/ ٣٣٦)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨٩)، المسودة (ص٥٥٨ـ٥٥٩).

(٣) الصفدية (٢/ ٢٥٨).

والتشاؤم ونحو ذلك[١].

إلا أن هذا لا يعني أن السلف أعطوا للعقل في كل مجال وفي جميع العلوم، بل إنهم قصروه في بعضها على الإدراك الإجمالي دون التفصيلي، وفي بعض الحالات ليس للعاقل إلا التسليم والإيمان.

وتفصيل هذا الكلام أن العلوم قسمها أهل العلم إلى أقسام عدة:

أولا: العلوم الضرورية الفطرية، وهي التي لا يمكن التشكيك فيها.

ثانيا: العلوم النظرية المكتسبة بالنظر والاستدلال، فهذه يستند العقل في تحصيلها إلى القسم الأول.

الثالث: العلوم الغيبية، وهذه لا يعلمها العقل إلا بتعليم، ويدخل فيها أكثر مسائل الاعتقاد التفصيلية، وغاية حظ العقل منها ـ سوى الفهم والتسليم ـ إثبات إمكانها، ونفي امتناعها[٢].

فأهل السنة والجماعة لم يعطوا للعقل أكبر من قدره ، ولا جاوزوا حدوده، ولا قالوا : يقدم على السمع، ويحكم فيه، كما سيأتي التفصيل فيه، بل ولا نصبوا العداء بين العقل والنقل، بل العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح.

كما أنهم لم يهملوا العقل ويقللوا من شأنه، بل استعملوه فيما يوافق به الشرع ويعضده، هذا هو المنهج الذي ساروا عليه من حيث الإجمال، وسيأتي مزيد تفصيل في المباحث القادمة إن شاء الله تعالى.

وقبل أن أختم أود أن أشير إلى المثل الذي ضربه شيخ الإسلام ابن تيمية لبيان منزلة العقل حيث مثل العقل في دلالته على صدق الشرع وصحته بالعاميّ الذي

---

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (١/ ١٦٨).
(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣١٨).

علم عين المفتي، ودل غيره عليه، وبين له أنه عالم مفت، فإن دلالة هذا العاميّ على المفتي وتعريفه به لا توجب له أن يقدَّم قوله عليه إذا اختلف معه، بل لا يحق لهذا العامي أن يخالف حكم المفتي العالم ، أو يعارض اجتهاده(١).

ويقول السمعاني في بيان منهج السلف : «واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا للمعقول، وأما أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الاتباع والمأثور، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي ولقال من شاء ما شاء...»(٢).

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٣٨-١٣٩).

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني (١/ ٣٢٠،٣١٩)، صون المنطق للسيوطي (ص١٨٢).

المبحث الخامس

الفطـــــرة

المطلب الأول: تعريف الفطرة لغة. الفطرة : من فطر الشيء يفطره فطرا فانفطر، وفطره، أي شقه وتفطر: تشقق، فالفطر: الشق.

وفطر الله الخلق يفطرهم خلقهم وبدأهم، فالفطر:الابتداء والاختراع، وتطلق أيضا الفطرة على الخلقة[(١)].

ثانيا: تعريف الفطرة اصطلاحا. الفطرة في الاصطلاح مما اختلف فيه أهل العلم إلى أقوال عدة والذي رجحه المحققون منهم أن الفطرة بمعنى الإسلام، وهذا ما سيأتي عرضه في المطلب الآتي.

المطلب الثاني: معنى الفطرة عند السلف.

أولا: معنى الفطرة، اختلف أهل العلم في معنى الفطرة الواردة في الحديث السابق ، والذي عليه عامة السلف أنها بمعنى الإسلام.

وذلك لعدة أدلة منها:

١ـ قوله ﷺ : **(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نَحَلْتُه عبدًا حلالٌ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً...)** الحديث[(٢)].

٢ـ وقال النبي ﷺ : **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو**

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٥١٠)، الصحاح للجوهري (٢/ ٧٨١)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٤٥٧)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٥٥- ٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧) رقم: ٢٨٦٥، من حديث عياض بن حمار.

يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء)، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الآية[(١)].

٣ـ تفسير جمع من السلف لقوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾، وأن المراد من الآية دين الله الإسلام.

ورد ذلك عن سعيد بن جبير[(٢)] ومجاهد[(٣)] وعكرمة[(٤)] وغيرهم[(٥)].

وهذا القول هو الذي رجحه البخاري[(٦)]، وابن تيمية، وابن القيم[(٧)]، وغيرهم[(٨)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢١٩ ـ مع فتح الباري ـ) رقم: ١٣٥٨، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧) رقم: ٢٦٥٨.

(٢) هو سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد، الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي، الإمام الحافظ المقرئ المفسر، من كبار أئمة التابعين، ومتقدميهم في الحديث والتفسير والفقه والعبادة والورع، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ هـ، وعمره تسع وأربعون. انظر: الطبقات لابن سعد (٦/ ٢٥٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١).

(٣) هو مجاهد بن جَبْر أبو الحجّاج المخزومي مولاهم، الإمام المشهور شيخ القراء والمفسرين، سكن الكوفة وكان كثير الأسفار والتنقل، مات سنة ثلاث ومائة، وقيل غير ذلك. انظر: الطبقات لابن سعد (٥/ ٤٦٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩)، تقريب التهذيب (٦٥٢٣).

(٤) هو عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس، عالم بالتفسير ، من الثقات الأثبات، من أعلم الناس بالتفسير في عصره، مات سنة ١٠٤ هـ، وقيل بعد ذلك. انظر: التاريخ الكبير (٧/ الترجمة ٢١٨)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢ـ٣٦).

(٥) انظر: جامع البيان (٩/ ٤٠ـ٤١)، التمهيد (١٨/ ٧٢)، درء التعارض (٨/ ٣٧٤).

(٦) انظر: صحيح البخاري، التفسير، سورة الروم، باب ﴿لا تبديل لخلق الله﴾، (٨/ ٥١٢).

(٧) انظر: شفاء العليل (٢/ ٧٨٣).

(٨) انظر للتوسع: التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٦٨-٤٢٦-٤٣٢)، درء التعارض (٨/ ٣٧١ـ٣٧٢،٣٨٧-٣٩٠، ٤٦٦٨،٤٥٤،٤٢٥،٤٢٣،٤١٠)، الرسائل الكبرى لابن تيمية (٢/ ٣٣٧)، شفاء العليل (٢/ ٧٧٥ـ٨٣٦)، أحكام أهل للذمة (٢/ ٥٢٣-٦١٦)، الروح كلها لابن القيم (ص٢٦١)، فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٨-٢٤٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « الآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول الذي رجحناه، وهو أنهم ولدوا على الفطرة ثم صاروا إلى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة، ولا تدل على أنه حين الولادة لم يكن على فطرة سليمة مقتضية للإيمان مستلزمة له لولا المعارض» (١).

ثانيا: معنى دلالة الفطرة عند السلف: إن السلف رضوان الله عليهم لما فسروا الفطرة الواردة في الحديث بالإسلام لم يقصدوا أن الولد يولد عالما بأحكام الدين من التوحيد وغيره، وإنما قصدوا أن الفطرة تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته وتوحيده وذلك من غير سبب خارجي.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسلما» (٢).

ويزيد هذا وضوحا تقرير ابن القيم لهذه المسألة حيث قال: «ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل: ولد على الإسلام فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده فإن الله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾(٣)، ولكن فطرته موجبة ومقتضية لدين الإسلام لمعرفته ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض»(٤).

---

(١) درء التعارض (٨/ ٤١٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٤٧)، وانظر: درء التعارض (٨/ ٣٨٣، ٤٥٤).

(٣) سورة النحل، الآية ٧٨.

(٤) شفاء العليل (٢/ ٧٨٩)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٩).

فالسلف قد بينوا دلالة الفطرة على مباحث العقيدة وهي كثيرة مبثوثة في كتبهم، كالإيمان بوجود الله ، وإثبات علوه على خلقه إلى غير ذلك من المسائل التي سيأتي التنبيه عليها.

ومما قاله أهل العلم في باب توارد الأدلة على سبيل الإجمال ما سطره الإمام ابن القيم في ذلك قائلا: «إن الله سبحانه منح عباده فطرة فطرهم عليها لا تقبل سوى الحق ولا تؤثر عليه غيره لو تركت، وأيدها بعقول تفرق بين الحق والباطل، وكملها بشرعة تفصل لها ما هو مستقر في الفطرة، وأدركه العقل مجملا، فالفطرة قابلة والعقل مزك والشرع مبصر مفصل لما في الفطرة، ... فاتفقت فطرة الله المستقيمة والعقل الصريح والوحي المبصر المكمل على الإقرار بموجود فطر هذا العالم بجميع ما فيه عاليه وسافله وما بينهما»[(١)].

فما ركز في الفطر من معرفة الله ومحبته والإخلاص له والإقرار بشرعه فإنما يُعرَف ذلك ويُشعَر به مجملا، ثم جاءت الرسل تذكرها بذلك، وتنبهها عليه، تفصله لها، وتبينه[(٢)].

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٧-١٢٧٨).
(٢) انظر: شفاء العليل (٢/ ٨٢١).

الفصل الأول

الاعتصام بالكتاب والسنة

إن أهم ما يتميز به أهل السنة والجماعة عن غيرهم في معرفة الحق والعمل به أنهم يعتصمون بالكتاب والسنة في كل أمور الدين، ويرون أن في النصوص غنية عما أحدثه المحدثون من أهل التصوف والكلام، ويجعلون قدوتهم فيما يقومون به نبينا محمد ﷺ ، ولا يسلمون إلا للنصوص، ولا يعارضونها بالعقل ، بل يؤمنون بمتشابه النصوص، ويتبعون محكمه، ويقولون: ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

وفيما يأتي من المباحث تفصيل لما أجمل ها هنا.

المبحث الأول

وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ

إن الإيمان بالله تعالى يوجب على العبد طاعته في كل ما أمر به والانتهاء عن كل ما نهى عنه، وهذا المنهج هو الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، وأتباعهم من خير هذه الأمة وأئمتها، حيث إن الكتاب والسنة هما المصدر الأساسي للحق، وهو الميزان الصحيح الذي توزن به الأقوال والأفعال، وقد جاءت النصوص الكثيرة تحث على اتباعهما وتوجب الاعتصام بهما، والأدلة على ذلك كثيرة جداً أقتصر فيما يلي على أهمها.

المطلب الأول: الأدلة من الكتاب على وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ. جاءت الآيات الكثيرة فيها الأمر بطاعة الله ورسوله ﷺ، ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ

(١) سورة النساء: الآيتان ١٤،١٣.

(٢) سورة الأحزاب: الآيات ٦٦-٦٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٢.

وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[2].

٦ـ وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[3].

٧ـ وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾[4].

إلى غير ذلك من الآيات.

وقال ابن تيمية: "وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه"[5].

المطلب الثاني: الأدلة من السنة على وجوب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ .

١ـ عن أبي هريرة مرفوعا: (**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**)[6].

٢ـ وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله**)[7].

٣ـ وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل**

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٢.

(٤) سورة محمد: الآية ٣٣.

(٥) الفتاوى (١٩/ ١٠٣).

(٦) أخرجه البخاري ١٣/ ٢٤٩، رقم: ٧٢٨٠.

(٧) أخرجه البخاري ١٣/ ١١١، رقم: ٧١٣٧، ومسلم ٣/ ١٤٦٦، رقم: ١٨٣٥.

رجل أتى قوما فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاة، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق)[(١)].

٤ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فقال: يا أيها الناس: إني تركت فيكم، ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنتي)[(٢)].

٥ـ وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (...فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ)[(٣)].

المطلب الثالث: أقوال السلف في وجوب اتباع الكتاب والسنة. ورد عن جمع من السلف في الحث على اتباع الكتاب والسنة وترك الابتداع آثار كثيرة ومن ذلك:

ـ عن ابن عباس ـ لما سأله أحدهم: أوصني ـ قال: (عليك بالاستقامة واتباع الأثر، وإياك والتبدّع)[(٤)].

ـ وعن الزهري[(٥)] رحمه الله قال: (كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٥٠)، رقم: ٧٢٨٣، ومسلم (٤/ ١٧٨٨)، رقم: ٢٢٨٣.

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الدارمي في سننه (١/ ٥٣)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٥٢)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٣٧ـ٣٣٩)، رقم: ٢٠٠ـ٢٠٦.

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، القرشي المدني، الإمام العلم المقدم في الحديث، أحد أعلام التابعين، مات سنة ١٢٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/ ٤٤٥).

بالسنة نجاة)[١].

ـ وعن عمر بن عبد العزيز يقول : « سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من اهتدى بها مهتدي ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم، وساءت مصيرا» [٢].

إلى غير ذلك من الآثار التي وردت عن السلف في هذا الشأن.

وهذا الأصل قد اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا عظم هذا الأصل: « وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنة كثيرة ، وترجم عليه أهل العلم في الكتب كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، كما ترجم عليه البخاري والبغوي وغيرهما، فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين» [٣].

ويصف شيخ الإسلام ابن تيمية سلف هذه الأمة في بيان منهجهم في التلقي والاستدلال: «وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم» [٤].

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٤٥)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣١٩، رقم: ١٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (رقم: ١٣٦، ١٣٧).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (رقم: ٣٤)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٥٢ـ٣٥٣ رقم: ٢٣٠).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/ ٦٢٣).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٢٨)، وانظر: (١٦/ ٤٧١ـ٤٧٢).

المبحث الثاني

رد التنازع إلى الكتاب والسنة

كما أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله أوجب الله تعالى على عباده أن يردوا كل ما تنازعوا فيه إلى الكتاب السنة .

ومعنى الرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه في حياته، وإل سنته بعد موته[١]، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١ـ قال جل من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[٢].

قال القرطبي ـ عند كلامه على الرد إلى الله ورسوله ﷺ ـ: «أي ردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله أو إلى سنة رسوله ﷺ بالسؤال في حياته أو بالنظر في سنته بعد وفاته ﷺ ، هذا قول مجاهد، والأعمش، وقتادة وهو الصحيح»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الكلام على هذه الآية والتي بعدها: «وفي هذه الآيات أنواع من العبر الدالة على ضلال من تحاكم إلى غير الكتاب والسنة ، وعلى نفاقه، وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية وبين ما يسميه هو عقليات، من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت من المشركين وأهل الكتاب وغير ذلك من أنواع الاعتبار»[٤].

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٣٥).

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦١).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٥٨).

٢ـ و قال الله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[١]. ففي الآية جعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ من لوازم الإيمان[٢].

٣ـ وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[٣].

٤ـ وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾[٤].

قال ابن كثير ـ عند قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ ـ : «وهذا أمر من الله بأن كل شيء تنازع فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾، فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال ولهذا قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾، أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله واليوم الآخر»[٥].

وبين رحمه أن ما وقع بين العباد من اختلاف فعليهم أن يردوه إلى الله وهو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه ﷺ[٦].

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٢) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٣٥٢ـ٣٥٣).

(٣) سورة النور: الآية ٦٣.

(٤) سورة الشورى ، الآية ١٠.

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٥١٨).

(٦) انظر: المصدر السابق (٤/ ١٠٨).

وقد جاء في السنة أيضا ما يوضح هذه الحقيقة قال النبي ﷺ : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)[(١)] .

وقال النبي ﷺ: (يا أيها الناس: إني تركت فيكم، ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنتي)[(٢)].

وقد جاء عن السلف الصالح وقائع عدة تدل على هذا الأصل العظيم، ومن ذلك :

- ما جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: (سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[(٣)].

- ما جاء عن أبي بكر ﷺ عند موت النبي ﷺ حيث قال: (ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[(٤)]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[(٥)(٦)].

(١) تقدم تخريجه ص ٤٢.
(٢) تقدم تخريجه ص ٨٧.
(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٧٠)، رقم: ٢٤١٠.
(٤) سورة الزمر، الآية ٣٠.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.
(٦) أخرجه البخاري قول النبي ﷺ : (لو كنت متخذا خليلا)، (٧/ ١٩-٢٠)، رقم: ٣٦٦٧، ٣٦٦٨.

ـ وكذلك ما جاء في مناظرات أهل العلم لأهل الأهواء، فقد سجل السلف أروع المثل في صدقهم مع الله تعالى وتمسكهم بالكتاب والسنة، وأن الله تعالى إنما نصرهم وخذل أعداءهم بتمسكهم بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ.

فهذا الإمام عبد العزيز الكناني رحمه الله(١)، لما ناظر بشر المريسي الضال بين يدي الخليفة المأمون في مسألة خلق القرآن التي ابتدعها المعتزلة الجهمية، فاحتج عليهم الإمام عبد العزيز الكناني بالكتاب والسنة.

واستشهد للأصل الذي يرجع إليه عند الاختلاف بقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾(٢)(٣).

---

(١) هو عبد العزيز الكناني، أبو الحسن ، المكي، الإمام ، علم أهل السنة، جرت له المناظرة المشهورة مع بشر المريسي فقطعه وأظهر الله عليه، وهو صاحب كتاب الحيدة، توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/ ٤٤٩)، شذرات الذهب (٢/ ٩٥).

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) انظر: الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن للإمام عبد العزيز الكناني (ص٤٢،٣٢).

المبحث الثالث

دلالة نصوص الكتاب والسنة

إن السلف رضوان الله عليهم قد نبهوا على تنوع دلالة الكتاب والسنة مما هو يدخل ضمن الاعتصام بالنصوص الشرعية، حيث يرون أن منها ما دلالته شرعية ومنها ما يكون دلالته عقلية، وهذا ما أغفله كثير من المتكلمين الذين يتكلمون بما لا يعلمون، حيث إنهم ظنوا أن أدلة الكتاب والسنة مجرد أخبار، ليست لها دلالة عقلية، فراحوا يطلبون في المنطق الأرسطي[(١)] والفلسفي[(٢)] ما يسد لهم هذه الثغرة زعموا، ولو أنهم تمسكوا بدلائل الكتاب والسنة وفهموا النصوص الشرعية كما فهمها السلف لكانوا في غنى عما ابتدعوه وأضلوا به أنفسهم وغيرهم من اتباع المعقولات التي هي مخالفة للدلائل السمعية.

فالحاصل أن دلالة النصوص الشرعية ليست مجرد الإخبار كما يظنه المتكلمون[(٣)] والفلاسفة، بل إن الله تعالى ضمّن فيما أخبر به عن نفسه وأسمائه

---

(١) المنطق : هو النظر في الأدلة والمقاييس العقلية وشروط مقدمات البرهان ، وكيفية تركيبها ، وشروط الحد وكيفية ترتيبها، انظر: المنقذ من الضلال للغزالي (ص١٤)، ونقض المنطق (ص١١٥). والمنطق الأرسطي هو العلم بنظريات أرسطو، وأما أرسطو: فهو فيلسوف يوناني تتلمذ على أفلاطون ، وكان يلقي الدروس ماشيا، فسمي هو وأتباعه المشاؤون، مات قبل الميلاد بـ ٢٢٢ سنة، انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١/ ١١٧).

(٢) الفلسفة: لفظة مأخوذة من لغة اليونان، وهي مركب من مقطعين 'فيلو' ومعناها محب، و'سوفيا' ومعناها الحكمة، فمعنى مجموع التركيب : محبة الحكمة. انظر: المعجم الفلسفي (٢/ ١٦٠)، الملل والنحل (٢/ ٥٨).

(٣) المتكلمون: نسبة إلى علم الكلام، قال التفتازاني في تعريفه: الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية ، شرح المقاصد (١/ ١٦٣). وانظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٤ـ٥)، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٣٠).

وصفاته من الأدلة والآيات والأقيسة التي هي الأمثال المضروبات ما بَيَّن ثبوت المخبَر بالعقل الصريح[(١)].

وما قرره السلف في هذا الباب يدل عليه إجمالا قول الله جل وعلا: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحا هذه الحقيقة: «الكتاب والسنة يدلان بالإخبار تارة ، والتنبيه تارة، والإرشاد والبيان للأدلة العقلية تارة، وخلاصة ما عند أرباب النظر العقلي في الإلهيات من الأدلة اليقينية والمعارف الإلاهية، قد جاء به الكتاب والسنة، مع زيادات وتكميلات لم يهتد إليها إلا من هداه الله بخطابه، فكان فيما جاء به الرسول من الأدلة العقلية والمعارف اليقينية فوق ما في عقول جميع العقلاء من الأولين والآخرين»[(٣)].

وقال أيضا: «الأدلة العقلية والسمعية متلازمة، كل منهما مستلزم صحة الآخر، فالأدلة العقلية تستلزم صدق الرسل فيما أخبروا به، والأدلة السمعية فيها بيان الأداة العقلية التي بها يعرف الله ، وتوحيده، وصفاته، وصدق أنبيائه، ولكن من الناس من ظن أن السمعيات ليس فيها عقلي، والعقليات لا تتضمن السمعي، ثم افترقوا: فمنهم من رجح السمعيات وطعن في العقليات، ومنهم من عكس، وكلا الطائفتين مقصر في المعرفة بحقائق الأدلة السمعية والعقلية»[(٤)].

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٤٦ـ٢٤٧)، درء التعارض (٨/ ٣٥٤)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٨)، الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٠).

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) منهاج السنة (٢/ ١١٠)، وانظر: درء التعارض (٧/ ٢٨٩)، مجموعة الرسائل لابن تيمية (٢/ ١٩٥ـ١٩٦).

(٤) درأ تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٤)، وانظر: (١/ ٢٨، ٧/ ٣٥٢)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٢٩٦،٣٣١، ٣٣٢).

ويزيد ابن القيم هذا المعنى وضوحا بقوله: « الأدلة السمعية نوعان:

نوع دل بطريق التنبيه والإرشاد على الدليل العقلي، فهو عقلي سمعي، ومن هذا غالب أدلة النبوة والمعاد والصفات والتوحيد...

وهو أصل للنوع الثاني الدال بمجرد الخبر.

فالقدح في النوعين بالعقل ممتنع بالضرورة »(١).

ولزيادة في توضيح هذا الأصل يحسن ذكر نماذج من الدلالات الشرعية العقلية على مسائل من أصول الاعتقاد.

مطلب: نماذج من الدلائل الشرعية العقلية على مسائل الاعتقاد.

الذي عليه سلف الأمة أن نصوص الكتاب والسنة فيها غنية لكل مؤمن فيما يتعلق بأمور دينه في الاعتقاد أو العبادات القولية والفعلية والمعاملات، فهو مشتمل على الدين كله كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢).

ومن هذا الباب ما ذكره أهل العلم من الدلائل الشرعية العقلية التي تدل على مسائل الاعتقاد، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الشارع قد نبه على الدلالة العقلية في كل ما يمكن علمه بالعقل، كما حصل ذلك في مسائل أصول الدين الكبار(٣).

ومن ذلك معرفة ربوبية الله على خلقه وأن ذلك يكون بالتأمل في دلائل الله الكونية والشرعية، وخاطب عباده بالأمر بالتفكر فيها، لما في ذلك من إثبات ربوبية

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٠٨-٩٠٩)، وانظر: (٢/ ٧٩٣-٧٩٤).

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٢٣٠-٢٣١).

الله تعالى، وأنه هو الذي يستحق العبادة دون ما سواه من المعبودات الباطلة.

أولا: الأمر بالتأمل والتفكر في آيات الله تعالى. لقد دعا القرآن الكريم العباد في عدة آيات إلى النظر في ملكوت السموات والأرض، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥ ﴾[3].

والمقصود بالنظر، هو النظر فيما بُعث به الرسول من الآيات والهدى، لا ما يدعيه المتكلمون[4].

ومنهج السلف في هذا واضح، فهم يدعون إلى النظر والاستدلال والاعتبار بالآيات والأدلة التي بعث الله بها رسوله، وتدبر القرآن وما فيه من البيان[5].

ومن هذا ما ذكره ابن كثير في تفسير الآيات السابقة من أن الله تعالى يرشد عباده إلى التفكر في آلائه وما خلق الله في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، وأنها بتسخير القدير الذي لا إله إلا هو ولا رب سواه[6].

وقال ابن سعدي في تقرير هذا: «يقول تعالى داعيا عباده إلى التفكر والاعتبار: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ ﴾، وذلك شامل لنفس الأرض وما فيها من

---

(١) سورة يونس، الآية ١٠١.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان ٢٠،٢١.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٥.

(٤) انظر: النبوات (١/ ٢٩٠)، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٦/ ١٣).

(٥) انظر: النبوات (١/ ٢٩١).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٩٩)، وراجع : فتح القدير للشوكاني (٢/ ٦٦٥).

جبال وبحار وأنهار وأشجار ونبات تدل المتفكر فيها المتأمل لمعانيها على عظمة خالقها، وسعة سلطانه وعميم إحسانه، وإحاطة علمه بالظواهر والبواطن، وكذلك في نفس العبد من العبر والحكمة والرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد الفرد الصمد ، وأنه لم يخلق الخلق سواه» (١).

وليس المقصود بالتفكر مجرد الصمت عن الكلام، بل بين أهل العلم أهميته، وحقيقته؛

ـ فالتفكر والنظر والاعتبار وغير ذلك من المعاني المتقاربة، توقع صاحبه من الإيمان ما لا يوقعه العمل بمجرده، فإن التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له، وتميّز مراتبها في الخير والشر، ومعرفة مفضولها من فاضلها، وأقبحها من قبيحها، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها، والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه(٢).

ـ وأما عن حقيقته فإن الإمام ابن القيم قد بين ذلك، قال رحمه الله : «إذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه، وبوحدانيته وصفات كماله، ونعوت جلاله، من عموم قدرته وعلمه ورضاه ، فبهذا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته» (٣).

ومن أهم مجالات النظر والتفكر عند السلف التأمل في القرآن الكريم، لاستخراج كنوزه وعلومه، ويتجلى ذلك في أمور كثيرة أقتصر هنا على بعض ما يتعلق بهذا المبحث، ومن ذلك:

ـ التأمل في الأمثال المضروبة في النصوص الشرعية.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٨٠٩).
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٥٤٠، ٥٤٤).
(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥).

ـ التفكر في المخلوقات.

ـ تذكر الآخرة، وما بعد الموت.

ـ الاعتبار بإهلاك الله للأمم الغابرة(١).

ثانيا: تنوع دلائل معرفة الله تعالى: إن ما يجده المرء في نفسه من آثار الصنعة ودلائل الحكمة ليشهد لكل ذي عقل على وجود الله تعالى، وربوبيته لخلقه، وأنه الموصوف بصفات الكمال من الحكمة والعلم، والقدرة وغيرها، وأنه المستحق لصفات الكمال، ومن ذلك:

١ـ الاعتبار بدلالة الأنفس: مما وضحه أهل العلم في هذا الباب أن طريق الاستدلال بخلق الإنسان هو من أحسن الطرق في الاستدلال على الخالق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحا هذه الأهمية: "الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وشرعية دل القرآن عليها"(٢).

بل دعا القرآن الكريم إلى تدبر هذا المسلك والنظر فيه، وهدى الناس وأرشدهم إليه، قال الله تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(٣)(٤).

ومن النصوص القرآنية التي فصلت في خلق الإنسان داعية إلى التدبر فيه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ

---

(١) انظر: التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة لعبد الله اللحيدان، مجلة البحوث الإسلامية، عدد ٦٦، ص ١٤٥ـ١٦٢.

(٢) النبوات (١/ ٢٩٢).

(٣) سورة الذاريات، الآية ٢١.

(٤) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٥٤).

تُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[١].

فإذا فكر المرء في نفسه رآها مدَبَّرة وعلى أحوال شتى مصرفة، فإنه بدأ من كونه نطفة ثم علقة ثم صار مضغة، فعظاما ولحما، وهو أيضا يرى نفسه شابا، فكهلا، ثم يصير شيخا، فلم يفعل ذلك كله لنفسه، ولا في وسعه الرجوع إلى الشباب حالة كونه في المشيب، فيعلم بهذا أن له خالقا حكيما قادرا على كل شيء[٢].

ومما أشاد القرآن الكريم به في هذا الباب ما ذكره الله تعالى من حسن خلق الإنسان حيث قال جل وعلا: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[٣]، فإن العبد إذا نظر إلى جوارحه والأعضاء المعدة للأفعال التي هي خاصة به، علم أن هناك من اجتباه وأحسن خلقته وأحسن فطرته، وأنه لا يوجد أحد من المخلوقات أحسن من بني آدم خلقة، وتيقن بوجود رب خالق عليم قدير، فيزداد إيمانا بالله تعالى وتصديقا بكتابه ، وبما أخبرت به رسله.

وقد سلك أهل العلم رضوان الله عليهم طريقة القرآن الكريم في الاستدلال بآيات في خلق الإنسان على وجود الله وربوبيته ، ومن هؤلاء :

قول أبي الشيخ الأصبهاني[٤]؛ حيث بين أن دليل خلق الإنسان من أعظم

---

(١) سورة غافر، الآية ٦٧.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٧٨)، منهج القرآن في الدعوة إلى الله للشيخ علي بن محمد ناصر الفقيهي (ص٦٩-٧٠).

(٣) سورة التين، الآية ٤.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ، المشهور بأبي الشيخ الأصبهاني، الإمام، الحافظ، وله من المصنفات طبقات المحدثين بأصبهان، توفي سنة ٣٦٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٦-٢٨٠)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٩٤٥).

الآيات الدالة على ربوبية الله ووحدانيته[(١)].

ومن أولئك الأعلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال ـ في سياقه لتقرير هذا المسلك ـ :"وأما هنا فالمقصود ذكر ما يدل على الخالق تعالى ابتداء فذكر أنه خلق الإنسان من علقة وهو من العلقة، ثم يصير مضغة، وهو قطعة لحم، ثم تخلق فتصور...فهذا الدليل ـ وهو خلق الإنسان من علقة ـ يشترك فيه جميع الناس، فإن الناس هم المستدلون وهم أنفسهم الدليل، والبرهان، والآية كما قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[(٢)(٣)].

ومن هؤلاء ابن القيم رحمه الله تعالى، فقد تحدث عن دلالة القرآن الكريم وأنه دعا الإنسان إلى التفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره، إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، ولو فكر المرء في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفرها، قال تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[(٤)(٥)].

وكلام السلف في توضيح منهج القرآن الكريم في الاستدلال بخلق الإنسان على فاطره وخالقه كثير مشهور، وإنما آثرت الاقتصار على من ذكرت للاختصار.

٢ـ اعتبار دلالة الآفاق: يعتبر هذا المسلك من الدلائل البديعة التي عرضها القرآن الكريم بالأساليب المختلفة والطرق المتعددة شاملا في ذلك لجميع المخلوقات، وهي آيات واضحات جعلها الله نبراسا وطريقا لعباده في معرفة الخالق

---

(١) انظر: العظمة (١/ ٢٧١ـ٢٨٧).

(٢) سورة الذاريات ، الآية ٢١.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٢٦٢).

(٤) سورة عبس، الآية ١٧ـ١٩.

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٥ـ٢٨).

وربوبيته، ودليلا على تفرده بالخلق والتدبير، وأنه المستحق للعبادة وحده.

ومن أعظم الآيات التي يتجلى فيها هذا الإبداع خلق السموات والأرض، فقد بين سبحانه في عدة مواطن من كتابه إحكامها وإتقانها، وأنها آية من الآيات العظمى التي يستدل بها على عظمة الله تعالى ، وحسن صنعه، فيدعو العبد إلى تحقيق العبادة له، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[(١)][(٢)].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[(٣)].

وقد ذكر الطبري أن الله تعالى نبه بهذه الآية على وحدانيته وتفرده بالألوهية دون كل ما سواه من الأشياء بهذه المخلوقات، وأنها أيضا دالة على وجود الله وربوبيته بطريق الأولى[(٤)].

وقد سلك أهل العلم في الاستدلال على الخالق طريق النظر في عجائب المخلوقات؛ ومن هؤلاء الأعلام:

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٩٠ـ١٩١.

(٢) انظر: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان (ص٤٦ـ٦٧).

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٤

(٤) انظر: جامع البيان (٢/ ٦٢، ٦٥ـ٦٦). وراجع: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧ـ١٩٨).

الخطابي(١)؛ فقد قال رحمه الله في تقرير هذا الدليل: «إنك إذا تأملتَ هيئةَ العالَم ببصرِك، واعتبرتَ بفكرِك وجدتَه كالبيتِ المبنيِّ المعدِّ فيه جميعَ ما يحتاج إليه ساكنُه من آلةٍ وعتاد، فالسماءُ مرفوعةٌ كالسقفِ، والأرضُ ممدودةٌ كالبساطِ، والنجومُ منضودةٌ كالمصابيح، .....، وفي هذا كله دلالةٌ واضحة على أن العالَم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام ، وأن له صانعاً حليماً تامَّ القدرةِ بالغَ الحكمة» (٢).

كما أنك تجد الإمام ابن منده، وتبعه عليه قوام السنة الأصبهاني(٣)، ممن توسع في نهج ما قرره القرآن الكريم في الاستدلال بالخلق على الخالق(٤).

وقد اعتنى ابن القيم بهذا الطريق وأفاض في ذكر الآيات الباهرة والمخلوقات العظيمة، وذكر منها: خلق السموات والأرض، والشمس والقمر والنجوم، والهواء، والحيوان والثمار والفواكه وغيرها، وأنها شاهدة بأن الله هو رب كل شيء ومليكه وأنه المستحق للعبادة(٥).

ومن هؤلاء أيضا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

---

(١) هو حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، أبو سليمان ، الخطابي، البستي الشافعي، العالم الورع المحدث، له من المصنفات معالم السنن، مات سنة ٣٨٨ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤ـ٢١٦)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣ـ٢٨).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ١٨٠).

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر، أبو القاسم، القرشي، التيمي، الأصبهاني، الشهير بقوام السنة، له كتاب الترغيب والترهيب، ودلائل النبوة وغيرهما، مات سنة ٥٣٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٠-٨٨)، تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٧٧).

(٤) انظر: التوحيد لابن منده (١/ ٩٧-١١٥)، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٤١٦ـ٤٢١).

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٣١ـ١٧٣).

تعالى[١]، قال رحمه الله تعالى: «وإذا قيل لك: بمَ عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع، ومن فيهن وما بينهما، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ »[٢].

وبالجملة فإن هذه المخلوقات العظيمة منها والدقيقة من تأمل في عجائب خلقها، وما أودع فيها من الحكم، ليدرك كل عاقل منصف أنها من رب العالمين، وأن فطرته تشهد به وتقر بوحدانية الله تعالى وأنه هو المستحق للعبادة.

ومما يبين أهمية دلالة الآفاق ما أشار إليه ابن القيم من أن آيات الله الكبرى المنثورة في ملكوت السموات والأرض كلها تشهد على ربوبيته تعالى وألوهيته، وأنها شواهد حكمته وآيات قدرته، فلا يستطيع العقل أن يردها ولا أن يجحدها إلا أن تكون المكابرة باللسان، فأما من له في كل شيء محسوس أو معقول آية بل آيات مؤدية عنه فإنه سيقر بأن الله الذي لا إله إلا هو هو رب العالمين[٣].

فهذا كلام أهل العلم فيما يتعلق بدليل الخلق من حيث النظر إلى مدلوله الحسي، وبالمشاهدة، وأما النظر من جهة حدوثه عقلا، فهذا ما سأتعرض له في سالآتي.

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، الإمام، العالم، المجدد، ناصر السنة، وقامع البدعة، له من المصنفات كتاب التوحيد ، وأصول الإيمان، وكشف الشبهات، توفي سنة ١٢٠٦ هـ. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر (١/ ١٨٠)، عقيدة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي لفضيلة الشيخ صالح بن عبد الله العبود (١/ ١١٧ـ٢٥٣) .

(٢) الأصول الثلاثة ـ مع حاشية ابن قاسم ـ (ص٢٩ـ٣١).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ١٣٢).

٣ـ اعتبار دلالة العقل: إن الاعتبار والتفكر في آيات الله وفيما جعله الله في هذا الكون من النظام البديع والدقة المتناهية، وما يشاهده الإنسان من تغير الأشياء الموجودة، فينعدم بعضه ويحدث غيرها، فإن العاقل يدرك وجود خالق لهذه الأشياء مدبرٍ لها ومنظم.

وكذلك إذا نظر إلى نفسه وأنه حادث بعد عدمه، مع إقراره فطرة بأن الحادث بعد عدمه لا بد له من محدِث، فإنه يوقن أيضا بربٍّ عليم قادر على كل شيء، متصف بصفات الكمال.

ونصوص الكتاب والسنة جاءت واضحة جلية عند الناس أجمعين، وهي كافية في معرفة الله جملة وتفصيلا، ومن المسالك التي نهجها أهل العلم مما نبه عليها القرآن الكريم ألا وهي الدلالة العقلية التي يخضع لها كل عاقل منصف، ولا ينكرها إلا مكابر أو مختل العقل. قال الله جل وعلا مقررا هذه الحقيقة: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١)(٢).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية وجه الاستدلال من الآية فقال: « وذلك أن هذا تقسيم حاصر ذكره الله بصيغة استفهام الإنكار ليبين أن هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها ، يقول: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾ أي من غير خالق خلقهم أم هم خلقوا أنفسهم؟ وهم يعلمون أن كلا النقيضين باطل، فتعين أن لهم خالقا خلقهم» (٣).

ويوضح هذا قوله: « إذ كان كل من القسمين : وهو كونهم خلقوا أنفسهم من غير خالق، وكونهم خلقوا أنفسهم معلوم الانتفاء بالضرورة فإن الإنسان يعلم

---

(١) سورة الطور، الآية ٣٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٣٥٧ـ٣٥٩)، وانظر: درء التعارض (٣/ ٩٨).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٣٥٩)، وانظر: (٢/ ١١).

بالضرورة أنه لم يحدث من غير محدِث، وأن محدثه ليس هو إياه علماً ضروريا ، ثبت بالضرورة أن له محدِثا خالقا غيره» [١].

من خلال ما سبق من كلام شيخ الإسلام يتبين أن ما يشهد الناس من الحوادث في الكون آيات دالة على الفاعل المحدِث، وعلى الخالق أيضا من حيث يعلم أنه لا يحدثها إلا هو، وأن كل حادث يدل على الخالق جل وعلا.

ومن جهة الأخرى فإن النظر في خلق الإنسان وأنه حادث بعد أن لم يكن، ومولود ومخلوق من نطفة ثم من علقة، فإن هذا يعلمه الناس بعقولهم، ويدركون به أن خالقهم وفاطرهم هو الله سبحانه وتعالى [٢].

وقد قرر السلف هذه الدلالة في مناظراتهم وغيرها من المسائل ومن ذلك:

١ـ ما جاء عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قد دحض شبهة المنكرين لوجود الله بضرب المثل المتضمن المسلك العقلي، الذي يقطع كل منكر مكابر.

فإنه ورد أن طائفة من الملاحدة قال له: ما الدلالة على وجود الصانع؟ فقال لهم: دعوني، فخاطري مشغول بأمر غريب ، قالوا: ما هو ؟

قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة، وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها، فقالوا له: أمجنون أنت؟

قال: وما ذاك؟ قالوا: أهذا يصدقه عاقل؟

فقال: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة وهذا الفلك الدوار السيار يجري وتحدث هذه الحوادث بغير

---

(١) درء التعارض (٣/ ١١٣)، وانظر: (٣/ ١٢٤)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٤٤٤)، التدمرية (ص٢٠).

(٢) انظر: درء التعارض (٣/ ١٢٤)، النبوات (١/ ٢٩٢ـ٢٩٣).

محدث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرّك؟ فرجعوا إلى أنفسهم بالملام[(١)].

٢ـ وقد ذكر الإمام عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله تعالى[(٢)] نحو هذا، حيث نص على أن هذا الطريق شرعي عقلي، يشهد له العقل ويزداد به يقينا، وذلك في كلامه على قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾، فذكر فيه نحو ما نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)].

وبعد عرض أقوال العلماء الذين استغنوا بالنصوص الشرعية عن المناهج المحدثة يتبين أن طريقهم هو طريق القرآن الذي خوطب به العقل، وأنه يهديه إلى خالقه وبارئه بأقرب الطرق وأيسرها، متسم بسهولة الفهم والنفع الأعظم، وأنه قاطع للشكوك والشبه، وملزم للمعاند والجاحد[(٤)].

والسلف إذ يقررون هذا المسلك يدركون مخاطر ومفاسد الطرق الكلامية، ممن يستدل على وجود الله تعالى بأن الخلق والحدوث لا يعرف إلا بالاستدلال على حدوث الأعراض أولا، ثم ملازمتها للجواهر ثانيا، ثم القول بأن الجواهر لما لازمت الأعراض وهي حادثة كانت حادثة أيضا، وهذا مسلك المتكلمين وغيرهم

---

(١) انظر: درء التعارض (٣/ ١٢٦ـ١٢٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٩٧)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٥ـ٣٦)، شرح الفقه الأكبر لعلي بن سلطان القاري (ص١٤).

(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، أبو عبد الله، الشهير بابن سعدي، العلامة، الفقيه، الأصولي، الورع الزاهد، من مصنفاته البديعة توضيح الكافية الشافية، تيسير الكريم الرحمن وغيرهما، مات سنة ١٣٧٦ هـ.
انظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (١/ ٢١٩)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢١٨).

(٣) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة لابن سعدي (ص٢٥٨)، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة (ص٧٣ـ٨٥).

(٤) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٠).

ممن لجأ إلى هذه الطريقة، والتزموا في ذلك مقدمات طويلة ومعقدة أوقعتهم في الاضطراب والحيرة[١].

ومن أحسن ما وصف به أهل العلم طريقة المتكلمين والفلاسفة وغيرهم أنها لحم جمل غثٌّ على رأس جبل وعْرٍ، لا سهلٌ فيُرتقى، ولا سمين فينتقل[٢][٣].

ومن أحسن المقال في هذا المقام، ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "هذا وإن القرآن وحده لمن جعل الله له نورا أعظم آية ودليل وبرهان على هذه المطالب، وليست في الأدلة أقوى ولا أظهر ولا أصح دلالة منه من وجوه متعددة جدا، كيف وقد أرشد ذوي العقول والألباب فيه إلى أدلة هي للعقل مثل ضوء الشمس للبصر.

ثم قال: فأي دليل على الله أصح من الأدلة التي تضمنها كتابه كقوله تعالى: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٢٦٨)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٥٤)، درء التعارض (٩/ ٦٦)، الإمام ابن تيمية للجَلَيْنْد (ص٢٨٤).

(٢) انظر لهذا الوصف: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٢٢، ٧/ ٥٨٧)، الصواعق المرسلة (١/ ٣٣٥)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٣٨).

(٣) انظر للتوسع في المسألة: مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٤٧-٢،٤٨/ ٩-١٤، ١٦/ ٢٦٧-٢٦٨، ١٧٢-٢٧٢) درء التعارض (٧/ ٨،٣٠٩،٢٣٥،٢١٩/ ٤٦، ٩/ ٦٦)، الصفدية (١/ ٢٧٥)، شرح الأصفهانية (١/ ٢٦١).

(٤) سورة إبراهيم ، الآية ١٠.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٨.

فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾[1]، وقوله: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ الآية[2]،وقوله: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[3]... إلى أضعاف أضعاف ذلك من الآيات، وما ذكر في السور من الأدلة التي هي للبصائر كالشمس للأبصار، فأبى المتكلمون إلا دليل الجواهر والأعراض، والحركة والسكون، والاجتماع والافتراق، ولعمر الله لم يزل إيمان الخلق صحيحا حتى حدثت هذه الأدلة المبتدعة الباطلة فأوقعت الأمة في العناء الطويل.

ثم قال: فالله سبحانه نهج لعباده الطريق الموصلة إلى معرفته والإقرار به بأسمائه وصفاته وأفعاله، فأعرض عنها هؤلاء، واشتقوا طريقا موصلة إلى تعطيل الخالق ونفي أسمائه وصفاته وأفعاله، وقالوا للناس: لا يتم إيمانكم ومعرفتكم بالصانع إلا بهذه الطريق، فلما سلكها من سلكها أدت به إلى ما أسره الحيرة والشك والتأويل والتجهيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل[4].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢١، ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٤.

(٣) سورة النمل الآيات ٥٩ـ ٦٠.

(٤) الصواعق المرسلة (٣/ ١١٩٩ـ١٢٠٦) ـ مع شيء من التصرف ـ.

الفصل الثاني

الاستدلال على أصول الاعتقاد بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما في ذلك

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اشتمال نصوص الكتاب والسنة على الدين كله.

المبحث الثاني: الأخذ بجميع نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: التسليم للنصوص عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول

اشتمال نصوص الكتاب والسنة على الدين كله

يعد هذا المبحث تتمة لما سبق الكلام عليه في المباحث السابقة، وذلك أن الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الكتاب والسنة هما العمدة في معرفة الدين أصوله وفروعه، دلائله ومسائله، فالقرآن والسنة عندهم إمام يؤتم به في الدين كله، وهذا هو دين المسلمين، ولا يخرج شيء من ذلك عن هذا، وكل ما سواه من المصادر مما سبقت الإشارة إليه كالإجماع والعقل الصحيح والفطرة السليمة إنما هو تأكيد لما في الكتاب والسنة إذ العمدة عليهما دون غيرهما.

فلم يكن أحد من السلف يعارض القرآن ولا السنة بمعقوله ولا خياله، بل ينظر في أقوال الناس وآرائهم ويعرضها على الكتاب والسنة، فيقبل منها ما وافق النصوص، ويرد ما خالفها كائنا من يكون القائل بها[(١)].

وقد دل على هذا الأصل نصوص كثيرة جداً ومن ذلك على سبيل الإيجاز:

أولا: **الأدلة من الكتاب العزيز.** وهي متنوعة أذكر طرفا منها: قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[(٢)]. وقوله جل وعلا: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[(٣)]. وقوله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[(٤)].

قال القرطبي ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ ـ:

---

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٧٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٤) سورة يوسف، الآية ١١١.

«أي في اللوح المحفوظ فإنه اثبت فيه ما يقع من الحوادث، وقيل: أي في القرآن، أي ما تركنا شيئا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول ﷺ أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب... فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره، إما تفصيلا وإما تأصيلا»[1].

٤ـ وقال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾[2]. قال ابن كثير في تفسير الآية: «هذه أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم ﷺ ...»[3].

وقال الشاطبي: فكل من زعم أنه بقي في الدين شيء لم يكمل، فقد كذب بقوله: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾[4].

إلى غير ذلك من الآيات.

ثانيا: **الأدلة من السنة**. ومن السنة أيضا أحاديث كثيرة دلت على هذا الأصل، وأن الله تعالى قد أكمل هذا الدين ببعثة النبي ﷺ وبرسالته، وأنها مهيمنة على جميع الشرائع قبله، ومن ذلك قوله ﷺ : (**لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء**)[5]. وقال أبو ذر ﷺ: (**لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٤٢٠).

(٢) سورة المائدة ، الآية ٣.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣).

(٤) الاعتصام (٢/ ٣٠٤ـ٣٠٥).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه ، المقدمة ، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، رقم: ٥، وابن أبي عاصم في السنة، (١/ ٢٦)، وصححه الألباني، في الصحيحة رقم: ٦٨٨، وانظر: ظلال الجنة (١/ ٢٦).

أذكرنا منه علما)[١]. وقال سلمان الفارسي لما قيل له: (قد علمكم نبيكم ﷺ كل شـــيء حتى الخراءة ! قال: أجل..)[٢].

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٥٣-١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٣)، رقم: ٢٦٢.

المبحث الثاني
الأخذ بجميع نصوص الكتاب والسنة

الذي عليه أهل السنة والجماعة ومن اتبعهم من المسلمين الإيمان بأن الله تعالى ربهم ومليكهم وخلقهم ورازقهم، وأنه أرسل إليهم أفضل الرسل والأنبياء على الإطلاق، وأنزل معه الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأن ما يصدر من النبيﷺ في تبليغ الدين حق وصدق يجب قبوله إذا صح سنده، وهذا من تمام تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وهو الإخلاص والمتابعة.

والمتابعة للنبي ﷺ لا تتحقق إلا بطاعته فيما أمر وتصديقه بما أخبر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع.

فالذي عليه أهل السنة والجماعة كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولا، أو نحمله شبهة أو شكا، أو نقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيل المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ[١].

الأدلة على هذا الأصل كثيرة جدا، أذكر بعضا منها :

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص١٦٠).

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[(١)].

فلم يكتف سبحانه في حصول الإيمان بمجرد التحكيم، بل لا بد من استصحاب الرضا والتسليم، ودفع الحرج والضيق والمنازعة[(٢)].

٢ـ وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[(٣)]، وقول الله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[(٤)].

قال ابن القيم: "فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه"[(٥)].

قال الله جل وعلا: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٦)].

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٣٥٢ـ٣٥٣).

(٣) سورة الحشر: الآية ٧.

(٤) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٥) إعلام الموقعين (١/ ٤٨).

(٦) سورة النور، الآية ٦٣.

ثانيا: الأدلة من السنة النبوية:

١ـ منها قوله ﷺ: (لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمـري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)(١).

٢ـ وقال النبي ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)(٢).

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ١٠ـ١٢)، رقم: (٤٦٠٥)، والترمذي رقم: (٢٦٦٥)، وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ ...، (١/ ١٧)، رقم: ١٢، من حديث أبي رافع، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٧١٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٦)، وابن ماجه (١٢)، من حديث معدي كرب، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٢٦٤٣).

المبحث الثالث

التسليم للنصوص عند أهل السنة والجماعة

الذي عليه سلف الأمة أن ما منهم من أحد يعرض عليه نص من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ الصحيحة ثم ردها برأيه أو عقله أو ذوقه، أو سياسته، وهذا بالإجماع عنهم .

قال الإمام الشافعي: «ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحدا أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة... وصنع ذلك الذين بعد التابعين، والذين لقيناهم ، كلهم يثبت الأخبار ويجعلها سنة، يحمد من تبعها، ويعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله ﷺ وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة»(١).

وقال محمد بن الحسن الشيباني(٢): «اتفق الفقهاء من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه... »(٣).

ولهذا قال الشوكاني: «إن حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك أحد إلا من لا حظ له في دين الإسلام»(٤).

فالصحابة رضوان الله عليهم لم يحصل بينهم تنازع في مسائل الاعتقاد كما

---

(١) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي (ص٢١،٢٠).

(٢) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، الإمام الفقيه الحنفي، من مصنفاته: الجامع الكبير والحجة على أهل المدينة وغيرها، مات سنة ١٨٩ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٧٢)، وفيات الأعيان (٤/ ١٨٤).

(٣) رواه عنه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٢/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٤) إرشاد الفحول (ص٣٣).

وقع عند المتأخرين من أهل الأهواء، بل كانوا مستسلمين للنصوص متمسكين بها ، يقول ابن القيم واصفا الرعيل الأول : «وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيمانا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات ، والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم ، لم يسموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها، تبديلا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا، ولا ضربوا لها أمثالا ، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحداً ، وأجروها على سنن واحد...» (١).

وقد حذر السلف الصالح من مقالة إنكار السنة، فقد جاء عن الإمام أيوب السختياني يقول: «إذا حدث الرجل بسنة فقال: دعنا من هذا وأنبئنا عن القرآن فاعلم أنه ضال» (٢).

وقد كان الشافعي رحمه الله ممن تصدى للرد على هذه المقالة فقد جاء عنه أنه قال: « قال بعض من رد الأخبار : فهل تجد حديثا فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : (ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فأنا قلته ، وما خالفه فلم أقله)، فقلت له: ما روى هذا أحدٌ يثبت حديثه في صغير ولا كبير، وقد روي من طريق منقطعة عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء» (٣).

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٩).

(٢) أورده السيوطي في مفتاح الجنة (ص٣٥)، وعزاه للبيهقي.

(٣) انظر : معرفة السنن والآثار للبيهقي (١/ ١١٦ــ١١٧) ، وراجع الرسالة للشافعي (ص ٢٢٤ـ٢٢٥) ، والأم (٨/ ٢٤٦ ـ موسوعة الإمام الشافعي ـ) .

قال الشافعي[١]: وليس يخالف الحديث القرآن، ولكنه يبين معنى ما أراد خاصا وعاما وناسخا ومنسوخا، ثم يلزم الناس ما سن بفرض الله، فمن قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن الله قبل[٢].

والحاصل في هذا الفصل أن معتمد أهل السنة والجماعة في معرفة الله تعالى وغيره على الوحي ـ وهما الكتاب والسنة ـ، وما استند عليه من الإجماع والقياس

---

(١) انظر : معرفة السنن (١/ ١١٨).

(٢) وقد احتج بعض هؤلاء بحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعا: (إذا حُدِّثتم عني حديثا تعرفونه ولا تنكرونه ، قلته أو لم أقله فصدقوا به ، فإني أقول ما يعرف ، ولا ينكر ، وإذا حدثتم عني حديثا تنكرونه ولا تعرفونه ، فلا تصدقوا به ، فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف).

أخرجه الإمام أحمد ـ كما في المنتخب من العلل لابن قدامة (رقم ٧١) ـ ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥/ ٣٤٧) ، وابن عدي في الكامل (١/ ١٢) ، والدارقطني في سننه (٤/ ٢٠٨) ، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٩١) ، من طرق عن يحيى بن آدم به مثله.

ووقع عند الطحاوي ، وابن عدي ، والدارقطني ، والخطيب : "عن المقبري عن أبيه عن أبي هريرة". والصواب أن الحديث مرسل.

وقال أبو حاتم : هذا حديث منكر ، الثقات لا يرفعونه . العلل (٢/ ٣١٠).

وقال الذهبي : حديث منكر . السير (٩/ ٥٢٤).

والحديث قال عنه ابن حجر : إنه جاء من طرق لا تخلو من مقال ، وقد جمع طرقه البيهقي في كتاب المدخل . (المقاصد الحسنة ص ٣٧) .

وقال الشوكاني : وبالجملة فهذا الحديث بشواهده لم تسكن إليه نفسي مع أنه لم يكن في إسناد أحمد ولا في إسناد ابن ماجه من يتهم بالوضع ، فالله أعلم ، وإني أظن أن ابن الجوزي قد وفق للصواب بذكره في موضوعاته . (الفوائد المجموعة ص ٢٥٢) .

وقال أحمد شاكر : هذا المعنى لم يرد فيه حديث صحيح ولا حسن ، بل وردت فيه ألفاظ كثيرة كلها موضوع أو بالغ الغاية في الضعف ، حتى لا يصلح شيء منها للاحتجاج أو الاستشهاد . (انظر : تعليقه على الرسالة ص ٢٢٤).

الصحيح، وما وافق ذلك من الفطرة السليمة، وهو مصدر التلقي عندهم في العلوم والمعارف، ولا يعدلون به إلى غيره.

وأما ما لم تجئ به الرسل عن الله ففيه الحق والباطل، وأما ما جاءت به الرسل عن الله فهو الحق الذي يجب اتباعه، وليس لأحد الخروج عن شيء مما دلت عليه، وهي مبنية على أصلين:

- أحدهما: أن هذا ما جاء به الرسول.

- والثاني: أن ما جاء به الرسول وجب اتباعه[1].

---

(١) تنبيه: إن طوائف من المنتسبين إلى الإسلام قد أحدثوا في هذا الباب أشياء، جعلتهم ينحرفون عن الوحي بقدر تمسكهم وإحداثهم لأقوال تخالف الكتاب والسنة.
فتجد طوائف قد خالفت في المقدمة الأولى، وذلك بأن قرروا طرقا للوصول للمعرفة، فاستدلوا بما يروى عن الفلاسفة الأول، وما دلت عليه الأقيسة، وتقليد آراء بعض الأئمة، وما يلقى في قلوب الناس من الإلهام، وهذا يدخل في التقليد والقياس والإلهام.
ومن الطوائف من خالفت في المقدمة الثانية، وذلك عندهم بناء:
- على نوع تقصير بالرسالة.
- أو على نوع تفضل عليها.
- أو على عين الإعراض عنها.
- أو على أنها لا تقبل إلا في شيء يتغير كالفروع مثلا دون الأصول العقلية أو السياسية، أو غير ذلك من الأمور القادحة في الإيمان بالرسالة.
وقد دخل في هذا طوائف من المتكلمة والمتفلسفة والمتأمرة والمتصوفة. انظر: الفتاوى لابن تيمية (١٩/ ٥-٦).
أما الفلاسفة والمتكلمون فإنهم جعلوا أصل المعرفة العقل أو الحس، أو المجموع منهما، وأن العلم يدرك بذلك.
قال ابن تيمية: وهذه الطرق فيها فساد كثير من جهة الوسائل، والمقاصد، أما المقاصد فإن حاصلها بعد التعب الكثير والسلامة خير قليل، فهي لحم جمل غث، على رأس جبل وعر،

وجعل بعضهم المنام وغيره طريقا إلى معرفة الحق، وهذا في غاية الفساد من حيث اعتبار ذلك أصلاً للمعرفة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من الإلهام ونحوه ما هو حق وباطل[1]، وأنه إنما هو علامة على التوفيق في الأخذ بالدليل.

فأهل السنة والجماعة لا يجعلونه أصلا في الاستدلال، بل يرون أنه علامة على التوفيق في الأخذ بالدليل الذي هو الوحي، وما يبنى عليه مما تقدم ذكره.

=لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل، ثم إنه يفوت بها من المقاصد الواجبة والمحمودة ما لا ينضبط هنا.

وأما الوسائل فإن هذه الطرق كثيرة المقدمات، ينقطع السالكون فيها كثيرا قبل الوصول، ومقدماتها في الغالب إما مشتبهة يقع النزاع فيها، وإما خفية لا يدركها إلا الأذكياء. الفتاوى (٢/ ٢٢).

وأما من يعتقد عصمة غير الأنبياء من الرافضة فإنهم يستدلون بأقوال غير المعصوم في تقرير الشرع، ولا شك أن في هذا الغاية في الانحراف عن الدين، وخاصة أن كثيرا مما يروونه عن أئمتهم كذب وزور وانتحال.

بل يتمسكون بأقوال أئمتهم ولو خالفت الكتاب والسنة.انظر: الشيعة والسنة لإحسان إلاهي ظهير (ص ٦٠ فما بعدها).

وأما المتصوفة فإنهم جعلوا مرجع ذلك إلى رياضة النفس، وما يفيض عليها من الإلهام والكشف والوجد. حتى إن بعضهم يرون أن الشرائع لازمة للعامة دون الخاصة، فإذا صار الرجل من عارفيهم ومحققيهم رفعوا عنه الواجبات وأباحوا له المحظورات، كما هو مذهب الباطنية الذين يرون أن للشريعة ظاهرا وباطلاً. انظر: الفتاوى (٣/ ٣٠)، ولا شك أن هذا من أبطل الباطل.

(١) الفتاوى (١٩/ ٧).

الفصل الثالث

الاستدلال على أصول الاعتقاد بالمتواتر والآحاد من السنة

مذهب أهل السنة والجماعة في الاستدلال الأخذ بنصوص الكتاب والسنة جميعها، فكما أنهم لا يفرقون بين الكتاب والسنة الصحيحة، كذلك لا يفرقون في الاحتجاج بين صحيح السنة المتواتر منها والآحاد، بل يرون أنها منبع الخير سواء في ذلك الأحكام أو العقائد.

وفيما يلي تقرير السلف لما ورد إجماله في هذا الفصل.

المبحث الأول: المتواتر والآحاد.

المطلب الأول: تعريف المتواتر لغة: المتواتر لغة: من التواتر وهو التتابع، وقيل: مع فترات[١].

ثانيا: تعريف المتواتر اصطلاحا: لأهل العلم تعاريف متفاوتة للمتواتر في الألفاظ متقاربة في المعنى، منها :

ما قاله ابن حزم: «هو ما نقلته كافة عن كافة حتى تبلغ به النبي ﷺ»[٢].

وقال أبو المظفر السمعاني: «وأما المتواتر فكل خبر علم مخبره ضرورة»[٣].

وقال الخطيب البغدادي: «فأما خبر التواتر فهو ما يخبر به القوم الذين يبلغ عددهم حدا يعلم عند مشاهدتهم بمستقر العادة أن اتفاق الكذب منهم محال، وأن التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم متعذر ، وأن ما أخبروا عنه لا

---

(١) انظر: القاموس المحيط (ص٦٣١).
(٢) الإحكام (١/ ١٠٠).
(٣) قواطع الأدلة (٢/ ٢٣٤).

يجوز دخول اللبس والشبهة في مثله، وأن أسباب القهر والغلبة والأمور الداعية إلى الكذب منتفية عنهم»[(١)].

وقال ابن حجر: «فإذا جمع هذه الشروط الأربعة وهي عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب، ورووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء وكان مستند انتهائهم الحس، وانضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسماعه، فهذا هو المتواتر»[(٢)].

المطلب الثاني: الآحاد.

أولا: تعريف الآحاد لغة: الآحاد: جمع الواحد، يقال: ليس للواحد تثنية، ولا للإثنين واحد من جنسه[(٣)].

ثانيا: تعريف الآحاد اصطلاحا: للعلماء تعاريف عدة في تحديده مفهومه، وفيما يلي أسرد بعضها:

قال الخطيب البغدادي: «وأما خبر الآحاد فهو ما نقص عن صفة التواتر»[(٤)].

وقال أبو المظفر السمعاني: «ما أخبر به الواحد والعدد القليل الذي يجوز عليهم المواطأة على الكذب»[(٥)].

وقال ابن القيم: «الأخبار المقبولة من باب الأمور الخبرية العلمية أربعة أقسام:

أحدها: متواتر لفظا ومعنى.

---

(١) الكفاية (ص٢٠).

(٢) نزهة النظر (ص١٧).

(٣) انظر: القاموس المحيط (ص٣٣٨).

(٤) الكفاية في علم الرواية (ص٢٠).

(٥) قواطع الأدلة (٢/ ٢٥٤).

والثاني: أخبار متواترة معنى، وإن لم تواتر بلفظ واحد.

الثالث: أخبار مستفيضة متلقاة بالقبول بين الأمة.

الرابع: أخبار آحاد مروية بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط عن مثله حتى تنتهي إلى رسول الله ﷺ »[١].

(١) مختصر الصواعق (٢/ ٣٥٦).

المبحث الثاني

إفـــادة خبر الواحـــــد

اختلف العلماء في مسألة إفادة خبر الواحد إلى أقوال عدة:

أولا: أن خبر الواحد يفيد العلم. حكي عن بعض أهل الظاهر، وهو رواية عن الإمام أحمد[(١)].

ثانيا: أن خبر الواحد لا يفيد العلم مطلقا. وإليه ذهب جمع من الأصوليين كالجويني والغزالي والباقلاني وغيرهم[(٢)].

ثالثا: أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن. وهذه القرائن قد ترجع إلى الخبر، وإلى المخبر، وقد ترجع إليهما جميعا.

ويدخل في ذلك الخبر المستفيض الذي رواه في أصله واحد، ثم استفاض واشتهر، والخبر المتلقى بالقبول عند الأمة، أو من علماء الشأن، ومنه ما رواه الشيخان، أو أحدهما ، ومنه ما كان مسلسلا بالأئمة الحفاظ كمالك عن نافع عن ابن عمر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملا به، أو تصديقا له، فهذا يفيد العلم اليقيني، عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين

---

(١) انظر: الإحكام (١/ ٢٣٤)، البرهان في أصول الفقه للجويني (١/ ٦٠٦)، نهاية السول للأسنوي (٢/ ٢٦٨).

(٢) انظر: البرهان في أصول الفقه (١/ ٥٩٩)، المستصفى للغزالي (١/ ١٤٥)، التمهيد للباقلاني (ص١٦٤).

والآخرين، أما السلف فلك يكن بينهم في ذلك نزاع...»[١].

وإليه ذهب كثير من المحققين كابن الصلاح[٢] وابن حجر وغيرهم[٣].

قال أبو المظفر السمعاني[٤]: «إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة ، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول، فإنه يجب العلم فيما سبيله العلم، هذا قول عامة أهل الحديث، والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعه القدرية والمعتزلة ، وكان قصدهم منه رد الأخبار»[٥].

---

(١) حكاه عنه ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/ ٣٧٢-٣٧٣)، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٤١)، والمسودة (ص٢٤١).

(٢) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان، أبو عمرو ، ابن الصلاح، الشهرزوري، الفقيه الشافعي، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث وغيرهما، مات سنة ٦٤٣ هـ.
انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٣)، طبقات الشافعية (٥/ ١٢٧).

(٣) انظر: النكت على ابن الصلاح (١/ ٣٧٣).

(٤) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي، المروزي، أبو المظفر السمعاني لشافعي، أحد الأعلام المشاهير، مات سنة ٤٨٩هـ. انظر: الأنساب لابن السمعاني (٧/ ٢٢٢)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٣٣٥).

(٥) انظر: صون المنطق للسيوطي (ص١٦٠).

المبحث الثالث

العمل بالأخبار الصحيحة في العقائد والأحكام

أجمع السلف وأهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع وشرذمة لا تعد خلافا[١].

وقال ابن عبد البر[٢]: «وكلهم ـ أي أهل الفقه والأثر ـ يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً ودينا في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة»[٣].

ويعضد هذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: «مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات»[٤].

وقال ابن القيم ـ رادا على من يزعم التفريق في الاستدلال من أهل الأهواء ـ : «وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات، كما تحتج بها في الطلبيات العمليات.. لم تزل الصحابة والتابعون، وتابعوهم، وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات، والقدر والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١/ ٢).

(٢) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، أبو عمر، النمري، القرطبي، حافظ المغرب والأندلس، أحد الأئمة الأعلام في عصره، مات سنة ٤٦٣ هـ. انظر: الصلة (ص٦٧٧)، بغية الملتمس (ص٤٨٩)، الديباج المذهب (٢/ ٣٦٧).

(٣) التمهيد (١/ ٨).

(٤) المسودة (ص٢٤٨). وانظر: المذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (ص١٠٤-١٠٥).

الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته فأين سلف المفرقين بين البابين؟؟»[١].

ويكفي في رد فرية التفريق بين النصوص ما تواترت به الأخبار عن النبي ﷺ في إرسال الرسل والدعاة آحادا إلى أطراف البلاد وإلى ملوك الفرس والروم وغيرهم ليبلغوا دعوة الله تعالى، وكان أول ما يبدءون به معهم دعوتهم إلى التوحيد، وترسيخ العقيدة، ومن ذلك قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن[٢]: (إنك تقدم قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل)، وفي رواية: (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله...)[٣].

---

(١) مختصر الصواعق (٢/ ٤١٢).

(٢) اليمن: الإقليم المعروف ويشتمل على تهامة وعلى نجد اليمن، فأهل تهامة ميقاتهم يلملم وأهل نجد اليمن قرن المنازل. واليوم هي الجمهورية التي تحد السعودية من الجنوب. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، ٣/ ٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٤٧)، رقم: ٧٣٧٢، ومسلم (١/ ٥٠)، رقم: ١٩.

الفصل الرابع

دلالة الإجماع والعقل الصحيح والفطرة السليمة على أصول الاعتقاد

الذي عليه أهل السنة والجماعة الاستغناء بنصوص الكتاب والسنة في كل ما يحتاجه المؤمن في حياته، وأنها شاملة لكل زمان ومكان، وأنها شاملة أيضا لجميع أمور دينه، فما من حق إلا والنبي ﷺ قد بينه لنا، وما من شر إلا وقد حذرنا منه ﷺ، وأما المصادر الثانوية الأخرى إنما جاءت لتعضيد ما في الكتاب والسنة :

فالإجماع؛ في الحقيقة يرجع إليهما في مستنده.

والعقل الصحيح، وهو لا يخالف النقل الصريح.

والفطرة السليمة؛ قد جاء الشرع لتكميلها وتفصيل الحق الذي جبلت النفوس عليه.

المبحث الأول

دلالة الإجماع على مسائل الاعتقاد

المقصود من بيان أن الإجماع يدخل في أبواب الاعتقاد لتعضيد الأدلة وتقويتها، ودفع احتمال الخطأ الذي قد يتطرق لبعض الأدلة، وقد حكى الإجماع ابن حزم في مراتب الإجماع ، وقد وافقه ابن تيمية على ذلك وإن كان خالفه في بعض أفراد تلك المسائل التي ادعى فيها الإجماع(١).

فالإجماع عند السلف قد اعتبر مصدرا من مصادر التشريع إلى جانب الكتاب والسنة الذين يمثلان المنبع الأصلي لكل مسألة، سواء في ذلك مسائل الاعتقاد أو الأحكام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة... والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

وهم - أي أهل السنة والجماعة - يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط: «هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة» (٢).

ومن الأمثلة على ذلك ما يذكر من الإجماع على مسألة العلو وغيره ، فتجد من السلف ممن ألف في الاعتقاد يذكر قول الأئمة في مسائل عدة ، أو ما يسمى بأصول السنة، كما تقدم ذلك عن البخاري، وغيره، حيث قال: "لقيت فيه أكثر من

---

(١) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم (ص١٩٣- فما بعدها)، نقد مراتب الإجماع لابن تيمية (ص٢٠٣- فما بعدها).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٧).

ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر: لقيتهم كرات قرنا بعد قرن، ثم قرنا بعد قرن أدركتهم وهم متوافرون .

ثم سمى جماعة من الحفاظ والعلماء .

ثم قال: فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء، وسمى أصولا كثيرة[١].

وكذلك ما ذكره قتيبة بن سعيد[٢] في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة، حيث قال: «هذا قول الأئمة المأخوذ في الإسلام والسنة ، الرضا بقضاء الله والاستسلام لأمره...» [٣].

فهذا حكاية منهم لإجماع أهل السنة في الأمور التي ذكرت من مسائل الاعتقاد ، وليس هو مجرد قول لهما أو لمشايخه أو أهل بلده[٤].

وهذا الإجماع الذي ذكره العلماء إنما حصل لتمسكهم بالكتاب والسنة وعدم معارضة ذلك بعقل معدوم ، أو ذوق موهوم، وهذا ما ذكره قوام السنة الأصبهاني في كتابه الحجة حيث قال: "ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا

---

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٣ـ١٩٧).

(٢) هو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي ، أبو رجاء ، البغلاني، أحد الأئمة الأعلام، ثقة ثبت، مات سنة ٢٤٠هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٥٥٥٧).

(٣) انظر: شعار أصحاب الحديث لأبي أحمد الحاكم (ص٤٠ـ٤١).

(٤) انظر: العلو للعلي الغفار للذهبي (ص١٣٢،١٢٨).

ترى فيهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما ، وإن قلّ بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد ، وهل على الحق دليل أبين من هذا[١].

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٢٤_٢٢٥).

المبحث الثاني

دلالة العقل الصحيح على مسائل الاعتقاد

قد سبق وأن ذكرنا فيما مضى أن السلف قد اعتبروا العقل فيما يصلح له أن ينظر فيه، وقسموا الدليل السمعي والعقلي بالنسبة للعلوم على ثلاثة أحوال:

الأول: أن تعلم بالسمع فقط، وهو ما يعلم بمجرد إخباره، كتفاصيل البعث والحساب، مما لا يهتدي إليه العقل بحال، مع إقرار القلوب بصدق الرسول، وأنه أعلم الخلق بالحق، وأنصحهم إليهم وأشدهم رغبة في هدايتهم وتعليمهم.

الثاني: أن تعلم بطريق العقل فقط، وهذا لا يكون إلا في العلوم المفضولة كمرويات الطب والحساب، والحرف والصناعات.

الثالث: أن تعلم بالعقل والسمع، وهذه إما أن يكون الشارع قد هدى وأرشد إلى أدلتها العقلية، فتكون علوما شرعية عقلية، أو لا يكون قد هدى إلى أدلتها أي أخبر بها الشارع دون الإشارة إلى أدلتها العقلية، لكنها تعلم بالعقل أيضا، فهذه في وجودها نظر[1].

إن مذهب أهل السنة والجماعة كما أنهم يحتجون بصحيح المنقول في مسائل الدين، فإنهم يحتجون كذلك بالعقل الصحيح الموافق للمنقول في تقرير مسائل الاعتقاد.

وفي هذا المقام يقول الإمام ابن القيم: إن السمع حجة الله على خلقه، وكذلك العقل فهو سبحانه أقام عليهم حجته بما ركب فيهم من العقل ، وأنزل إليهم من السمع والعقل الصريح لا يتناقض في نفسه كما أن السمع الصحيح لا يتناقض في نفسه ، وكذلك العقل مع السمع فحجج الله وبيناته لا تتناقض ولا تتعارض، ولكن

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٢٣١_٢٣٢، ١٣/ ١٣٦_١٤٨).

تتوافق وتتعاضد[١].

وسيأتي مزيد تفصيل في المطالب الآتية:

المطلب الأول: موافقة النقل الصريح للعقل الصحيح: منهج أهل السنة والجماعة قائم على التسليم لوحي الله تعالى، وأن ما وافقه من العقل الصريح فإنه يستدلون به، ويذكرونه تبعا للوحي المنزل من الله تعالى، فالعقل الصريح عندهم لا يتعارض مع النقل الصحيح بل يوافقه ويؤيده، ويعضده.

وذلك أن الله تعالى أقام الحجة على عباده بما ركب فيهم من العقل، وأنزل إليهم من السمع، وحجج الله تعالى لا تتناقض ولا تتعارض، بل تتفق وتتعاضد.

وهذا ما قرره الإمام الشاطبي في الموافقات في فصل بديع[٢].

فهذه القاعدة التي سطرها أهل العلم هنا هي المنهج الوسط بين مذاهب الناس، وذلك:

أن طائفة من الناس ـ وهم المتكلمون ـ ظنوا أن دلالة القرآن خبرية محضة، ليس فيها أدلة عقلية، فلما ظنوا هذا الظن أعرضوا عن أدلة القرآن، وقدموا علم الكلام والمسالك الكلامية التي زعموا أنها عقليات وبديهيات، وهم متناقضون فيها، فمنهم المثبت ومنهم النافي.

كما أن طائفة من الناس لما رأوا انحراف المتكلمين في باب الاعتقاد أعرضوا عن أدلة القرآن العقلية، وأهملوها.

ولهذا فكان لكل طائفة منهم ملام في ترك شيء من الحق، لكونهما أعرضتا عن الأصول التي بينها الله بكتابه[٣].

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ١١٨٧).

(٢) انظر: الموافقات (٣/ ٢٧ـ٢٨).

(٣) انظر: مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (١/ ١٧٨).

فأهل السنة والجماعة وسط في ذلك ، فقالوا : إن العقل الصريح موافق للنقل الصحيح، فاستدلوا بأدلة القرآن السمعية والعقلية، التي ترشد العقل وتوجهه إلى الحق بأقرب الطرق وأيسرها[١].

قال ابن القيم: "والسلف رضوان الله عليهم أكمل الناس نظرا واستدلالا واعتبارا، وهم نظروا في أصح الأدلة وأقومها، فإن نظرهم كان في خير الكلام، وأفضله ، واصدقه، وأدله على الحق، وأوصله إلى المقصود بأقرب الطرق، وهو كلام الله ، وكانوا ينظرون في آيات الله الآفاقية والنفسية فيرون منها من الأدلة ما يبين أن القرآن حق فيتطابق عندهم السمع والعقل، ويتصادق الوحي والفطرة"[٢].

المطلب الثاني: مجالات العقل في مسائل الاعتقاد: إن أهل السنة والجماعة قد بينوا وسطيتهم في الاستدلال بالعقل الصريح وما يوجبه من الدلالات في مجال الاعتقاد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ موضحا هذه الوسطية ـ : "بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال ، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلا بذلك؛ لكونه غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإذا اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أمورا حيوانية ، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة ، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن إدراكه، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه"[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٤).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٣٨-٣٣٩).

فالتفصيل في مسائل الاعتقاد لا يدرك بالعقل ، كصفات الله وأفعاله، وحقائق ما ذكر من أمور اليوم الآخر من بعث ، وحساب جزاء وما في الجنة وما في النار، فالعقل وإن كان لا يدرك حقيقة هذه الأشياء، إلا أنه لا يحيل ذلك ولا يمنع إمكان وجده.

ومن هذه المجالات التي علمت بالمقاييس العقلية إثبات وحدانية الله تعالى وربوبيته، وقد جاءت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة دالة عليها، بالدلالة الخبرية، وبالدلالة العقلية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلاهية ـ وإن كان معلوما بالفطرة الضرورية البديهية، وبالشرعية النبوية الإلاهية فهو أيضا معلوم بالأمثال المضروبة التي هي المقاييس العقلية» (١).

ومن المسائل التي ذكرت أيضا في هذا الباب: ما احتج به الإمام أحمد وهو قياس الأولى في مناظرته للجهمية الذين ينفون استواء الله على عرشه ويقولون هو في كل مكان، حيث قال: «ومن الاعتبار في ذلك: لو أن رجلا كان في يده قدح من قوارير صاف، وفيه شراب صاف كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه» (٢).

قال ابن تيمية: «ذكر الإمام أحمد حجة اعتبارية عقلية قياسية هي من باب أولى، فضرب رحمه الله مثالا وذكر قياسا» (٣).

والمسائل التي ذكرت في هذا الباب كثيرة(٤).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٣٧).
(٢) الرد على الزنادقة والجهمية (ص٤٩).
(٣) نقض تأسيس الجهمية (٢/ ٥٤٦)، وانظر: درء التعارض (١/ ١٣٨).
(٤) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد للشيخ سعود العريفي.

المبحث الثالث

دلائل الفطرة السليمة على مسائل الاعتقاد

اعلم أن الله تعالى فطر عباده على الدين الحق ، وأنه خلقهم على محبته ورجائه وعبادته، وأن هذه الفطرة لو خليت وعدم المعارض لبقيت على حالتها من السلامة والاستقامة ، إلا أنه قد يعرض لها ما يغيرها أو يحرفها، ولذلك أرسل الله تعالى الرسل لتقويمها ، ولتفصيل الحق الذي هو مكنون في نفوس العباد.

فمسائل الاعتقاد موافقة في حقيقة الحال للفطرة، ولا تكاد تجد مسألة إلا والفطرة شاهدة لها بالصحة، ومن ذلك:

أولا: **دلالة الفطرة على توحيد الربوبية**: إن الإقرار بوجود الله تعالى وربوبيته على خلقه أمر فطري ضروري، فطر الله قلوب عباده على ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمة: «وقد ذكرنا في مواضع أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مع كثرة دلائله وبراهينه»(١).

وقال أيضا في معرض بيان بعض هذه الأدلة: «وأما حدوث العالم فيمكن علمه بالسمع وبالعقل، فإنه يمكن العلم بالصانع إما بالضرورة والفطرة، وإما بمشاهدة حدوث المحدثات وإما بغير ذلك» (٢).

ويقول ابن القيم رحمه الله: «إن الله سبحانه منح عباده فطرة فطرهم عليها لا تقبل سوى الحق ولا تؤثر عليه غيره لو تركت، وأيدها بعقول تفرق بين الحق والباطل، وكملها بشرعة تفصل لها ما هو مستقر في الفطرة، وأدركه العقل مجملا، فالفطرة قابلة والعقل مزك والشرع مبصر مفصل لما في الفطرة، ... فاتفقت فطرة الله المستقيمة والعقل الصريح والوحي المبصر المكمل على الإقرار بموجود فطر هذا

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٤٤٤)، وانظر: منهاج السنة (٢/ ٢٧٠).

(٢) منهاج السنة (٢/ ٢٧٢_٢٧٣).

العالم بجميع ما فيه عاليه وسافله وما بينهما»[١].

ثانيا: دلالة الفطرة على توحيد الألوهية: فطر الله قلوب عباده على معرفته وأنه إنما خلقها لمحبة الله وتعظيمه وعبادته، والإخلاص له، لأن معرفة الحق تقتضي منهم ذلك.

فالرسل لم تأت أصالة لتعرف الناس بالخالق ووجوده ، وإنما أتت للدعوة إلى التوحيد ونفي الشريك، وأتت لبيان أمر العبودية وتفصيله على نحو لا تستقل الفطرة بالعلم به، وإن كانت أصول العبودية معلومة في الفطر، فالشرائع: أمر بمعروف ونهي عن منكر، وإباحة طيب، وتحريم خبيث، وأمر بعدل، ونهي عن ظلم وهذا كله مركوز في الفطر، وكماله وتفصيله وتبيينه موقوف على الرسل[٢].

ثالثا: دلالة الفطرة على توحيد الأسماء والصفات: كما أن الخلق مفطورون على معرفة الله تعالى وأنه هو الذي يستحق العبادة، فهم مفطورون على أن الله تعالى هو أكبر وأجل وأعلى وأعلم وأعظم وأكمل من كل شيء، وهذا مستقر في قلوب العباد ممن سلمت فطرته من الانحراف[٣].

ومن ذلك العلم بأن الله تعالى فوق العالم ، فطر العباد على ذلك، ألا ترى أن الخلق إذا ضر بهم أمر وشدة توجهوا بقلوبهم إلى الله يدعونه ويسألونه، فيرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى، فتسمو قلوبهم صعودا إلى السماء، وتشخص أبصارهم إليها[٤].

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٧ـ١٢٧٨).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٥٢٨، ١٠/ ١٣٤ـ١٣٥)، دلائل التوحيد للقاسمي (ص١٤ـ١٦).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٧٢ـ٧٣).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٦٤ـ٢٦٥).

الفصل الخامس

العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه

المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه.

المطلب الأول: معنى الإحكام والتشابه لغة.

أولا: معنى الإحكام في اللغة. الإحكام اصله من حكم وهو يدور على معنيين:

المنع: والعرب تقول: حكمت وأحكمت، بمعنى منعت ورددت، ومنه الحاكم الذي يمنع الظالم من الظلم.

الإتقان: ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، والحكم: العلم والفقه[١].

فعلى هذا فالإحكام هو الفصل بين الشيئين فصلا متناسقا، بحيث يظهر منه إتقان الشيء وإحسانه لا اضطراب فيه ولا اختلاف[٢].

ثانيا: معنى التشابه في اللغة : أصل التشابه من الشبة، والشبيه: وهو المثل والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ إذا ماثله، وشابه الشيءُ الشيءَ وتشابها.

والمشتبهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمر اختلط[٣].

ويكون الاشتباه ما فيه الالتباس من أجل المشابهة.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ١٤٠).

(٢) انظر: تفسير السعدي (١/ ٣٨٧).

(٣) انظر: لسان العرب (١٣/ ٥٠٣_٥٠٥).

المطلب الثاني: تعريف المحكم والمتشابه عند أهل العلم: اختلفت عبارات أهل العلم في تحديد معنى المحكم والمتشابه في الاصطلاح، وذلك من خلال وروده في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾[(١)]. وأهم الأقوال الواردة هنا:

أولا: المحكم ما عرف معناه والمراد منه. والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، كوقت الساعة وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وغير ذلك، حكاه القرطبي عن بعض السلف وهو اختيار ابن جرير[(٢)] الطبري[(٣)].

ثانيا: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا: والمتشابه ما احتمل أكثر من وجه، حكاه بعضهم عن مجاهد وغيره، واستحسنه ابن عطية، وهو المنقول عن الشافعي وغيره[(٤)].

ثالثا: المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان : والمتشابه ما احتاج إلى بيان. نسبه القاضي أبو يعلى[(٥)] إلى عامة الفقهاء، واختاره[(٦)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام البارع العلم الفقيه المفسر المحدث المؤرخ، مات سنة ٣١٠هـ. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧).

(٣) انظر: جامع البيان (٣/ ١٧٤-١٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٩-١٠).

(٤) انظر: جامع البيان (٣/ ١٧٤-١٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٩-١٠)، زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٥١).

(٥) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد ، الحنبلي البغدادي، أبو يعلى، العلامة الفقيه، شيخ الحنابلة في عصره، مات سنة ٤٥٨ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٥١)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٩).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١).

إلى غير ذلك من الأقوال.

ويرى بعض أهل العلم أن هذا ليس اختلافا وإنما من باب إطلاقات اللفظ، فالإحكام عندهم على أنواع:

١ـ إحكام في التنزيل، ويقابله ما يلقيه الشيطان .

٢ـ إحكام في إبقاء التنزيل، ويقابله النسخ بالاصطلاح المعروف.

٣ـ إحكام في التأويل والتفسير، ويقابله المشتبه الذي يحتمل أكثر من معنى[(١)].

ولهذا قرر الشوكاني رحمه الله أن ما نقل في تعاريف المحكم والمتشابه ليس من باب الاختلاف، وذلك أن أهل كل قول قد عرفوا المحكم ببعض صفاته، وعرفوا المتشابه بما يقابلها، ولهذا يرى أن الذي يجمع ذلك كله هو:

المحكم : هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة، إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره.

والمتشابه: ما لا يتضح معناه، أو لا تظهر دلالته لا باعتبار نفسه ولا اعتبار غيره[(٢)].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٢٧٤ـ٢٧٥).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ٣١٤).

المبحث الثاني

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

لقد وردت آيات عدة في هذا الباب تصف القرآن الكريم بأنه كله محكم، أنه كله متشابه، وفي موضع آخر منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه.

أما الإحكام الذي يعمه فمذكور في مثل قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ ﴾ [(١)].

قال قتادة: أي جعلت محكمة كلها، لا خلل فيها ولا باطل[(٢)].

وقال ابن كثير: أي هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها فهو كامل: صورة ومعنى[(٣)].

ومعنى الآية أن القرآن كله محكم بمعنى أنه متقن مصون من الباطل والفساد صدق في أخباره، حق في أحكامه، عدل في وعده ووعيده، قال شيخ الإسلام: "فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، وتمييز الرشد من الغي في أوامره"[(٤)].

وأما التشابه الذي يعم القرآن ففي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة هود، الآية ١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٥).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٦٠).

(٥) سورة الزمر، الآية ٢٣.

قال مجاهد: يعني القرآن كله متشابه مثاني.

وقال قتادة: الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف[١].

والمعنى أن القرآن متماثل الكلام فيه متناسب، بحيث يصدق بعضه بعضا ، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر بنظيره أو بملزوماته، وكذلك النهي، وهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام العام بل هو مصدق له فالكلام المتقن يصدق بعضه بعضا، ويشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والعدل[٢].

وأما الإحكام الخاص والتشابه الخاص فهو المذكور في آية آل عمران ، الذي سبق ذكر تعاريف أهل العلم فيهما.

ثم إن من الناس من لا يهتدي إلى المعنى المحكم، فيكون مشتبها عليه، ومنهم من يهتدي إليه، فالتشابه يكون نسبيا لبعض الناس دون غيرهم.

مسألة : نصوص الأسماء والصفات والمعاد ليست من المتشابه.

مذهب السلف وجوب الإيمان بنصوص الكتاب والسنة، والعمل بها، وبمقتضاها، وفهمها على مراد الله ومراد رسوله ﷺ سواء كانت في الأسماء والصفات أو غيرها، فمن المعلوم أن القرآن خبر عن الله وأسمائه وصفاته وعن اليوم الآخر والجنة والنار والقصص، وبيان عاقبة أهل الإيمان وعاقبة أهل الكفر، فإن كان هذا كله من المتشابه ـ الذي لا يعلم أحد معناه ـ فسائر القرآن لا يعرف أحد معناه لا الرسول ولا أحد من الأمة، وفي هذا مكابرة ظاهرة.

قال ابن تيمية: فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد ابن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٦٠ـ٦١).

أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة[١].

والمراد من التأويل في آية آل عمران يكون بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الأمر إذا كان مما يختص الله بعلمه، ولذا كانت قراءة الجمهور الوقف عند لفظ الجلالة، ومن ترك الوقف من العلماء كان التأويل عنده بمعنى التفسير والبيان وعليه يكون العلماء الراسخون في العلم يعلمون التأويل الذي بمعنى التفسير والبيان[٢].

فعلينا أن نفرق بين المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وبين قولنا المتشابه لا يعلم معناه إلا الله.

أما الأول: فصحيح، فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله، والمراد بالتأويل هنا هو الحقيقة التي يؤول إليها الأمر كما هو استعمال القرآن الكريم، وذلك كحقائق صفات الله وكيفيتها فهذه لا يعلمها إلا الله[٣].

وأما الثاني: فباطل، وسيأتي بيانه.

فقد اختلف الناس في المراد بالمتشابه وعلى كل تقدير لم يقل أحد منهم إن المتشابه لا يعلم أحد معناه، ومن تعريفات المتشابه: أنه ما احتاج إلى بيان، وهو منقول عن أحمد وغيره، وهذا معلوم المعنى وإن لم يكن مقطوعاً به.

ومن ذلك أيضاً قولهم: المتشابه ما احتمل وجوها من المعاني، وهو منقول عن الشافعي، وهذا أيضا من جنس ما سبق.

---

(١) الفتاوى (١٣/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٢) انظر: الفتاوى (١٣/ ٢٩٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص١٢٢).

وقيل: المتشابه هو القصص والأمثال وهي معلومة معانيها، إلى غير ذلك من التعاريف[١].

والمقصود من هذا كله أن الله تعالى هدى أهل السنة والجماعة للطريقة المثلى، فلم يقولوا إن نصوص الأسماء والصفات من المتشابه، بل أثبتوا حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، يثبتون له الأسماء الحسنى والصفات العليا بحقائقها ولا يكيفون شيئاً منها، فإن الله تعالى أثبتها لنفسه وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله تعالى لم يكلف عباده بذلك ولا أراده منهم، ولا جعل لهم إليه سبيلا[٢].

---

(١) انظر: الفتاوى (١٧/ ٤٢٠-٤٢٣)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٤).

(٢) انظر: مختصر الصواعق (١/ ٨٣).

المبحث الثالث

دلالة الكتاب والسنة على العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه

المطلب الأول: دلالة الكتاب على العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه.

قال الله جل وعلا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٧ ﴾[(١)].

قال ابن سعدي: "فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض الناس ، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضا"[(٢)].

المطلب الثاني: دلالة السنة على العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه.

ومن ذلك: قوله ﷺ : (إن القرآن لم يترل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه)[(٣)].

ومما يعضد هذا ما جاء عن السلف أنهم يؤمنون بمتشابه القرآن ويعملون بمحكمه فمن ذلك:

ما قاله ابن عباس: «يؤمن بالمحكم ويدين به، ويؤمن بالمتشابه ولا يدين به،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص١٢٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٠/ ٢٣٠)، رقم : ٦٧٠٢ ـ طبعة أحمد شاكر ـ ، وقد صححه المحقق.

وهو من عند الله كله»[١].

وقال الحسن: «يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه»[٢].

إلى غير ذلك من أقوال أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وقد قال كثير من السلف : إن المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به»[٣].

---

(١) انظر: جامع البيان (٣/ ١٨٦).
(٢) انظر: جامع البيان (١/ ٥٢٠).
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٣٨٦).

الفصل السادس

رد التأويل لنصوص التنزيل

المبحث الأول: تعريف التأويل.

المطلب الأول: تعريف التأويل في اللغة : للتأويل معاني عدة يرجع إليها، من ذلك:

١- المرجع والمصير والعاقبة : آل يؤول مآلا: أي رجع، ومنه آل الملك رعيته إذا ساسهم واحسن رعيتهم.

وقال الراغب الأصبهاني: التأويل: رد الشيء إلى الغاية المرادة منه قولا كان أو فعلا[(١)].

٢- التغيير: آل العسل والشراب إذا خثر ، والإيال : وعاء يجمع فيه الشراب أياما حتى يجود.

٣- التفسير: أوّل الكلام تأويلا، قدره وفسّره.

وهذا صنيع أبي عبيدة معمر بن المثنى، والطبري أيضا[(٢)].

قال الطبري رحمه الله: «وأما معنى التأويل في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير» [(٣)(٤)].

---

(١) انظر: تاج العروس للزبيدي (٧/ ٢١٥).

(٢) انظر: مقدمة مجاز القرآن (١/ ١٨-١٩).

(٣) جامع البيان (٣/ ١٨٤).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٣٧-٤٤٢)، معجم مقاييس اللغة (١/ ١٥٩-١٦٢)، مجمل اللغة (١/ ٢١٧)، لسان العرب (١١/ ٣٢-٤٠)، تاج العروس (٧/ ٢١٤-٢١٦).

المطلب الثاني: تعريف التأويل في الاصطلاح.

للتأويل عند أهل العلم ثلاثة معاني:

أولا: التأويل: معنى العاقبة : فتأويل ما أخبر الله تعالى به عما في الجنة مثلا من المآكل والمشارب والملابس والمناكح هو حقيقة ما عليه هذه الأشياء يوم القيامة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، على القول بالوقف في لفظ الجلالة، فالتأويل هنا معنى العاقبة.

وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[١].

ثانيا: التأويل : بمعنى التفسير: ومن ذلك قول النبي ﷺ لابن عباس : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[٢].

وقول جابر بن عبد الله ﷺ في حجة الوداع: (ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله)[٣].

ومنه هذا قول أبي عبيدة والطبري وغيرهما تأويل هذه الآية أي تفسيرها، وقد سبق التنبيه عليه.

ثالثا: التأويل عند الأصوليين المتأخرين: الذي عليه الأصوليون أن التأويل له

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٧)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٦)، والشيخ أحمد شاكر.

(٣) أخرجه مسلم، ٢/ ٨٨٧، رقم: ١٢١٨.

تعريف خاص به ، وهو قولهم: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح للدليل الصارف عن مدلوله الظاهر[١]، ومنه تأويل صحيح وتأويل فاسد.

فمن التأويل الصحيح: قوله ﷺ : (الجار أحق بسقبه)[٢]، فإن ظاهره المتبادر منه ثبوت الشفعة للجار، وحمل الجار على خصوص الشريك المقاسم حمل له على محتمل مرجوح، إلا أنه دل عليه الحديث الصحيح وهو قضاؤه ﷺ بالشفعة في كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة[٣].

(١) انظر: الإحكام للآمدي (٢/ ١٩٩)، وإرشاد الفحول للشوكاني (ص١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري، ٤/ ٤٣٧، رقم: ٢٢٥٨.

(٣) أخرجه البخاري، ٤/ ٤٣٦، رقم: ٢٢٥٧.

المبحث الثاني

اتباع النصوص وفهم المراد منها

مذهب سلف الأمة وأئمتها أنه يجب على المسلم أن يتبع النصوص الشرعية، وأنه يجب معرفة مراد المتكلم بكلامه، وذلك بأن يعلم أن ما قاله الله ورسوله ﷺ يجب أن يكون معناه حقا، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ومن كان مقصوده معرفة مراد الله ورسوله وسلك الطريق التي يعرف به، فقد سلك سبيل الهدى.

قال ابن القيم: والمقصود أن الكلام الذي هو عرضة التأويل أن يكون له عدة معان وليس معه ما يبين مراد المتكلم فهذا التأويل فيه مجال واسع، وليس في كلام الله ورسوله منه شيء من الجمل المركبة، وإن وقع في الحروف المفتتح بها السور، بل إذا تأمل من بصره الله طريقة القرآن والسنة وجدها متضمنة لدفع ما يوهمه الكلام من خلاف ظاهره، وهذا موضع لطيف جداً في فهم القرآن نشير إلى بعضه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ رفع سبحانه توهم المجاز في تكليمه لكليمه بالمصدر المؤكد الذي لا يشك عربي القلب واللسان أن المراد به إثبات تلك الحقيقة... وذكر عدة أمثلة في هذا الباب، ثم قال: وهذه أمثلة يسيرة ليعرف الفهم المنصف القاصد للهدى والنجاة منها ما يقبل التأويل وما لا يقبله[١].

واعلم أن الأصل في اللفظ هو الحقيقة والظاهر، وأن المقصود بالخطاب دلالة السامع وإفهامه مراد المتكلم بكلامه، وتثبيته ما في نفسه من المعاني، ودلالته عليها بأقرب الطرق، وذلك موقوف على أمرين: بيان المتكلم وتمكن السامع من الفهم. فإن لم يحصل البيان من المتكلم أو حصل له، ولم يتمكن السامع من الفهم لم يحصل مراد المتكلم، فإذا بين المتكلم مراده بالألفاظ الدالة على مراده، ولم يعلم السامع

---

(١) مختصر الصواعق (١/ ٦٦-٧٣).

معنى تلك الألفاظ لم يحصل له البيان، فلا بد من تمكن السامع من الفهم وحصول الإفهام من المتكلم، فحينئذ لو أراد الله ورسوله من كلامه خلاف حقيقته وظاهره الذي يفهمه المخاطب لكان قد كلفه أن يفهم مراده بما لا يدل عليه، بل بما يدل على نقيض مراده، وأراد منه فهم النفي بما يدل على غاية الإثبات وفهم الشيء بما يدل على ضده، وذلك بضرب من التأويلات الباطلة التي يعلم السامع قطعاً أنها لم ترد بالخطاب بقصد المتكلم لها بتلك الألفاظ الدالة على نقيضها من كل وجه[١].

وقال ابن القيم رحمه الله ـ عند الكلام على باب الأسماء والصفات ـ: قد تطابقت نصوص الكتاب والسنة والآثار على إثبات الصفات لله، وتنوعت دلالتها عليها أنواعاً توجب العلم الضروري بثبوتها، وإرادة المتكلم اعتقاد ما دلت عليه، والقرآن مملوء من ذكر الصفات، والسنة ناطقة بمثل ما نطق به القرآن مقررة له، مصدقة له مشتملة على زيادة في الإثبات، ...فمن أبين المحال وأوضح الضلال حمل ذلك كله على خلاف حقيقته وظاهره، ودعوى المجاز فيه والاستعارة، وأن الحق في أقوال النفاة المعطلين، وأن تأويلاتهم هي المرادة من هذه النصوص إذ يلزم من ذلك أحد محاذير ثلاثة لا بد منها أو من بعضها وهي: القدح في علم المتكلم بها، أو في بيانه، أو في نصحه[٢].

ومما يبين أهمية هذا الموضوع ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان: نوع ما جاء به الكتاب والسنة، فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله، فاللفظ الذي أثبته الله أو نفاه حق، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والألفاظ الشرعية لها حرمة، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (١/ ٣١٢-٣١٤)، مختصر الصواعق (١/ ٤٢).
(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٣٢٠-٣٢٤).

وينفي ما نفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر ونطيعه في كل ما أوجب وأمر(١).

فعلى المخاطب معرفة مراد المتكلم بكلامه، وذلك بعد أن تبين له أن المتكلم عالم مبين ناصح أمين، ويريد الهداية والإرشاد، فاجتمع له كمال العلم والبيان مع تمام النصح والإرشاد، ثم إن كان المخاطب مريدا الانتفاع بالخطاب مبتغيا فهم المراد به فعليه أن يتصف بتمام الفهم وحسن القصد، فهذه أربعة أمور لحصول المقصود: البيان والنصح من المتكلم، والفهم وحسن القصد من المخاطب، فإذا كان المقتضي قائما والمحل قابلا حصل المقصود وتم المراد.

فلم يتنازع السلف في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، بحيث يشترك في فهم معنى آيات الصفات الخاص والعام، أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية(٢).

ومما لا شك فيه أن المراد من نصوص الكتاب والسنة في الأسماء والصفات أن تصف الله تعالى بما وصف نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ على وجه الكمال، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات المخلوقين، على نحو قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ .

ومن معالم الاهتداء إلى مراد الله ومراد رسوله ﷺ جمع النصوص وأقوال السلف المتقدمين في الموضوع الواحد، والنظر في ذلك على اجتماعه؛ فإن النصوص يصدق بعضها بعضا، ويعضد بعضها الآخر، ولا يكون فهمه إلا كما فهمه الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسيأتي مزيد بيان في الفصل القادم إن شاء الله.

---

(١) الفتاوى (١٢/ ١١٣-١١٤).

(٢) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٢١).

الفصل السابع

تقديم فهم السلف أهل القرون المفضلة للنصوص الشرعية

المبحث الأول: بيان أن الصحابة ومن تبعهم بإحسان أولى الناس بفهم النصوص على مرادها.

إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم كانوا أقرب عصرا من النبوة وأعمق صلة بكلام الله ورسوله، وأصح لسانا، وأفصح بيانا، فلا شك حينئذ أن يكون فهمهم لنصوص الكتاب والسنة ـ ولا سيما ما يتعلق منها بمسائل الاعتقاد ـ أولى بالاتباع، والجدير بأن يلتزم بما التزموا به، والعمل بما عملوا.

قال ابن مسعود ﷺ: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيء[١].

وهذه الخيرية لا شك أنها في كمال العلم وتمام الفهم عن الله ورسوله ﷺ، لملازمتهم للنبي ﷺ وشهودهم التنزيل، ولهذا كان كل من له لسان صدق مشهور بعلم أو دين معترف بأن خير هذه الأمة الصحابة[٢].

فالصحابة أفقه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلهم تكلفا وأصحهم

---

(١) أخرجه أحمد (رقم ٣٦٠٠ ـ طبعة أحمد شاكر ـ)، والطيالسي في مسنده (١/ ٣٣)، وقال الهيثمي (مجمع الزوائد ١/ ١٧٧): رجاله موثقون، وصححه أحمد شاكر.

(٢) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٢٨).

قصودا وأكملهم فطرة، وأتمهم إدراكا وأصفاهم أذهانا: شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل وفهموا مقاصد الرسول، وليس من سمع وعلم رأى حال المتكلم كمن كان غائبا لم ير ولم يسمع، أو سمع وعلم بواسطة، أو وسائط كثيرة، وعليه فالرجوع إلى ما كان عليه الصحابة من الدين والعلم متعين قطعا على من جاء بعدهم ممن لم يشركهم في تلك الفضيلة ـ أي فضيلة الصحبة ـ[١].

وذكر ابن القيم أن أهل السنة والحديث المشتغلين بعلم الرسول ﷺ وعلم بطانته من أصحابه وحواريه هم أعلم الناس بهذا الموروث، فتكون أحوالهم في الديانة علما وفهما وعملا واعتقادا لها ثقلها واعتبارها في فهم مراد الله ورسوله، ولهذا كان الأخذ بالفتاوى الصحابية والآثار السلفية أولى من آراء المتأخرين وفتاويهم، وأن أقربها إلى الصواب بحسب قرب أهلها من عصر النبوة، ففتاوى الصحابة أولى أن يؤخذ بها من فتاوى التابعين ...فكلما كان العهد بالرسول ﷺ أقرب كان الصواب فيه أغلب، وهذا الحكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد من أفراد المسائل[٢].

فلما كان السلف بهذه المنزلة مع علمهم بلغة العرب وأنهم أرسخ فهما وأعمق إدراكا لمعاني كتاب الله تعالى، ممن جاء بعدهم إضافة إلى شدة حرصهم على حفظه وتعلم معانيه ومعرفة تفسيره من النبي ﷺ فيما أشكل عليهم فهمه، كان ما فهمه الصحابة والسلف من القرآن أولى أن يصار إليه مما فهمه من بعدهم[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولا تجد إماما في العلم والدين كمالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٧٩-٨٠، ٤/ ١٤٧-١٥٠).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ١١٨).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٥٠٩).

....وأمثالهم إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة، وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب[(١)].

وقال أيضا: ومن آتاه الله علما وإيمانا علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلا ما هو دون تحقيق السلف، لا في العلم ولا في العمل، ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات وبالعمليات علم أن مذهب الصحابة دائما أرجح من قول من بعدهم[(٢)].

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٢٨).

(٢) الإيمان (ص٤١٧).

المبحث الثاني

ذكر الأدلة على أخذ النصوص بفهم السلف

جاءت الأدلة متنوعة لبيان أن الأولى بالأخذ فهم السلف، وهي تتمثل في الاستدلال بالمنقول والمعقول:

المطلب الأول: دلالة النقل على الأخذ بفهم السلف. أما من المنقول: فمن الكتاب والسنة وأقوال السلف.

أولا: أما من الكتاب: فقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، ووجه الاستدلال بالآية أنه تعالى أخبر أنه جعلهم أمة خيارا عدولا هذا حقيقة الوسط، فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإرادتهم ونياتهم وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم، لأنه تعالى لما اتخذهم شهداء أعلم خلقه من الملائكة وغيرهم بحال هؤلاء الشهداء وأمر ملائكته أن تصلي عليهم وتدعو لهم، والشاهد المقبول عند الله هو الذي يشهد بعلم وصدق فيخبر بالحق مستندا إلى علمه به، وبهذا تعلم أن الحق لا يعدوهم ويخرج عنهم، ويقال لمن خالف أقوالهم في الاعتقاد وغيره: لو كان خيرا ما سبقونا إليه[١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾، ووجه الدلالة أن الله تعالى أثنى على من اتبعهم فإذا قالوا قولا فاتبعهم متبع عليه قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم، فيجب أن يكون

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٣٣).

محمودا على ذلك، وأن يستحق الرضوان[١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾، وكل من الصحابة منيب إلى الله تعالى فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله، والدليل على أنهم منيبون إلى الله تعالى أن الله تعالى قد هداهم وقد قال: ﴿ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[٢].

ثانيا: من السنة: قول النبي ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[٣].

وهذه الخيرية خيرية دين وعلم وفضل، فلا يجوز أن تخلو هذه العصور من الحق والصواب، حتى يكون فيمن بعدهم، لأنه يلزم من ذلك أن يكون هذا القرن المتأخر خيرا من القرون الفاضلة، ولو في هذا الوجه، وهذا ما يدل نص الحديث على بطلانه، بل يجب تقديمهم على من بعدهم في كل باب من أبواب الخير[٤]. إلى غير ذلك من الأحاديث.

ثالثا: من أقوال السلف : وأما أقوال السلف: فقد سبق قول ابن مسعود: «فاختار له أصحابه فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ﷺ، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن...».

وقال أيضا: «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٢٤).
(٢) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٣٠).
(٣) أخرجه البخاري (رقم: ٦٤٢٨)، من حديث ابن مسعود.
(٤) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٣٦).

فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[(١)].

وقال الأوزاعي: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم.

ثم قال: ولو كان خيرا ما خصصتم به دون أسلافكم فإنه لم يدخر عنهم خير خبئ لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب نبيه ﷺ الذين اختارهم وبعثه فيهم، ووصفهم بما وصفهم به، فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾[(٢)].

المطلب الثاني: دلالة المعقول على الأخذ بفهم السلف.

وأما من المعقول فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من المحال أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيه رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين، وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع:

أما الأول: فلأن من في قلبه حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه ...وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي ـ الذي هو من أقوى المقتضيات ـ أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم؟ هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضا عن الله، وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله تعالى فكيف يقع في أولئك؟ أما كونهم معتقدين فيه غير

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/ ١١٩)، وانظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٣٩).
(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (رقم: ٣١٥).

الحق، أو قائليه: فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم[(١)].

وبهذا يصل القارئ إلى نهاية الباب الثاني مما يتعلق بالاستدلال ومصادر التلقي، وأن منهج أهل السنة والجماعة اتسم في ذلك بالتسليم للوحي المنزل من الله تعالى على رسوله ﷺ ، وعدم التعرض له بالرد أو التأويل الفاسد أو تحريف، بل يرون أن وحي الله تعالى كله من عند الله، فيعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه، ولا يعترضون على حكم الله ولا على حكم رسوله ﷺ ممتثلين في ذلك قوله جل وعلا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[(٢)].

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص١٩٩-٢٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية ٦٥ .

البَابُ الثَّالِثُ

خَصَائِصُ أهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَة في العَمَلِ والتَطْبِيقِ

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: حصرهم الاتباع لرسول الله ﷺ فلا معصوم عندهم غيره.

الفصل الثاني: الاقتداء بالسابقين من المهاجرين والأنصار مع الأمثلة العملية لذلك.

الفصل الثالث: الولاء لأولياء الله والبراء من أعدائه.

الفصل الرابع: تحذيرهم من المحدثات والبدع وذمهم لها، وموقفهم العملي من أهل البدع والأهواء.

الفصل الخامس: توسطهم بين الإفراط والتفريط مع بيان نماذج عملية لذلك.

الفصل السادس: قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصبرهم على الأذى فيه.

الفصل الأول

حصرهم الاتباع لرسول الله ﷺ فلا معصوم عندهم غيره

المبحث الأول: تعريف الاتباع.

المطلب الأول: تعريف الاتباع في اللغة : الاتباع أصل واحد والتاء فيها والباء والعين يأتي على معنى التُلُو والقفو.

يقال: تبعت فلانا إذا تلوته واتبعته وأتبعته إذا لحقته[(١)].

يقول ابن منظور رحمه الله: أتبع الشيء تبعا وتباعا في الأفعال ، وتبعت الشيء تبوعا؛ سرت في أثره.

واتبعه وأتبعه وتتبعه: قفاه وتطلبه متبعا لـه. والتـابع التـالي ، والجمـع تبـع ، وتباع وتبعة.

والتَّبع اسم للجمع .

والتبع يكون واحدا وجماعة ، وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾[(٢)]، يكون اسما لجمع تابع .

ويكون مصدرا: أي ذوي تبع والتبعة والتباعـة مـا اتبعـت بـه صـاحبك مـن ظلامة ونحوها.

والتباعية : ملوك اليمن واحدهم تُبَّع سموا بذلك ؛ لأنه يتبع بعضهم بعضـا ، كلما هلك واحد قام مقامه آخر، تابعا له على مثل سيرته.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٣٢٦).

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢١.

وقيل: فلان متتابع العلم إذا كان علمه يشاكل بعضه بعضا لا تفاوت فيه(١).

وذكر بعضهم أن تبيع بمعنى الناصر ، تقول : وجدت على فلان تبيعا أي نصيرا ومتابعا، واتبع القرآن ائتم به وعمل بما فيه(٢).

ومن هذه النقول يظهر أن الاتباع في لغة العرب يدور على معاني متقاربة، وهي: الاقتفاء والاقتداء، واللحاق بالشيء ، والسير خلفه.

المطلب الثاني: معاني الاتباع في القرآن الكريم.

لقد جاءت هذه الكلمة وتصاريفها في القرآن الكريم على وجوه عدة، أذكر منها:

أولا: الصحبة: قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ ﴾(٣)، أي هل أصحبك .

ثانيا: الاقتداء والمتابعة. قال الله جل وعلا: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا ﴾(٤)، أي اقتدوا به، وأطيعوه.

ثالثا: الثبات والاستقامة. قال جل وعلا: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا ﴾(٥)، أي دم واثبت عليها.

رابعا: الاختيار والموافقة. قال الله تعالى: ﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٦).

---

(١) لسان العرب (٨/ ٢٧).

(٢) انظر: تاج العروس (٥/ ٢٨٦).

(٣) سورة الكهف، الآية ٦٦.

(٤) سورة يس، الآية ٢١.

(٥) سورة النحل، الآية ١٢٣.

(٦) سورة النساء، الآية ١١٥.

خامسا: **العمل**: قال عز من قائل: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (١)، أي عملوا به.

سادسا: التوجه إلى الكعبة أو إلى بيت المقدس في الصلاة قبل أن ينسخ.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ (٢).

سابعا: **الطاعة**: قال جل وعلا: ﴿ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾(٣)، أي لأطعتموهم.

المطلب الثالث: تعريف الاتباع في الاصطلاح.

إن نظرة سريعة في تعريف الاتباع اصطلاحا يعطي للقارئ نظرة عامة لهذا المصطلح وأنه في الحقيقة شامل لكل معالم الدين أصوله وفروعه، فنجد مثلا أن الإمام أحمد لما تكلم عن الاتباع يقول: «الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم من هو من بعد في التابعين مخير» (٤).

فقد أشار رحمه الله إلى أمرين مهمين، مدار الاتباع عليهما: القبول، والانقياد، مع الأدلة على ذلك.

ولهذا قيل: «الاتباع : الائتمار بما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ ، وترسم أفعاله، وأحواله ﷺ للاقتداء بها» (٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٥.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٣.

(٤) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٢٠٠).

(٥) انظر: الاجتهاد والتقليد في الإسلام للدكتور جابر العلواني، (ص١١٤).

المبحث الثاني

الأمـــر بالاتبـــاع

قد تقدم طرق هذا الباب فيما سبق من نصوص الكتاب والسنة في الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، وفي هذا المبحث إن شاء الله أذكر بعض الأدلة التي تقضي بوجوب الاتباع الذي أمر الله به في كتابه، ومن ذلك:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [(١)].

فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لمن يدعي محبة الله: إن كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعوني ، فإن ذلك علامة صدقكم فيما تقولون من ذلك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ابتلاء لهم[(٢)].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: «هذه حاكمة على من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه، في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله» [(٣)].

وقال جل وعلا: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[(٤)]. فالله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ﷺ أن يقول للمشركين

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٢) انظر: جامع البيان (٣/ ٢٣٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٦).

(٤) سورة الأنعام، الآية ٥٠.

والكفار أنه ما هو إلا عبد يمتثل أمر مولاه ويتبع ما أوحاه إليه[١].

وإذا كان النبي ﷺ لا يعمل إلا بالوحي فإنه ليس لأحد من أمته أيضا أن يعمل إلا بالوحي الذي نزل على رسول الله ﷺ.

ومن هذا أيضا قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾[٢]، وقال جل وعلا: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾[٤].

ففي هذه الآيات وغيرها من النصوص أمر الله تعالى بالتأسي بالنبي ﷺ واتباعه في جميع شؤون الحياة، وذلك أن ما أوتيه ﷺ إنما هو وحي يوحى إليه من عند الله تعالى كما سبق تقرير ذلك.

ثم إن الله تعالى عصم الأنبياء كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، قال تعالى مذكرا بذلك في كتابه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٥].

وقال جل وعلا: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾[٦].

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (٧/ ١٥٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠٣.

(٣) سورة الأحقاف، الآية ٩.

(٤) سورة مريم، الآية ٤٣.

(٥) سورة الحجر، الآية ٩.

(٦) سورة هود، الآية ١.

ومهما تآمر الأعداء على هذا الدين، وما قام به المستشرقون من التشويه للنبي ﷺ ولشريعته، ومهما تكالب أيدي الكفر ومؤتمراتها، فإن ذلك لم يؤثر في شيء من ديننا عقيدة وشريعة، فالقرآن باق كيوم أنزل على النبي ﷺ، منزه عن الباطل محفوظ من الغلط والتحريف، ظاهر على كل شيء[1].

(١) انظر: خصائص الشريعة الإسلامية (ص٣٨).

المبحث الثالث

الاتباع في العمل ونماذج من ذلك

المطلب الأول: الأنبياء أول الناس اقتداء بالنصوص.

لما كان الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه هم أعلم الناس بالله فإن ذلك يعني أن يكونوا قدوة لأممهم، وهم أولى الناس بالعمل بما علموا عن الله سبحانه وتعالى، قال جل وعلا: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(١).

وقد شهد الله لهم بالعمل أيضا فهؤلاء أنبياء الله إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام يقول الله تعالى عنهم: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾(٢).

وهذا نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام يبين لقومه أنه عامل بما يأمرهم به، فيقول: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ ﴾(٣).

ونبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام يبين لصاحبي السجن هجره الشرك واتباعه التوحيد، فيقول: ﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(٣) سورة هود، الآية ٩٣.

(٤) سورة يوسف، الآيتان ٣٧،٣٨.

والله تعالى أمر موسى وهارون عليهما السلام بالعمل فيقول في محكم تنزيله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

وكذلك يأمر الله تعالى نبيه داود عليه السلام ويخاطبه بقوله: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[2].

وقال تعالى ممتدحا زكريا ويحيى عليهما السلام: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[3].

ويأمر الله جل وعلا أفضل أنبيائه محمدا ﷺ أن يقول لقومه ما أمر به شعيب عليه الصلاة والسلام، فقال: ﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[4].

فالله جل وعلا أمر عباده بالعمل بما اعتقدوه، فقال: ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[5]، والفلاح يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[6].

وبهذه الآيات يتبين أن الأنبياء قاموا بالعمل خير قيام ، ودعوا أممهم إلى العمل وحثوا عليه، وليس كل عمل بل العمل الخالص لله الذي لا يشرك فيه معه غيره، ولا بد مع كونه خالصا لله تعالى أن يكون صوابا فالذي لم يأت به الشارع فهو

---

(١) سورة يونس، الآية ٨٧.

(٢) سورة سبأ، الآية ١١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٩٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٣٥.

(٥) سورة الحج، الآية ٧٧.

(٦) سورة النحل، الآية ٩٧.

مردود على صاحبه.وذلك أن العبادة لا تصح إلا بشرطين:

- الإخلاص، والمتابعة.

وعلى ذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وذلك أن الدين مبني على أصلين: أن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ولا يعبد إلا بما شرع لا نعبده بالبدع"[3].

وقال أيضا: «فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»[4].

وقال أيضا: «دين الإسلام مبني على أصلين من خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين، أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وعلى أن نعبده بما شرع لا بالحوادث والبدع، وهو حقيقة لا إله إلا الله محمد رسول الله»[5].

المطلب الثاني: منزلة الاتباع في الجانب العملي عند الصحابة ومن بعدهم.

إن الصحابة رضوان الله عليهم هم أفضل الأمة بعد نبينا محمد ﷺ، وذلك لشهودهم ما لم يحضره غيرهم، ومعرفة التنزيل والحلال والحرام، والبر والتقوى، فكانوا المثل الأعلى في التطبيق العملي في الاقتداء بالنبي ﷺ واتباعه، ومن ذلك:

---

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٢) سورة الملك: الآية ٢.

(٣) مناسك الحج والعمرة (ص٧٨)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٤٣-٨٤٤).

(٤) الفتاوى (٥/ ١٥٤).

(٥) تلخيص الاستغاثة (ص٥٣)، وانظر: الفتاوى (١٩/ ١٠٤)، أضواء البيان (٣/ ٣٧٣).

أولا: ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (ما تركت استلام هذين الركنين في شدة ولا رخاء منذ رأيت النبي ﷺ يستلمها. قلت لنافع[١]: أكان ابن عمر يمشي بين الركنين؟ قال: إنما كان يمشي ليكون أيسر لاستلامه)[٢].

وفي رواية: (سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، قال: قلت: أرأيت إن زحمت، أرأيت إن غلبت؟ قال: اجعل "أرأيت" باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله)[٣].

ففي هذا الحديث ما كان السلف رضي الله عنهم من الصحابة ومن بعدهم من الحرص على اتباع سنته ﷺ وذلك تأسيا واستجابة لقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾[٤]، ولقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٥].

وفي الحديث قال الراوي: (قلت لنافع : أما إن عبد الله يمشي إذا بلغ الركن اليماني، قال: لا إلا أن يزاحم على الركن فإنه كان لا يدعه حتى يستلمه)، وفي وقول ابن عمر ﷺ : (ما تركت استلام هذين الركنين في شدة ولا رخاء، منذ رأيت النبي ﷺ يستلمهما)، يدل كل هذا على تمسك ابن عمر ﷺ بالسنة ومداومته عليها، وقد اشتهر عنه ذلك ﷺ ، وكذلك إنكاره على السائل له عن لو تعرض للمزاحمة أو الغلبة عن استلام الحجر بعد إجابته بأنه رأى النبي ﷺ يستلمه ويقبله، وتأكيده بأن

---

(١) هو نافع مولى ابن عمر أبو عبد الله ، نافع بن هرمز. قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. توفي سنة سبع عشرة ومائة، وقيل غير ذلك. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ٨٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧١)، رقم: ١٦٠٦، ومسلم (٢/ ٩٢٤)، رقم: ١٢٦٨.

(٣) أخرجه البخاري ، في كتاب الحج، باب تقبيل الحجر، (٣/ ٤٧٥)، ١٦١١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٣١.

رأى النبي ﷺ يستلمه ويقبله، فدل ذلك على حرص ابن عمر على اتباع سنة النبي ﷺ حتى ولو تعرض للمزاحمة وغيرها، قال ابن حجر: "والظاهر أن ابن عمر لم ير الزحام عذرا في ترك الاستلام"[١].

وهذا يدل على حرص الصحابة على التمسك بسنة النبي ﷺ وتطبيق ما شاهدوه منها.

ثانيا: ومن ذلك ما جاء عن عمر ﷺ : (أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك)[٢].

وفي لفظ: (أن عمر بن الخطاب ﷺ قال للركن: أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ استلمك ما استلمتك، فاستلمه ثم قال: ما لنا وللرمل؟ إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه)[٣].

ففي الحديث دليل واضح على ما كان عليه الصحابة ﷺ من الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ في جميع الأمور، وأنهم ما يفعلون ذلك إلا أسوة به ﷺ.

ففي تقبيل عمر ﷺ للحجر الأسود، وقوله: (ثم قال: ما لنا وللرمل؟ إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه)، قال العيني[٤]: "إن قول عمر لذلك طلب منه للآثار وبحث عنها وعن

---

(١) فتح الباري، (٣/ ٤٧٦)، وانظر: عمدة القاري، (٧/ ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٤٦٢)، رقم: ١٥٩٧، ومسلم (٢/ ٩٢٥)، رقم: ١٢٧٠.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٤٧١)، رقم: ١٦٠٥.

(٤) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ، أبو محمد العيني، الحنفي، المؤرخ العلامة، من كبار أهل الحديث في عصره، مات سنة ٨٥٥ هـ. انظر: شذرات الذهب (٧/ ٢٨٦)، الأعلام (٧/ ١٦٣).

معانيها. ثم قال: ولما رأى أن الحجر يستلم ولا يعلم له سبب يظهر للحس، ولا من جهة العقل، ترك فيه الرأي والقياس، وصار إلى محض الاتباع، كما صنع في الرمل[(١)].

وقال ابن حجر: «ومحصل كلام عمر بقوله: (ما لنا وللرمل) لأنه ﷺ هم بترك الرمل في الطواف، لأنه عرف سببه، وقد انقضى، فهمّ أن يتركه لفقد سببه، ثم رجع عن ذلك لاحتمال أن تكون له حكمة ما اطلع عليها، فرأى أن الاتباع أولى من طريق المعنى» [(٢)].

فالحاصل مما سبق أن الاجتهاد في الجانب العملي كان متميزا عند الجيل الأول من الصحابة الأخيار ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان، مواظبون عليه، وملتزمون به، فالسلف رضوان الله عليهم أعطوا المثل الأعلى في الاتباع وتحقيق العبادة وتقوية الإيمان في كل لحظة وحين، فإن نظرت إلى قلوبهم فهم أعرف الناس بالله، وإن نظرت إلى علومهم فهم أعلم الناس بالحلال والحرام، وإن نظرت إلى عبادتهم فهم أتقى الناس، وأرفعهم قدرا عند الله تعالى، وقد جسد هذا المعنى أبو الدرداء ﷺ حيث قال: (إنك لن تكون عالما حتى تكون متعلما، ولن تكون بالعلم عالما حتى تكون بما علمت عاملا)[(٣)].

---

(١) انظر: عمدة القاري (٧/ ١٦٥ـ١٨١).

(٢) فتح الباري (٣/ ٤٧٢).

(٣) أخرجه وكيع في الزهد (رقم: ٢٢٠)، وابن سعد في الطبقات، (٢/ ٢٥٧)، ، وأبو نعيم في الحلية، (١/ ٢١٣)، والخطيب في اقتضاء العلم العمل، (رقم: ١٧).

المبحث الرابع

الاتباع في الاعتقاد مع إبراز الجانب العملي فيه

كما أن الأنبياء كانوا أول الناس في العمل بما علموه من الله تعالى فهم أيضا أول الناس في اتباع الاعتقاد الصحيح الذي أمر الله سبحانه وتعالى أن يبلغوه للناس، ألا وهو التوحيد وإنذار الناس عن الشرك، ويتمثل ذلك فيما يلي:

١ـ أنه دعوة الرسل أولا وآخراً، وأول منازل الطريق، ومفتاح دعوة الرسل، وآخرها، ولأجله خلقت الخليقة، وما أرسل الرسل من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام إلا لدعوة الناس إلى التوحيد، وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور العبودية لله تعالى، وكان كل رسول يقول لقومه: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[٢].

٢ـ أن دعوة الرسل واحدة: قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٤]، ففي هذه الآيتان أن دعوتهم كانت واحدة، وفي هذا يقول النبي ﷺ: (... والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[٥]، وهو أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا.

---

(١) سورة الأعراف: الآيات ٥٣، ٥٥، ٦٥، ٥٨، سورة هود: الآية ٦٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٢٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٥) أخرجه البخاري (رقم ٣٤٤٣)، ومسلم (رقم ٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة.

ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أحرص الناس على التوحيد ولو في المواطن الصعبة، فهذا النبي ﷺ كان يربي أمته على التوحيد من أول ما بدأ دعوته إلى أن مات ﷺ .

ومما يبين ذلك مما يبين قوة توكله ﷺ على ربه تعالى أن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أخبر: (أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد[١]، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه[٢]، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، فنزل رسول الله صلى اللهم عليه وسلم تحت سمرة[٣] وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي، فقال: إن هذا اخترط[٤] علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت، وهو في يده صلتا فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثا، ولم يعاقبه وجلس)[٥].

وفيما يأتي يحسن أن أذكر بعض العبادات الواردة عن النبيﷺ التي تتبين من خلالها مظاهر التوحيد.

---

(١) نجد: بفتح النون وسكون الجيم، الأرض المرتفعة أما حدودها فهي تبدأ من منحدرات جبال الحجاز الشرقية، وتمتد شرقا إلى البصرة، وسواد العراق ، وبلفظ أعم هي الأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام وهي قسمان: غربي وشرقي، فما كان من مرتفعات اليمامة جنوبا وشمالا غربا فهو العالية وما انحدر من اليمامة شمالا وجنوبا شرقا فهو السافلة. انظر: معجم الأمكنة التي ورد ذكرها في صحيح البخاري، لسعد بن جنيدل، ص٤٢١.

(٢) هو من شجر الشوك كالطلح والعوسج. انظر: المصباح المنير (ص٢١٥).

(٣) سَمُرَة: من السَمُر، وهو شجر الطلح وهو نوح من العضاه. انظر: المصباح المنير (ص١٥١).

(٤) اخترط: من فعل خرط، تقول: خرطتُ الورقَ إلى حتّه من الأغصان انظر: المصباح المنير (ص٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٦٥)، رقم: ٢٧٥٣، ومسلم (٤/ ١٧٨٦)، رقم: ٨٤٣.

مطلب: من مظاهر التوحيد.

من العبادات التي يتجلى فيها التوحيد نسك الحج، والذي يجتمع فيه عدد من الفضائل والمقاصد التي أناط بها الشارع نسك الحج، فهو مجتمع المسلمين من كل مكان، وقصدهم لبيت الله الحرام وطوافهم بالبيت في وقت واحد، وفي مكان واحد، ولا يعبدون إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

ومن تلك الأحاديث الواردة في هذا الباب أوردت بعضها اختصارا:

أولا: قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (سمعت رسول الله ﷺ يهل ملبدا)[(١)]. وفي رواية: (أن تلبية رسول الله ﷺ: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)[(٢)].

في هذا الحديث مظهر من مظاهر التوحيد، والذي يظهر في تلبية رسول الله ﷺ في قوله: (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)، حيث جعل التلبية لله تعالى خالصة، وعارض بذلك ما كان يقوله المشركون في تلبيتهم، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: (كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال فيقول رسول الله ﷺ : ويلكم قدٍ قدٍ، فيقولون: إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت)[(٣)].

والتلبية مجمع على القول بها، وأن المستحب المجيء بها بلفظها، واختلفوا في الزيادة عليها، فكرهه بعضهم، وأجازه الجمهور: لكون النبي ﷺ أقرهم على الزيادة

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤٠٠)، رقم: ١٥٤٠، ومسلم في كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، (٢/ ٨٤١)، رقم: ١١٨٤.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٤٠٨)، رقم: ١٥٤٩.

(٣) في كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، (٢/ ٨٤٣)، رقم: ١١٨٥.

ولم يرد عليهم[(١)].

فالحديث يدل على مظهر التوحيد في عباداته العملية، وذلك كي يستشعر المؤمن عظمة الله تعالى، ويكون بذلك أقرب إلى الإخلاص والموافقة للسنة، فيرجو بذلك قبول عمله من الله تعالى، وبخاصة في مثل تلك المواقف التي هي مظنة القبول والقرب من الله تعالى فيتجرد الإنسان فيها من ملابسه فيتذكر العرض الأكبر على الله سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾[(٢)].

ثانيا: قول ابن عمر رضي الله عنهما: (إن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده)[(٣)].

وفي الحديث بيان لبعض مظاهر التوحيد وإخلاص العبودية لله تعالى، مشيرا بذلك إلى أركان قبول العمل ألا وهو الإخلاص والمتابعة، وأنه لا نجاة للعبد إلا بتحقيق التوحيد لله تعالى، قال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[(٤)]، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ الآية[(٥)].

وذلك كله يرجع إلى تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله تعالى وأن محمدا عبده ورسوله، يشهد بأن الله تعالى هو المعبود حقا، وأن ما سواه فباطل.

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/ ٤١٠).
(٢) سورة الحاقة، الآية ١٨.
(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٦١٨)، رقم: ١٧٩٧، ومسلم ٢/ ، رقم: ١٤٣٣.
(٤) سورة الزمر، الآية ٦٥.
(٥) سورة النساء، الآية ٤٨.

قال القرطبي: «وفي تعقيب التكبير بالتهليل إشارة إلى أنه المتفرد بإيجاد جميع الموجودات، وأنه المعبود في جميع الأماكن»(١).

وقال ابن حجر: «مناسبة التكبير عند الصعود إلى المكان المرتفع أن الاستعلاء والارتفاع محبوب للنفوس لما فيه من استشعار الكبرياء، فشرع لمن تلبس به أن يذكر كبرياء الله تعالى، وأنه أكبر من كل شيء، فيكبره ليشكر له ذلك فيزيده من فضله.

ومناسبة التسبيح عند الهبوط لكون المكان المنخفض محل ضيق فيشرع فيه التسبيح لأنه من أسباب الفرج، كما وقع في قصة يونس عليه السلام حين سبح في الظلمات فنجي من الغم»(٢).

وقد ذكر ابن عمر في هذا الحديث ما كان يفعله ﷺ إثر عودته من السفر من تمجيد لله بالتكبير والتحميد، والتهليل، وإظهار الخضوع، والتوبة لله تعالى، قال القرطبي: «وتكبيره ﷺ في المواضع المرتفعة إشعار بأن أكبرية كل كبير إنما هي منه، وأنها محتقرة بالنسبة إلى أكبريته تعالى وعظمته»(٣).

وقال المهلب: «تكبيره ﷺ عد الارتفاع استشعار بكبرياء الله وعندما يقع عليه العين من عظيم خلقه أنه أكبر من كل شيء»(٤).

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ١٨٩).

(٢) المفهم للقرطبي (٣/ ٤٥٦)، وانظر: فتح الباري (١١/ ١٨٨)، إكمال المعلم للقاضي عياض (٤/ ٤٥٤).

(٣) المفهم للقرطبي (٣/ ٤٥٦).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٣٦).

المبحث الخامس

الاتباع في القول مع إبراز الجانب العملي فيه

كما أن الأنبياء حققوا التوحيد وطبقوه أحسن تطبيق فإنهم دعوا أقوامهم إلى ذلك، تلبية لأمر الله تعالى لهم بتبليغ هذا الدين، فكانوا صلوات الله عليهم وسلامه من أتبع الناس لأمر الله جل وعلا، ومما يبين الجانب العملي في ذلك دعوة أقوامهم إلى التوحيد ونبذ الشرك والتمسك بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، ومن ذلك قيامهم بالتبليغ والدعوة:

١ـ قال جل وعلا عن نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

٢ـ وقال تعالى عن هود عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[2].

٣ـ وقال جل وعلا عن صالح عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[3].

٤ـ ويقول الله تعالى لنبينا محمد ﷺ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان ٦٢،٦١.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان ٦٨،٦٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٧٩.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.

بل شهد الله لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتبليغ، قال جل وعلا: ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

(١) سورة الجن، الآية ٢٨.

الفصل الثاني

الاقتداء بالسابقين من المهاجرين والأنصار

مع الأمثلة العملية لذلك

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة الصحابة إجمالا.

المبحث الثاني: منزلة الاقتداء عند الصحابة.

المبحث الثالث: الاقتداء عند التابعين.

المبحث الأول

مكانـــة الصحابـــة إجمـــالا

الصحابة رضوان الله عليهم قد شهد لهم القرآن الكريم بالفضل العظيم، وبين النبي ﷺ في أحاديث كثيرة ما لهم من الخيرية، وذلك لما حضروا التنزيل وشهدوه، وهم أول من خوطب به من هذه الأمة، وسمعوا تفسير القرآن من رسول الله ﷺ قولا وعملا، فهم أعلم الناس بمراد الله سبحانه وتعالى، ولما كانت السعادة في اتباع الرسل فإن أولى الناس بالاتباع بعد الرسل هم أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك، ولا أحد أعلم بحال المرسلين إلا أقرب الناس إليهم وهم أصحابهم الكرام.

يقول النبي ﷺ: (استوصوا بأصحابي خيرا، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يعجل الرجل بالشهادة قبل أن يسألها ، وباليمين قبل أن يسألها، فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد، ومن الاثنين أبعد، فمن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)[(١)].

ويقول ابن مسعود ﷺ : «من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[(٢)].

ومن النصوص الواردة في فضلهم:

قول الله جل وعلا: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ

---

(١) تقدم تخرجه ص ٥٦.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٣٩.

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[(١)].

وقد اختلف المفسرون في معنى السابقين : فقيل: هم الذين أدركوا بيعة الرضوان، وقيل: هم الذين صلوا إلى القبلتين، وقيل: أصحاب بدر، وقيل: السابقون في الهجرة والنصرة[(٢)].

قال ابن العربي: وهو التقدم في الصفة، أو في الزمان أو في المكان، وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات والدليل عليه قول النبي ﷺ : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله ، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدا، والنصارى بعد غد)[(٣)].

فأخبر النبي ﷺ أن من سبقنا من الأمم بالزمان فجئنا بعدهم سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله والانقياد إليه، والاستسلام لأمره، والرضا بتكليفه، والاحتمال لوظائفه ، ولا تعترض عليه ولا تختار منه ولا تبدل بالآي شريعته كما فعل أهل الكتاب[(٤)].

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[(٥)] رحمه الله في تفسير هذه الآية : «صرح تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ١٥٠)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، رقم: ٨٧٦.

(٤) أحكام القرآن (٢/ ١٠٠٢).

(٥) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن أحمد نوح الجكني الشنقيطي، من الأئمة الفحول في هذا العصر، جمع الله له بين الفقه والأصول، والتفسير وعلوم اللغة، مات سنة ١٣٩٣ هـ. انظر: آخر أضواء البيان، للشيخ عبد الرحمن السديس.

بإحسان أنهم داخلون معهم في رضوان الله تعالى، والوعد بالخلود في الجنات والفوز بها»(١).

واتباعهم يكون في كل شيء بالاعتقادات والأقوال والأعمال(٢).

وقال ابن القيم: «إن الله تعالى امتن على من اتبعهم فإذا قالوا قولاً فاتبعهم متبع عليه قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم فيجب أن يكون محمودا على ذلك وأن يستحق الرضوان، ولو كان اتباعهم تقليدا لهم محضا كتقليد بعض المنتسبين لم يستحق من اتبعهم الرضوان إلا أن يكون عاميا ، فأما العلماء المجتهدون فلا يجوز لهم اتباعهم حينئذ» (٣).

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٤٧٤).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٣/ ١٣٦).

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٣)، وقد سبق التنبيه على بعض الأدلة في وجوب اتباع الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الثاني

منزلة الاقتداء عند الصحابة

لقد حظي الصحابة بكامل منزلة الاقتداء بالنبي ﷺ فقد حضروا نفسه وأنفاسه، وحفظوا عنه كل صغير وكبير من أمر الدين، ورأوا من أخلاق النبي ﷺ وتصرفاته ما يخولهم التقدم في الفضل في هذه الأمة، ولهذا تجدهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بسنة رسوله ﷺ .

ومما يمكن ذكره في هذا الباب من المواقف العملية للصحابة:

أولا: ما جاء عن أبي بكر الصديق ﷺ حيث قال ـ عندما ارتدت العرب ـ : **(والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإنّ الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.قال عمر ﷺ: فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدرَ أبي بكر ﷺ، فعرفتُ أنه الحق)**[1].

ففي هذا الحديث حرص الصحابة على الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به في كل صغيرة وكبيرة، حيث إن أبا بكر ﷺ عزم على قتل المرتدين ولو منعوا عناقاً أو عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ، لجاهدهم على الأخذ به اتباعاً لسنة النبي ﷺ.

ثانيا: ما جاء عن أبي بكر ﷺ أيضا لما كان خليفة (أنه ﷺ كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين[2]: بسم الله الرحمن الرحيم. هذه فريضة الصدقة التي

---

(١) أخرجه البخاري، رقم ١٤٥٦، (٣/ ٣٢١).

(٢) البحرين: بفتح الباء، وإسكان الحاء على صيغة تثنية، والبحرين: اسم لإقليم معروف والنسبة إليه بحراني، وكان اسما لسواحل نجد بين قطر والكويت، وكانت هجر قصبته، وهي الهفوف اليوم، وتسمى حساء، وانتقل اسم البحرين إلى جزيرو تواجه هذا الساحل ن الشرق كانت تسمى (أوال) وهي إمارة البحرين اليوم. انظر: تهذيب الأسماء (٣/ ٣٧)، معجم المعالم الجغرافية (ص ٤٠).

فرض رسول الله ﷺ على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله، فمن سُئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ....)[(١)].

وفي حديث آخر :(كان خاتم النبي ﷺ في يده وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس[(٢)] قال: فأخرج الخاتم فجعل يعبث به، فسقط، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فننزَح البئر، فلم نجده)[(٣)].

فقد دل الحديث على عظم حرص الصحابة على الاقتداء بالنبي ﷺ، والحرص على اتخاذ خاتمه بعد موته، وأنه كان عند أبي بكر ﷺ، ثم عند عمر ﷺ، ثم عند عثمان ﷺ، ثم فقد، ومن شدة حرصهم عليه أنهم بحثوا عنه ثلاثة أيام وما وجدوه.

قال ابن حجر: "والذي يظهر أن عثمان ﷺ إنما بالغ في التفتيش لكونه أثر النبيﷺ قد لبسه واستعمله وختم به، ومثل ذلك يساوي في العادة قدرا عظيما من المال، وإلا لو كان غير خاتم النبي ﷺ لاكتفى بطلبه بدون ذلك"[(٤)].

ثالثا: عن ابن عمر رضي الله عنهما : (كان إذا صلى بالغداة بذي الحليفة[(٥)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم، (٣/ ٣١٧)، رقم: ١٤٥٤.

(٢) بئر أريس: بفتح الهمزة وكسر الراء بئر بالمدينة بقباء، مقابل مسجدهت، قيل: نسبة إلى أريس رجل من المدينة من اليهود. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر؟ (١٠/ ٣٢٨)، رقم: ٥٨٧٩.

(٤) فتح الباري، (١٠/ ٣٣٠).

(٥) ذو الحليفة: بضم الحاء وفتح اللام ميقات أهل المدينة، وهي قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، وتقع بوادي العقيق عند سفح جبل عير الغربي، وبها عدة آبار ومسجدان لرسول الله ﷺ المسجد الكبير الذي يحرم منه الناس، والمسجد الآخر مسجد المعرس.
وتعرف اليوم بأبيار علي وقد ارتبطت بالمدينة. انظر: تهذيب الأسماء (٣/ ١١٤)، معجم البلدان (٢/ ٣٢٤).

أمر براحلته فرحلت ثم ركب، فإذا استوت به استقبل القبلة قائما ثم يلبي حتى يبلغ المحرم، ثم يمسك، حتى إذا جاء ذا طوى(١) بات به حتى يصبح، فإذا صلى الغداة اغتسل وزعم أن رسول الله فعل ذلك)(٢).

وفي لفظ: (كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أراد الخروج إلى مكة ادهن بدهن ليس له رائحة طيبة، ثم يأتي مسجد الحليفة فيصلي، ثم يركب، وإذا استوت به راحلته قائمة أحرم، ثم قال: هكذا رأيت النبي ﷺ يفعل)(٣).

ففي الحديث بيان شاف لما كان عليه الصحابة من شدة الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، وذلك أن المبيت بذي طوى مثلا ودخول مكة نهارا ليس من مناسك الحج، ولكن ابن عمر استحب أن يفعل في ذلك ما فعله النبي ﷺ تيمنا بفعله، واقتداء باختياره وتبعا لآثاره(٤).

قال القرطبي: «وهذا التحديد والتحقيق الذي صدر من ابن عمر في تعيين مواضع النبي ﷺ دليل على شدة عنايته، واهتمامه بآثار النبي ﷺ» (5).

رابعا: ما جاء عن عروة قال: (سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾(٦)، فو الله ما على أحد جناح أن لا يطوف

---

(١) ذو طوى: وادي من أودية مكة يسيح في سفوح جبل ذاخر والحجون وغيرهما، وهو في أسفل مكة في جنوب طريق العمرة، ومسجد عائشة، ويعرف اليوم بآبار الزاهد.
انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١١٥)، معجم المعالم الجغرافية (ص ١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٤١٢)، رقم: ١٥٥٣، ومسلم (٢/ ٩١٩)، رقم: ١٢٥٩.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٤١٢)، رقم: ١٥٥٤.

(٤) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٤/ ٣٣٥)، عمدة القاري للعيني (٧/ ٨٣).

(٥) المفهم (٣/ ٣٧٣).

(٦) سورة البقرة، الآية ١٥٨.

بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إنّ هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلَّل، فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾، الآية. قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما، ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن، فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته، ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يذكرون أن الناس إلا ما ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة ـ كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية. قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما: في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا في الجاهلية بالصفا والمروة، والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوّفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا، حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت)[1].

ففي الحديث دليل واضح على أهمية معرفة قدر الصحابة وأنهم أفقه الأمة بعد نبيها ﷺ ، وفي قول عائشة : (بئس ما قلت)، دليل واضح على ذلك، قال المازري: «هذا من بديع فقهها ومعرفتها بأحكام الألفاظ، لأن الآية إنما اقتضى ظاهرها رفع الحرج عمن طاف بين الصفا والمروة، فليس هو بنص في سقوط الوجوب فأخبرته أن ذلك محتمل، ولو كان نصا في ذلك لكان يقول: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما،

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤٩٧)، رقم ١٦٤٣، ومسلم (٢/ ٩٢٨)، رقم: ١٢٧٧.

لأن هذا يتضمن سقوط الإثم عمن ترك الطواف، ثم أخبرته أن ذلك إنما كان لأن الأنصار تحرجت أن تمر بذلك الموضع في الإسلام، فأخبرت أن لا حرج عليها وقد يكون الفعل واجبا، ويعتقد المعتقد أنه قد يمتنع من إيقاعه على صفة، وهذا كمن عليه صلاة ظهر وظن أنه لا يسوغ له إيقاعها عند الغروب، فيسأل فيقال له: لا حرج عليك إن صليت، فيكون هذا الجواب صحيحا، ولا يقتضي نفي وجوب الظهر عليه»[١].

خامسا: ما جاء عن عبد العزيز بن رفيع[٢] أنه قال: (سألت أنس بن مالك ﷺ قلت: أخبرني بشيء عقلته عن النبي ﷺ: أين صلى الظهر والعصر يوم التروية؟ قال: بمنى، قلت: فأين صلى العصر يوم النفر؟ قال: بالأبطح[٣]، ثم قال: افعل كما يفعل أمراؤك)[٤].

وفي الحديث إشارة إلى فقه الصحابة رضي الله عنهم، وذلك أن أنسا رضي الله عنه بين لعبد العزيز بن رفيع السنة في بعض أعمال الحج، كما جاء في أحد روايات هذا الحديث: (سألت أنس بن مالك: أخبرني بشيء عقلته عن النبي ﷺ أين صلى الظهر يوم التروية؟ قال: بمنى، قلت: فأين صلى العصر يوم النفر؟ قال:

---

(١) المعلم بفوائد مسلم، (١/ ٣٥٠)، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض، (٤/ ٣٥٠)، شرح صحيح مسلم، للنووي، (٩/ ٢١).

(٢) هو عبد العزيز بن رفيع ،الأسدي، أبو عبد الله المكي، من أئمة الحديث بالكوفة، مات سنة ١٣٠هـ، وقيل غير ذلك، وقد جاوز التسعين. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٤١٢٣).

(٣) الأبطح: اسم لمكان متسع بين مكة ومنى، وهو أقرب إلى منى، وهو البطحاء، وخيف بني كنانة، وهو المحصب أيضا، واليوم فلا الأبطح ولا المحصب فقد زالت كل المعالم الجغرافية لهذه البقاع وقامت فيها المساكن والأسفلت. انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٤٨)، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري لسعد بن جنيدل (ص١٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٥٠٧)، رقم: ١٦٥٣، ومسلم (٢/ ٩٥٠)، رقم: ١٣٠٩.

بالأبطح، افعل كما يفعل أمراؤك)، لكنه مع هذا لاحظ أمر جماعة المسلمين، وربما كان من أمر بعض الأمراء أن لا يقوم بما وردت السنة في ذلك، فخشي عليه مخالفة الجماعة، قال ابن حجر: «بين له المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ الظهر يوم التروية وهو منى، ثم خشي عليه أن يحرص على ذلك فينسب إلى المخالفة أو تفوته الصلاة مع الجماعة فقال له: صل مع الأمراء حيث يصلون، وهذا فيه إشعار بأن الأمراء إذ ذاك كانوا لا يواظبون على صلاة الظهر ذلك اليوم بمكان معين، فأشار أنس إلى أن الذي يفعلونه ذلك اليوم جائز وإن كان الاتباع أفضل»[(١)].

سادسا: ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنهما، قال: (أنه رمى من بطن الوادي، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، إن ناسا يرمونها من فوقها، فقال: والذي لا إله غيره، هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة ﷺ)[(٢)].

في هذا الحديث بيان لما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من الاتباع وأنهم أول الناس اقتداء به ﷺ ، وقد ظهر ذلك جليا في هذا الحديث، حيث قال ابن مسعود: (هكذا رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة)، قال العيني: "كأن ابن مسعود قال: من هنا رمى من أنزل عليه المناسك وأخذ عنه الشرع فهو أولى وأحق بالاتباع ممن رمى الجمرة من فوقها"[(٣)].

وهذا يدل من ابن مسعود على كمال اتباعه للنبي ﷺ .

سابعا: وأختم هذا بما جاء عن عمر ﷺ في كتابه لأبي شريح حيث جاء فيه : (إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا تلفتك عنه الرجال فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها، فإن جاءك ما

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٥٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٥٨٠)، رقم: ١٧٤٧، ومسلم (٢/ ٩٤٢)، ١٢٩٦.

(٣) عمدة القاري (٧/ ٣٧٢).

ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمرين شئت إن شئت أن تجتهد رأيك ثم تقدم فتقدم وإن شئت أن تأخر فتأخر ولا أرى التأخر إلا خيرا لك)[١].

إلى غير ذلك من المواقف التي تبين حرص الصحابة الشديد على متابعة النبي ﷺ في كل أمور الدين دقيقه وجليله صغيره وكبيره.

(١) أخرجه الدارمي في سننه رقم (١٦٩)، والنسائي (٨/ ٢٣١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٦٦)، وغيرهم.

المبحث الثالث

الاقتـــداء عنـــد التابعيـــن

كما أن التابعين الأخيار اقتفوا آثار الصحابة الكرام فتمسكوا بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة وهم الأصحاب الأطهار، بل كانوا يقدمون أقوال الصحابة على آرائهم ، ومن صور حرصهم على الاتباع ما سيأتي ذكره:

أولا: عن ابن سيرين أنه قال: كانوا يرون أنه على الطريق ما كان على الأثر(١).

ثانيا: عن خالد بن أسلم(٢) قال: (خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٣)، قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كنزها فلم يؤدّ زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزّل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال)(٤).

وفي رواية: (**خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال: هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال**)(٥).

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه رقم: (١٤٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (رقم: ١٧٧٨)، وغيرهما.

(٢) هو خالد بن أسلم القرشي العدوي مولى عمر بن الخطاب، وكان أشد شاب بالمدينة، روى عن ابن عمر، وروى عنه زيد والزهري، قال الدارقطني: ثقة ليس بالمكثر. انظر: الطبقات لابن سعد ـ القسم المتمم ـ (١/ ٣١٦)، الكاشف للذهبي (١/ ٣٦٢).

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ، ١٤٠٤، (٣/ ٢٧٠).

(٥) أخرجه البخاري، رقم ٤٦٦١، (٨/ ٣٢٤).

فهذا الحديث يدل على ما كان عليه السلف من الحرص على التفقه في دين الله من الكتاب والسنة على فهم سلف هذه الأمة، وذلك أن أصحاب ابن عمر كانوا يخرجون معه، ويحلون حيث ما حل بغية تحصيل العلم وسؤاله عما خفي عليهم من أمور دينهم والاستزادة مما عنده من علم وفهم لدين الله تعالى.

ثالثا: عن نصر بن عمران الضبعي[(١)]، قال: (تمتعت فنهاني ناس، فسألت ابن عباس رضي الله عنهما فأمرني، فرأيت في المنام كأن رجلا يقول لي: حج مبرور وعمرة متقبلة، فأخبرت ابن عباس، فقال: سنة النبي ﷺ، فقال لي: أقم عندي فأجعل لك سهما من مالي.

قال شعبة[(٢)]: فقلت: لم؟ فقال: للرؤيا التي رأيت)[(٣)].

في الحديث دليل واضح على ما كان عليه السلف رحمهم الله من الرجوع إلى العلماء إذا وقعت لهم نازلة، فهذا أبو جمرة الضبعي، لما نهاه الناس في زمن ابن الزبير عن المتعة، لم يستقل برأيه بل رجع إلى العلماء، ولهذا ذهب إلى حبر الأمة عبد الله بن عباس ليستفتيه في مسألته فأمره ابن عباس بالتمتع، وترك رأي أولئك، وأيضا لما

---

(١) نصر بن عمران الضبعي، البصري، أحد الأئمة الثقات، قال بذلك ابن سعد والذهبي، وقال ابن حجر: ثقة ثبت، مات في العراق في ولاية يوسف بن عمر، في آخر سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ١٢٧هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٣٥)، التاريخ الكبير (٨/ ١٠٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٤٣).

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي العتكي مولاهم الواسطي ثم البصري، مولى عبدة بن الأغر، من تابعي التابعين، قال عنه الذهبي: كان إماما ثبتا حجة ناقدا جهبذا صالحا زاهدا قانعا بالقوت رأسا في العلم والعمل، منقطع القرين، وهو أول من جرح وعدل وهو إمام في الحديث. توفي في البصرة في أول سنة ستين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٨٠)، حلية الأولياء (٧/ ١٤٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (٣/ ٤٢٢)، رقم: ١٥٦٧، ومسلم (٢/ ٩١١)، رقم: ١٢٤٢.

عرضت له الرؤيا ذهب إلى ابن عباس فسأله عن رؤياه قال ابن حجر: "وفيه عرض الرؤيا على العالم"[١].

رابعا: عن سالم بن عبد الله قال: (كتب عبد الملك إلى الحجاج أن لا يخالف ابن عمر في الحج، فجاء ابن عمر ﷺ وأنا معه يوم عرفة حين زالت الشمس، فصاح عند سرادق الحَجَّاج، فخرج وعليه ملحفة معصفرة، فقال: ما لك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: الرواح إن كنت تريد السنة، قال: هذه الساعة؟ قال: نعم، قال: فأنظرني حتى أفيض على رأسي ثم أخرج، فنزل حتى خرج الحجاج، فسار بيني وبين أبي، فقلت: إن كنت تريد السنة فاقصر الخطبة وعجل الوقوف، فجعل ينظر إلى عبد الله فلما رأى ذلك عبد الله، قال: صدق)[٢].

ففي الحديث صورة ناصعة لما كان عليه السلف الصالح من الحرص على اتباع سنة النبي ﷺ ، ومن التعاون على البر والتقوى، والحرص على نشر العلم لانتفاع الناس به[٣]، كل ذلك طبقه في هذا الحديث الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قال ابن بطال: «في الحديث مداخلة العلماء للسلاطين وأنه لا نقيصة عليهم في ذلك إذا قصدوا النصيحة لهم وتبصيرهم بأمور دينهم، وتعليمهم الخير وما خفي عليهم من السنة» [٤].

وفي الحديث أيضا جواز الذهاب من العالم إلى السلطان سواء كان جائرا أو غير جائر؛ لأجل إرشاده إياه إلى الخير وإيقافه على ما لا يعلم من السنة[٥].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٤٣١).
(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٥١١)، رقم: ١٦٦٠.
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٥١٢)، عمدة القاري للعيني (٧/ ٢٥١).
(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٣٣٨)، فتح الباري لابن حجر (٣/ ٥١٢)، عمدة القاري للعيني (٩/ ٣٠٣).
(٥) انظر: عمدة القاري للعيني (٧/ ٢٥١).

الفصل الثالث

الولاء لأولياء الله والبراء من أعدائه

وفيه: تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الولاء والبراء.

المبحث الثاني: حقيقة الولاء والبراء.

المبحث الثالث: حكم الولاء والبراء.

المبحث الرابع: ذكر جملة من الأحكام المتعلقة بالكفار في الولاء والبراء.

تمهيد:

الولاء والبراء من أنواع العبادة، التي أصلها الحب والبغض.

وولاء العبد إنما يكون لله ولرسوله ﷺ ولدينه وللمؤمنين، والبراء يكون من كل عدو لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

والولاء والبراء أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وهو الولاء لله والبراء من عدو الله، وبهذا اختص أهل الحق من بين سائر الفرق في هذا الباب.

وهذه الخصيصة قررتها نصوص كثيرة؛ منها قوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ٥٥-٥٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥١.

المبحث الأول

تعريف الولاء والبراء

المطلب الأول: تعريف الولاء والبراء في اللغة.

الفرع الأول: تعريف الولاء في اللغة: يطلق الولي على الناصر والتابع المحب والصاحب، ويقال أيضا: الولي ضد العدو. والولاية النصرة والمحبة[(١)].

الفرع الثاني: تعريف البراء في اللغة : البراء من برئ، إذا تخلص، وإذا تنزه، وتباعد، ويقال أيضا: برئ إذا أعذر وأنذر[(٢)].

المطلب الثاني: تعريف الولاء والبراء في الاصطلاح.

الفرع الأول: تعريف الولاء في الاصطلاح: يطلق في هذا الباب على التناصر والتعاضد، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [(٣)].

قال ابن كثير: "أي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[(٤)][(٥)].

فالولاية إذاً هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام[(٦)].

الفرع الثاني: تعريف البراء في الاصطلاح: يطلق البراء على البعد والخلاص

---

(١) انظر: لسان العرب (١٥/ ٤٠٦)، القاموس المحيط (ص١٧٣٢).

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ٣١).

(٣) سورة التوبة، الاية ٧١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٢٤٢)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٥٦)، وانظر: الموالاة والمعاداة (١/ ٢٧).

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٠٣).

والعداوة بعد الإعذار والإنذار.

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (١).

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم ، ثم ذكر الآية وقال: وشرعت العداوات والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم» (٢).

فيظهر من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للولاء والبراء أنهما يدوران على المحبة والبغض، وحاصله المحبة والولاية لله ولرسوله ولأهل الإيمان، والكراهة والعداوة لعدو الله ورسوله وللكفار(٣).

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية ٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٣٥).

(٣) انظر: الولاء والبراء (ص٩٢)، حقيقة الولاء والبراء (ص٢٧).

المبحث الثاني

حقيقـــــة الـــولاء والبـــراء

يتمثل منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب في نقاط عدة يمكن أن أذكرها على النحو التالي:

المطلب الأول: لا يتم الإسلام إلا بالبراءة مما سواه : اعلم رحمك الله أن الإسلام لا يتم إلا بالبراءة مما سواه من الديانات، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

وقال سبحانه ـ مبينا أن إبراهيم عليه السلام لنا أسوة ـ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[2].

المطلب الثاني: الولاء والبراء إنما يكون لله تعالى : الأصل في هذا الباب أن يوالي العبد كل من والاه الله، ويعادي كل من عاداه الله سبحانه وتعالى، ويتبرأ منه، قال تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾[3].

فالموالاة والمعاداة إذاً يجب أن تكون لله عز وجل ، فإن من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فقد سلك الطريق التي بها تنال ولاية الله عز وجل.

---

(١) سورة الزخرف، الآيات ٢٦ـ٢٨.

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ٣.

المطلب الثالث: البراءة من صاحب الكفر و معاداة صاحب المعصية على حسب معصيته. قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "إذا اجتمع في الرجل خير وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام ، والإهانة كاللص تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم"[2].

وسيأتي الكلام بتوسع على حكم موالاة الكفار.

---

(١) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ٢٠٩).

المبحث الثالث

حكم الولاء والبراء

مما لا ريب فيه عند كل مسلم أن للولاء والبراء أهمية كبرى في عقيدة أهل السنة والجماعة، فإنها من العبادات العظيمة التي يكون ولاء العبد فيها لله ولرسوله ﷺ ولدينه وللمؤمنين، ويكون البراء من كل عدو لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

المطلب الأول: الأدلة على موالاة المؤمنين: إن النصوص قد تظافرت في هذا الباب لتدل على أمر مهم وهو: وجوب ولاء المؤمنين، وأن الولاء إنما يكون للحق، وسأذكر هنا بعض الدلائل الشرعية على ذلك، والتي تظهر الموالاة الحقيقية للمؤمنين.

الفرع الأول: حقيقة الولاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتجلى هذا الأمر في قول الحق جل وعلا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[١].

الفرع الثاني: الولاء في التراحم بين المؤمنين: قال الله عز وجل: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[٢].

وقال النبي ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[٣].

الفرع الثالث: اللين وخفض الجناح بين المؤمنين من تمام الولاء: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٤]. وقال سبحانه: ﴿ وَٱخْفِضْ

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٧١.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٣) تقدم تخريجه قريبا.

(٤) سورة المائدة، الآية ٥٤.

جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[(١)].

الفرع الرابع: النصرة من حقيقة الولاء للمؤمن: يجب على المؤمن أن ينصر أخاه أينما كان، وقد جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنة؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ ﴾[(٢)]. وقال سبحانه: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾[(٣)].

وقال النبي ﷺ: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)[(٤)]. إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا.

ولقد ضرب الصحابة الكرام أروع الصور في الولاء للمؤمنين، والنصرة لإخوانهم المهاجرين، وغيرهم، فامتدحهم الله سبحانه بذلك في كتابه، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[(٥)(٦)].

إلى جانب ذلك فإن نصرة مؤمن ليست مقتصرة على التأثر بحاله فحسب دون الاكتراث بالجانب العملي، بل حقيقة الولاء تسمو عن ذلك، فترفع المؤمن بنصرته لأخيه المؤمن بالدفاع عنه وكسر شوكة الظالمين، وبذل المال له لإعزازه ، وتقوية جانبه ، والذب عن عرضه وسمعته ، والدعاء له بظهر الغيب بالنصر والتوفيق والسداد[(٧)].

---

(١) سورة الحجر، الآية ٨٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، (٥/ ٩٨)، رقم: ٢٤٤٣.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٧).

(٧) انظر: حقيقة الولاء والبراء (ص٤٢).

المطلب الثاني: الأدلة على البراءة من أعداء الله : دلت النصوص الشرعية على ما يجب أن يكون عليه المؤمنون من البراءة من الشرك والمشركين وكل أعداء الدين.

ومن هذا قول الله جل وعلا: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[١].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: "ومن اتخذ الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء أي قد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده ودخوله في الكفر"[٢].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[٣]. قال ابن عطية: «من تولاهم بمعتقده ودينه فهم منهم في الكفر واستحقاق النقمة والخلود في النار، ومن تولاهم بأفعاله من العقد ونحوه، دون معتقد ولا إخلال بإيمان ، فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه»[٤].

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «فأخبر أنك لا تجد مؤمنا يواد المحادين لله

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٨.
(٢) جامع البيان (٣/ ١٥٢). وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٣٥).
(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٧.
(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٢٠٤).
(٥) سورة المجادلة ، الآية ٢٢.

ورسوله ، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخـر، فـإذا وجـد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله ، فإذا كان الرجل يـوالي أعـداء الله بقلبـه كان ذلك دليلا على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب» [1].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ١٧).

المبحث الرابع

ذكر جملة من الأحكام المتعلقة بالكفار في الولاء والبراء

أتطرق في هذا المبحث إلى أحكام عدة متعلقة بالكفار من أهل الكتاب وغيرهم، ومن أهم مسائل الباب موالاة الكفار والتشبه بهم، وما يباين ذلك من التعامل معه بالرفق ودعوته إلى الحق، وهذا ما سأعرض له من خلال المسائل التالية.

المطلب الأول: حكم موالاة الكفار: تقدم مما سبق الأدلة على البراء عموما، إلا أنه لما كانت الحاجة ماسة إلى بيان الحق في هذه المسائل أحببت أن أؤكد على أمر مهم وهو: أن البراءة من الكفار واجبة، وأنه لا يجوز موالاتهم، وعلى هذا دلت النصوص الكثيرة؛

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (٣).

وقال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن

(١) سورة الممتحنة، الآية ١.

(٢) سورة الزخرف، الآيات ٢٦ـ٢٨.

(٣) سورة المائدة، الآيتان ٥١ .

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[(٢)]، الآية.

وقال سبحانه: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ ﴾[(٣)].

إلى غير ذلك من الأدلة الواردة.

المطلب الثاني: جملة من صور موالاة الكفار : لما كان أصل الموالاة الحب وأصل المعاداة البغض ، وما ينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح المتفاوتة، فإن أحكام صور الموالاة تتفاوت، فمنها ما يصل إلى حد الردة والكفر، ومنها ما يكون من كبائر الذنوب، ومنها ما يكون محرما، وقد ذكر أهل العلم صورا من موالاة الكفار التي حرمها الله سبحانه وتعالى، أجملها فيما يأتي:

أولا: موالاة الكفار بالموادة والمناصرة، ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموادتهم.

ثانيا: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين وهذا حرام منهي عنه.

ثالثا: الثناء عليهم ومدحهم وتفضيلهم على بعض المسلمين في العمل وغيره، وإحسان الظن بهم، وهذا أيضا غير جائز.

رابعا: جعلهم في مناصب سلطة على المسلمين، وهذا محرم، فلا يجوز

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٧.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

للمسلمين أن يولوا هؤلاء الكفار أي قيادة، وإن استعين بهم فإنما يكونون تحت سلطة المسلمين لخدمة مصالح المسملين[١]. وقد تقدم قريبا كلام الطبري وابن تيمية في هذا الباب .

المطلب الثالث: حكم التشبه بالكفار: ومما ينبني على موالاة الكفار مسألة التشبه، وذلك أن التشبه في الظاهر يجر إلى التشبه بهم في الباطن، فيهلك الإنسان كما هلك من قبله من الكفار.

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله في بيان العلاقة بين الموالاة والتشبه: "والموالاة والموادة وإن كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم"[٢].

وقد جاءت النصوص الكثيرة مشتملة على نهي النبي ﷺ عن التشبه بالكفار، وأن التشبه بهم حرام، وعلى المسلم أن يتجنب مشابهتهم في أموره كلها، في العبادات وغيرها، وذلك لأمور:

أولا: ورود النصوص الكثيرة التي تنهى عن مشابهة الكفار من اليهود والنصارى والأعاجم.

ومن ذلك قول النبي ﷺ : (من تشبه بقوم فهم منهم)[٣]، وهذا الحديث يقتضي تحريم التشبه بهم[٤].

---

(١) انظر: جامع البيان (٣/ ٣/ ٢٢٨)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ١٧، ٤/ ١١٤، ٢٨/ ٢٠٩)، الرسائل المفيدة لعبد اللطيف آل الشيخ (ص٤٣، ٤٢، ٩٦)، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٧/ ١٦٣، ٣/ ١٢، ٦/ ٣٠). وراجع : مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١١٤).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٧/ ١٦٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣١٤) رقم: ٤٠٣١، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٠)، وقواه شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٤٠)، والشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٩)، وفي إرواء الغليل (١٢٦٩).

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨٣، ٢١٩ـ٣٢٤)، فقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية فيها النفس.

ويؤيد هذا ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم في النهي عن التشبه بالكفار، ومن ذلك: ما روى البخاري ومسلم[١] من طريق أبي عثمان النهدي قال: (كتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان: يا عتبة بن فرقد إنه ليس من كدِّك ولا من كدِّ أبيك، ولا من كدِّ أمك، فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياكم والتنعم ، وزيَّ أهل الشرك، ولبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير قال: إلا هكذا ورفع لنا رسول الله ﷺ إصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما).

وما علم أن أحدا خالف ما ذكر عن الصحابة من كراهة التشبه بالكفار والأعاجم في الجملة[٢].

ثانيا: إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة فكيف بالمشابهة في أمور دينية ! فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكبر وأشد، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان"[٣].

ثالثا: إن للتشبه بالكفار أثرًا عظيمًا في دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي بالكافرين، ولهذا جاءت النصوص الكثيرة محذرة من التشبه بهم في عباداتهم وعاداتهم[٤].

---

(١) صحيح البخاري، رقم: ٥٨٢٨، و صحيح مسلم (٣/ ١٦٤٢)، رقم: ٢٠٦٩.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٧/ ١٨٠).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٨٩).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٧/ ١٦٣، ١٧٥_ ١٨١).

المطلب الرابع: من صور التشبه بالكفار: إضافة إلى ما سبق من بيان النهي عن التشبه بالكفار، فإن أهل العلم قد نصوا على صور كثيرة ـ يظهر فيها التشبه والتقليد للكفار وقع فيها كثير من الناس ـ تحذيرا للمسلم من اقترافها، وهي متعلقة بثلاثة أمور رئيسة:

١ـ جانب عقدي.

٢ـ وجانب العبادات.

٣ـ وجانب العادات والأخلاق.

أما الجانب العقدي فقد ابتليت الأمة بأمور كثيرة من هذا الباب ومنها: الغلو في الأنبياء والصالحين، وتحريف الكلم عن مواضعه، وطاعة المخلوقين في مخالفة أحكام الله، وبناء المساجد على القبور، والطواف بها إلى غير ذلك من المسائل.

وأما جانب العبادات فمنها:

إحداث الأعياد التي لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ ، تشبها بالأمم السابقة.

ومما يتعلق بهذا: تهنئة الكفار ببعض أعيادهم، قال الشيخ ابن عثيمين في بيان حكم ذلك" تهنئة الكفار بعيد الكريسمس أو غيره من أعياد دينهم الدينية حرام بالاتفاق.

وعلل هذا الحكم بأن فيه إقراراً لما هم عليه من شعائر كفر، ورضى به لهم، وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر لنفسه، لكن يحرم على المسلم أن يرضى بشعائر الكفر أو يهنئ بها غيره.

يقول الإمام ابن القيم ـ في بيان حكم ما سبق الكلام عليه ـ : «وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم

فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب ...وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبدا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرّض لمقت الله وسخطه»(١).

وأما جانب العادات والأخلاق، فكثير جدا، ومن ذلك الحسد والبخل ، وكتمان العلم، وغيرها(٢).

المطلب الخامس: ضابط التشبه بالكفار: إن مقياس التشبه أن يفعل المتشبه ما يختص به المتشبه به ، فالتشبه بالكفار أن يفعل المسلم شيئا من خصائصهم، وأما ما انتشر بين المسلمين وصار لا يتميز به الكفار فإنه لا يكون تشبه، فلا يكون حراما من أحل أنه تشبه، إلا أن يكون محرما من جهة أخرى(٣).

وقد بين هذا أهل العلم ؛

قال ابن حجر في مسألة كراهية استعمال المياثر(٤): « وإن قلنا النهي عنها من أجل التشبه بالأعاجم فهو لمصلحة دينية، لكن كان ذلك شعارهم حينئذ وهم كفار،

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/ ٢٠٥).
(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧١ـ٧٩، ٤٢٦ ـ فما بعدها).
(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٣/ ٤٧).
(٤) كما ورد في حديث البراء ﷺ : (**أمرنا النبي ﷺ بسبع: عيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس، ونهانا عن لبس الحرير والديباج والقسيّ والاستبرق والمياثر الحمر**). أخرجه البخاري رقم: ٥٨٤٩.
والمياثر: جمع ميثرة، قال أبو عبيد: مراكب العجم من ديباج وحرير، وقيل: هي وعاء يوضع على سرج الفرس أو رحل البعير، وقيل: تشبه المخدة تحشى بقطن أو ريش يجعلها الراكب تحته. انظر: فتح الباري (١٠/ ٣٠٧).

ثم لما لم يصر الآن يختص بشعارهم زال ذلك المعنى فتزول الكراهة»[١].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله[٢] : «لا ريب أن ضابط التشبه بهم هو فعل ما هو من خصائصهم»[٣].

المطلب السادس: معاملة الكافر فيما ليس فيه موالاة : ومن تمام البحث في موالاة الكفار الإشارة إلى بعض المسائل التي يظنها بعض الناس أنها من الموالاة، فبين كثير من أهل العلم أنها ليست منه، ومن ذلك:

١ـ معاملة الكافر باللين والرفق[٤].

٢ـ دعوة الكافر ونصحه.

إن الواجب على المسلم معاداة كل من حاد الله ورسوله ﷺ ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه ، لما جاء في النصوص الكثيرة من النهي عن موالاة الكفار؛ قال الله جل وعلا: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[٥]، ولكن مع ذلك لا يمنع هذا من مناصحته ودعوته للحق[٦].

٣ـ استعمال الكافر عند الحاجة.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٣٠٧).

(٢) هو الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، آل الشيخ، مفتي الديار السعودية في عصره، وكان رئيسا للقضاة، مات سنة ١٣٨٩ هـ. انظر: الأعلام (٥/ ٣٠٦)، علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٨٨).

(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٦/ ٢٣١).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٣/ ٣١).

(٥) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٦) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٦/ ٣٠).

إن الاستعانة بالكفار على أمور دنيوية خدمة لمصلحة المسلمين سائغ إذا لم يكن فيه مفسدة راجحة كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية[١].

إلى غير ذلك من المسائل التي تجدها مبثوثة في الكتب المتخصصة في الولاء والبراء، فليرجع إليها من أراد التوسع في هذا الموضوع.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١١٤).

الفصل الرابع

تحذيرهم من المحدثات والبدع وذمهم لها وموقفهم العملي من أهل البدع والأهواء

تمهيد:

من أهم خصائص أهل السنة والجماعة الصدع بالحق في أمور الدين وبيان ما أمر الله تعالى به عباده، وأنهم يحذرون من الولوج فيما نهى الله عنه، ومن ذلك التحذير من التعبد لله بالبدع سواء في ذلك مسائل الاعتقاد أو السلوك أو العبادات، وفي هذا الفصل سأتعرض إلى جملة من مواقف السلف من البدع ـ وإن كان قد سبق بعضها في ثنايا البحث ـ ليكون القارئ على دراية من منهج السلف الصالح في هذا الباب.

المبحث الأول: تعريف البدعة.

المطلب الأول: تعريف البدعة في اللغة . البدعة: من فعل بدع.

الباء والدال والعين أصلان:

أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال.

والآخر الانقطاع والكلال[١].

يقال: بدَع الشيء يبدَعه بَدعا وابتدعه: أنشأه وبدأه، وبدَع الركيّة: استنبطها وأحدثها[٢]، ومما تقدم يتضح أن للبدعة إطلاقين:

أحدهما: الشيء المحدث المخترع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

(٢) انظر: لسان العرب (٨/ ٦).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[١].

الثاني: التعب والكلال، يقال: أبدِعت الراحلة إذا كلت وعطبت[٢].

المطلب الثاني: تعريف البدعة في الاصطلاح : عرفها المحققون من أهل العلم بتعريفات عدة مرجعها إلى معنى واحد:

١ـ قال أبو شامة: "وهو ما لم يكن في عصر النبي ﷺ مما فعله ، أو أقر عليه، أو علم من قواعد الشريعة الإذن فيه، وعدم النكير عليه، ... وفي معنى ذلك ما كان في عصر الصحابة رضي الله عنهم"[٣].

٢ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "البدعة ما لم يشرعه الله ورسوله وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب"[٤].

وقال أيضا: "البدعة ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات"[٥].

٣ـ وقال الشاطبي: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»[٦].

المطلب الثالث: ضابط البدعة : من خلال التعريف الذي ذكره أهل العلم يظهر جليا الضوابط التي تعرف منها البدع، وأصلهم في ذلك قوله ﷺ : (من أحدث في

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١٧.
(٢) انظر: لسان العرب (٨/ ٧).
(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٣٢).
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١٠٧).
(٥) المصدر السابق (١٨/ ٣٠٨).
(٦) الاعتصام (١/ ٤٣).

أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[١].

وفي رواية: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[٢]. ويمكن حصر هذه الضوابط في أمرين :

١ـ الإحداث في الدين.

٢ـ أن لا يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي . فكل من تعبد لله بشيء لم يشرعه الله، أو بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع، سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه، وأما الأمور العادية التي تتبع العادة والعرف فهذه لا تسمى بدعة في الدين وإن كانت تسمى بدعة في اللغة، ولكن ليست بدعة في الدين.

ومن جهة أخرى فإن المتأمل في تعريف أهل العلم للبدعة يلوح له أنه يدخل في البدعة شيئان :

ـ التعبد لله بما لم يرد في أصل شرعي.

ـ التعبد لله بما يخالف الأدلة الشرعية.

وهنا أود أن أنبه على أمر :

مما ذكره أهل العلم في هذا الباب وعدوه ملحقا بالبدعة: ما كان ذريعة[٣] إليها، وتنشأ عنه، فإن هذا مما ينبغي اجتنابه[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٣٠١)، رقم: ٢٦٩٧، ومسلم (٣/ ١٣٤٣)، رقم: ١٧١٨.

(٢) صحيح مسلم ، رقم (١٧١٨).

(٣) الذريعة : المسائل التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل محظور، ومعنى سدها المنع من فعلها دفعا لوسائل الفساد. انظر: البحر المحيط (٨/ ٨٦)، إغاثة اللهفان (١/ ٣٦١ـ٣٧٠).

(٤) انظر: الاعتصام (٢/ ٤٧٩ـ٤٨٠).

قال ابن الجوزي: « فإن ابتدع شيء لا يخالف الشريعة ، ولا يوجب التعاطي عليها، فقد كان جمهور السلف يكرهونه، وكانوا ينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزا ، حفظا للأصل وهو الاتباع» [١].

وممن نبه عليه أيضا أبو بكر الطرطوشي في كتابه الحوادث والبدع[٢].

وقال الشاطبي: «وبالجملة فكل عمل أصله ثابت شرعا، إلا أن في إظهار العمل به والمداومة عليه ما يخاف أن يعتقد أنه سنة، فتركه مطلوب في الجملة من باب سد الذرائع» [٣].

---

(١) تلبيس إبليس (ص١٦). وانظر: قواعد معرفة البدع (ص٤٦ـ٥٠).
(٢) انظر: (ص ٢٣).
(٣) الاعتصام (٢/ ٣١).

المبحث الثاني

خطورة البدعة وذمها وموقف السلف من أهلها

لقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم مجتهدين في بيان الدين وتعليم الناس سنة سيد المرسلين، حريصين على هداية الخلق إلى الحق، محذرين كل مسلم من البدع والمحدثات، وكذلك من جاء بعدهم من أئمة الهدى ساروا على نهجهم واقتفوا أثرهم إلى عصرنا الحاضر.

وما زال أهل العلم في هذه الأعصار متمسكين بالكتاب والسنة، معتصمين بهما يهدون من ضل من هذه الأمة إلى الهدى، ويبصرون أهل العمى.

المطلب الأول: الأدلة على التحذير من البدع وذمها وموقف السلف من أهلها.

إن قوام منهج أهل السنة والجماعة اتباع ما جاء به النبي ﷺ سواء كان ذلك في الاعتقاد أو السلوك أو العبادة، ولم يغفلوا جانب التحذير من الهوى واتباع الشبهات والشهوات، لذا كانت كلمة السلف واحدة تجاه البدع والمحدثات بأسلوب الإنكار والتحذير والتنفير.

وقد ذكر أهل العلم زيادة على ما سبق النصوص التي تشهد بخطورة البدع، أذكر جملة منها في هذه العجالة:

١ـ منها ما ورد فيها إنكار الله تعالى على من يحللون ويحرمون بأهوائهم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[١].

٢ـ ومنها: الإنكار على من شرع في دينه ما لم يأذن به، قال الله جل وعلا: ﴿ أَمْ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٦.

لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[١]. وقال عز وجل: ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩ ﴾[٢]. إلى غير ذلك من الآيات الواردة في الاتباع وذم الابتداع وقد سبق طرف منها.

وفي السنة أيضا تحذير ووعيد على المحدِث في دين الله ما لم يشرعه الله، ومن ذلك:

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: **(كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)**[٣].

وقال النبي ﷺ: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)[٤]. إلى غير ذلك من الأحاديث.

وقد أخذ السلف بهذا التحذير وطبقوه قولا وعملا، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع"[٥].

وقال ابن مسعود ﷺ: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»[٦]، وقال همام بن

---

(١) سورة الشورى، الآية ٢١.

(٢) سورة يونس، الآية ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١١، رقم: ٨٦٧، وغيره.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (رقم: ١٤١)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٢٥).

(٦) أخرجه وكيع في الزهد (٣١٥)، وأحمد في الزهد (٢/ ١١٠)، وأبو خيثمة في العلم (رقم: ٥٤)، والدارمي في سننه (١/ ٦٨-٦٩)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص١٠)، وغيرهم، وقال الهيثمي (١/ ١٨١): رجاله رجال الصحيح.

الحارث[١]: كان حذيفة[٢] يدخل المسجد فيقف على الحلق فيقول: "يا معشر القراء اسلكوا الطريق، فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقاً بعيدا، ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيداً"[٣].

وقال عمر بن عبد العزيز: «أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته وكفوا مؤنته فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا وهم على كشف الأمور كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي فما دونهم من مقصر وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»[٤].

---

(١) هو همام بن الحارث بن قيس بن عمرو النخعي الكوفي، من الثقات العباد، مات سنة ٦٥هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٧٣٦٦).

(٢) هو حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي اليماني، الصحابي الجليل ، وكان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين ، مات في المدائن سنة ٣٦ هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ١١٦٥)، الأعلام (٢/ ١٧١).

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص١٠)، وابن بطة في الإبانة (١٩٦)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٤٤٦)، وغيرهم.

(٤) أخرجه أبو داود (٥/ ١٨)، رقم: ٤٦١٢، وابن بطة في الإبانة (رقم: ١٨٣١، ١٨٣٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم: ٣٨٥٦).

وقال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبِّسوا عليكم ما كنتم تعرفون»[(١)].

وهذا جزء يسير مما ورد عن السلف من آثار في الحث على ترك البدع، والتحذير من الانحراف بها، حتى اشتد نكير السلف على البدعة وأصحابها، مما هو مدون في مقدمة كتب السنة وفي الكتب المصنفة في البدع[(٢)].

المطلب الثاني: خطورة البدع والإحداث في الدين : مما لا ريب فيه عند كل مسلم متبع للحق ما للبدعة من مخاطر ومحاذير، وما ينشأ عن ذلك من المهالك التي يقع فيها من تمادى في الولوج في المحدثات واستهان بها، وفيما يأتي عرض لجملة منها.

الفرع الأول: بيان أن كل بدعة ضلالة : وهذا بنص القرآن الكريم ، والسنة المطهرة، وذلك أن ما جاء به النبي ﷺ فهو الحق، والله تعالى يقول: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾، ومن السنة قوله ﷺ : (كل بدعة ضلالة)[(٣)].

الفرع الثاني: في البدعة خروج عن اتباع النبي ﷺ .

إن هذه البدعة تنافي تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله .

بيان ذلك : أن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله هي الشهادة التي يدخل العبد فيها إلى الإسلام، ولا يتم ذلك حقيقة إلا بتحقيقها قولا وعملا واعتقادا، فيشهد أن الله سبحانه وتعالى هو المعبود الحق، كما أنه يشهد أن محمداً هو

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٣٩٧)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ١٨٤)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٤٨)، وابن بطة في الإبانة (رقم: ٣٦٣، ٣٦٤)، والآجري في الشريعة (رقم: ١١٤)، وغيرهم.

(٢) انظر: البدع والنهي عنها لابن وضاح، الحوادث والبدع للطرطوشي، الاعتصام للشاطبي، الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي، وغيرهم.

(٣) تقدم تخريجه .

الذي يجب اتباعه في كل أمور الدين والدنيا، دون أحد سواه، وقد تقدم الكلام على هذا الأمر عند ذكر الاتباع[(١)].

الفرع الثالث: إن مضمون البدعة الطعن في الإسلام : إن الابتداع في الدين يتضمن أن الإسلام لم يكمل ولم يتم، وأنه كمل بهذه البدعة كما زعم، والله تعالى يقول:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[(٢)].

وهذا وإن لم يكن فيه طعن بلسان المقال، فإنه طعن بلسان الحال، ولازم له.

ومما يتضمنه أيضا الطعن في رسول الله ﷺ ، حيث إن هذه البدعة التي زعمت أنها عبادة ، إما أن يكون الرسول ﷺ لم يعلم بها، فيكونَ جاهلاً، وإما أن يكون قد علم بها ولكنه كتمها، وحينئذ يكون كاتماً للرسالة أو لبعضها، وهذا خطير جداً .

وكذلك إن في الابتداع انتقاصاً للصحابة رضوان الله عليهم، من حيث إنهم كتموا شيئا من الشريعة، أو أنهم جهلوا ذلك الأمر الذي أحدثه المتأخرون .

وفي هذا يقول الإمام مالك رحمه الله: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية، فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا"[(٣)].

الفرع الرابع: إن البدعة متضمنة لتفريق الأمة الإسلامية: إن الأمة الإسلامية إذا فتح الباب لها في البدع صار هذا يبتدع شيئا، وهذا يبتدع شيئا، كما هو الواقع الآن، فتكون بذلك الأمة مشتتة وكل حزب بما لديهم فرحون، قال الله تعالى لنبيه: ﴿ إِنَّ

---

(١) انظر: ص ٢٨٦ من هذه الرسالة.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) انظر: الاعتصام (١/ ٦٢).

ﵟٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠ﵞ [١].

ولهذا تجد هؤلاء الذين يتعبدون الله بالبدع فرقا وأحزابا يكفر بعضهم بعضا ويفسق بعضهم بعضا، وكل هذا منشئه اتباع الهوى والجهل بالدين.

الفرع الخامس: إن المبتدع آثم وعليه وزر كل من دعاه إلى البدعة : هذا الإثم ثابت للمبتدع كما ورد في الحديث الصحيح: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، مِن غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[٢].

فالواجب على المسلم الحذر من البدع كلها وألا يتعبد الله إلا بما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ ؛ ليكون إمامه حقيقة.

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان ١٥٩، ١٦٠.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤)، رقم: ١٠١٧، من حديث جرير ﷺ .

المبحث الثالث

حكم البدع وأنواعها ومراتبها

المطلب الأول: حكم البدع : الأصل في هذا الباب ما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**)[١].

ففي الحديث دلالة واضحة أن كل بدعة ضلالة سواء كانت في الاعتقاد أو السلوك أو العبادة.

وفي الحديث الآخر: (**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**)[٢]. فيظهر من هذا الحديث تحريم إحداث شيء في دين الله ولو عن حسن قصد، ولو كان القلب يرق لذلك ويقبل عليه، لأن هذا من عمل الشيطان.

وعلى هذا يحرم على العبد أن يتعبد لله بالبدع مطلقا لعموم الأدلة الواردة في هذا الباب[٣].

المطلب الثاني: أنواع البدعة ومراتبها : من خلال ما سبق يتضح للقارئ أن حكم البدع بالتحريم وأنها مردودة على صاحبها شامل للبدع القولية والفعلية والاعتقادية، ويدخل في ذلك ما يتعلق بالعبادة والسلوك.

إلا أن أهل العلم أفادوا أنها ليس على مرتبة واحدة؛ فمنها البدع المكفرة، وغير المكفرة.

فهذا الشاطبي رحمه الله يبين أن البدع متفاوتة فيما بينها، وبعضها أشد عقابا من بعض باعتبار التفاوت بينها، حيث يقول في ذلك: «كل بدعة كبيرة عظيمة بالإضافة

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٥/ ٢٥٩، ٧/ ١٩٨).

إلى مجاوزة حدود الله بالتشريع، إلا أنها وإن عظمت لما ذكرناه إذا نسب بعضها إلى بعض تفاوتت رتبها، فيكون منها صغار وكبار، إما باعتبار أن بعضها أشد عقابا من بعض، فالأشد عقابا أكبر مما دونه، وإما باعتبار فوت المطلوب في المفسدة»[(١)].

ويقرر ذلك شيخ الإسلام بقوله: «إن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات، فمنهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون قد خالف السنة في أمور دقيقة..»[(٢)].

(١) الاعتصام (١/ ٦١).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٤٨).

المبحث الرابع

موقف السلف من تقسيم البدع إلى حسنة وسيئة

ذهب المحققون من أهل العلم إلى أن تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، أو جعلها مما تجري عليها الأحكام الخمسة التكليفية تقسيم غير صحيح[(١)] وهو الذي تعضده عموم الأدلة.

فإن النبي ﷺ قد قال كما في الحديث الصحيح: (كل بدعة ضلالة)، فهذا نص من رسول الله ﷺ ، فلا يحل لأحد أن يدفع دلالته على ذم البدع وضلال صاحبها ومن نازع في دلالته فهو مراغم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ الكلية وهي قوله : (كل بدعة ضلالة)، بسلب عمومها وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة ، فإن هذا إلى مشاقة الرسول ﷺ أقرب منه إلى التأويل»[(٢)].

وقال ابن حجر: «وقوله: (كل بدعة ضلالة) قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومهان أما منطوقها فكأن يقال: حكم كذا بدعة وكل بدعة ضلالة، فلا تكون من الشرع لأن الشرع كله هدى»[(٣)].

هذا وإن بعض أهل العلم قد ذكر بعض الأوجه التي تعلق بها بعضهم في بيان استحسان تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة.

وليس المجال هنا بيان بطلان الاستدلال بمثل ذلك، وإنما المقصود بيان جهود السلف في التحذير من البدع عموما.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٨٥_٥٩٧)، الاعتصام (١/ ٣٢١_ فما بعدها).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٩١).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٥٤).

وقد يجاب عن تلك الأدلة بجواب عام:

إن في قول النبي ﷺ : (كل بدعة ضلالة)، دلالةً واضحةً على إبطال هذا التقسيم، وأنه ما من بدعة إلا وهي ضلالة ، وكل ضلالة في النار كما في بعض الروايات الواردة[(١)]، وعليه لا يجتمع الضلالة مع الوصف بالحسن.

وقد توسع أهل العلم في الرد على استدلال هؤلاء المخالفين ، وأبطلوا ما تسمكوا به لنصرة مذهبهم[(٢)].

---

(١) ففي رواية للحديث: (إن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)، أخرجه النسائي في كتاب العيدين، باب كيف الخطبة (٢/ ٢٠)، رقم: ١٥٧٧. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (رقم: ١٤٨٧).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٨٥ـ٥٩٧)، الاعتصام (١/ ٣٠٢ـ ٣٢٠، ٣٢١، فما بعدها).

الفصل الخامس

توسطهم بين الإفراط والتفريط مع بيان نماذج عملية لذلك

المبحث الأول: تعريف الوسطية.

المطلب الأول: تعريف الوسطية في اللغة :

الوسطية أصلها من وسط، وهي أصول تدل على معان متقاربة، يقول ابن فارس: "الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل، والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه"[(١)].

وهكذا ذكره صاحب الصحاح، وصاحب القاموس المحيط[(٢)].

وتأتي كلمة الوسَط لمعان أخرى منها:

ـ يقال شيء وسط: أي بين الجيد والرديء[(٣)].

ـ ويقال: أوسط الشيء بمعنى: خياره ، وأفضله[(٤)].

إلى غير ذلك من المعاني.

المطلب الثاني: تعريف الوسطية في اصطلاح الشرع: وردت كلمة الوسط في القرآن الكريم والسنة المطهرة في أكثر من آية وحديث يدور معناها على أمور عدة من أهمها:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٠٨)، وانظر: لسان العرب (٧/ ٤٣٠).

(٢) انظر: الصحاح (٣/ ١١٦٧)، القاموس المحيط (٢/ ٤٠٥).

(٣) انظر: الصحاح (٣/ ١١٦٧)، القاموس المحيط (٢/ ٤٠٦)، المصباح المنير للفيومي (ص٢٥٢).

(٤) انظر: الصحاح (٣/ ١١٦٧).

١ـ العدالة والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط: قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[١]، أي عدولا ، كما جاء ذلك بينا في تفسير النبي ﷺ لهذه الآية[٢].

وفسرها بعض أهل العلم بمعنى التوسط بين الإفراط والتفريط[٣].

ومن ذلك قوله ﷺ: **(إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة أو أعلى الجنة)**[٤].

والمراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل كما ذكره ابن حجر رحمه الله[٥].

٢ـ الوسطية الحسية ، وهي: ما بين الطرفين وما بين طرفي الشيء وحافتيه.

ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[٦].

وسميت الوسطى لأن قبلها صلاتين، وبعدها صلاتين[٧]. إلى غير ذلك من المعاني.

ومن خلال هذه النصوص الشرعية يتضح أن الاستعمال الشرعي لم يخرج عن الوضع اللغوي، فالمعاني اللغوية داخلة في الاصطلاح الشرعي[٨].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.
(٢) أخرجه البخاري في التفسير (٨/ ١٧٢)، رقم: ٤٤٨٧.
(٣) انظر: جامع البيان (٣/ ١٤٢) ـ طبعة أحمد شاكر ـ.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد (٦/ ١١)، رقم: ٢٧٩٠.
(٥) انظر: فتح الباري (٦/ ١٣).
(٦) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٩١).
(٨) انظر: وسطية أهل السنة للشيخ محمد باكريم (ص٢١ـ٢٣).

المبحث الثاني

تعريف الإفراط والتفريط

المطلب الأول: تعريف الإفراط في اللغة : الإفراط في اللغة التقدم ومجاوزة الحد في الأمر.

قال ابن فارس: « الفاء والراء والطاء، أصل صحيح يدل على إزالة شيء عن مكانه وتنحيته عنه.

ثم قال: أفرط إذا تجاوز الحد في الأمر، يقولون : إياك والفرط ، أي : لا تجاوز القدر ، وهذا هو القياس» (١).

وقال الجوهري: «الإفراط : الإعجال والتقدم ، وأفرط في الأمر أسرف ، والإفراط: الزيادة على ما أمرت» (٢).

الفرع الثاني: تعريف الإفراط اصطلاحا: لا يخرج معناه الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، بحيث يدور معناه على الإسراف في التقدم(٣).

المطلب الثاني: تعريف التفريط في اللغة : التفريط في اللغة: التقصير وإزالة الشيء عن مكانه(٤).

قال ابن منظور: فرط في الشيء وفرطه: ضيعه وقدم العجز فيه(٥).

الفرع الثاني: تعريف التفريط في الاصطلاح: تدور هذه الكلمة في النصوص الشرعية على التقصير والضياع، والتقدم على الشيء(٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٠).
(٢) الصحاح (٣/ ١١٤٨).
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص٣٧٦).
(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٠).
(٥) لسان العرب (٧/ ٣٧٠).
(٦) انظر: وسطية أهل السنة (ص٢٦).

المبحث الثالث

وسطية هذه الأمة بين الأمم

تمهيد :

إن الناظر في دين هذه الأمة واعتقادها وعبادتها ومعاملاتها ومواقفها بعامة ليدرك بتلك النظرة الشمولية الاعتدال والتوازن التي تتسم به هذه الأمة، وأن ذلك من أهم خصائصها التي جعلتها تتميز عن سائر الأمم.

فهي وسط بين الأمم التي مالت بها الأهواء والشهوات إلى التفريط أو الإفراط.

ومن أظهر معالم هذا التوازن والاعتدال كونها وسطا في جوانب عدة بين الأمم في أمم الاعتقاد، مما سأذكر طرفاً منه في المطالب التالية.

المطلب الأول: **وسطية هذه الأمة في باب توحيد الله** : إن المتأمل في الأمم الكافرة وخاصة منها أهل الكتاب ليجد التباين الواضح المتناقض في هذا الباب؛

فاليهود : وصفوا الله بصفات النقص التي يختص بها المخلوق ، وشبهوا الخالق بالمخلوق ، فقالوا: إنه بخيل، وإنه فقير، وإنه لما خلق السموات والأرض تعب فاستراح يوم السبت إلى غير ذلك من قبيح أقوالهم.

وأما النصارى: فإنهم وصفوا المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها، فشبهوا المخلوق بالخالق ، حيث قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة، وقالوا: المسيح ابن الله، وأنه يرزق ويخلق ويغفر ويرحم ، ويثيب ويعاقب.

وأما هذه الأمة المتمثلة في عقيدة أهل السنة والجماعة فإنهم وحدوا الله عز وجل ووصفوه بصفات الكمال، ونزهوه عن جميع صفات النقص ، وأن يشابهه أو يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات، وقالوا: ليس كمثله شيء لا في

ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله[(١)].

وقد بين الله سبحانه وتعالى ما يجب اعتقاده في الله تعالى، وحكى عن الأمم الباطلة جملة من الانحرافات في هذا الباب، مما يجعلني أتعرض لها في هذا المطلب.

الفرع الأول: اعتقاد أهل السنة والجماعة في توحيد الله وأسمائه وصفاته: إن التوحيد عند أهل السنة والجماعة قائم على إفراد الله تعالى بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فيعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المدبر لكل الأمور، وأنه هو المعبود حقاً ، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى كما ينبغي لكماله وعظيم سلطانه، وهذا هو حقيقة التوحيد عندهم ، وهي دعوة جميع الأنبياء؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[(٢)(٣)].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[(٤)].

فالأنبياء كلهم دعوا إلى التوحيد، وقاتلوا أقوامهم على ذلك .

فهذه الأمة اتبعوا الرسل فهدوا لأقوم السبل، وهو التوسط في باب الاعتقاد بين كل غالٍ وجافٍ.

الفرع الثاني: موقف اليهود من توحيد الله تعالى: تقدم فيما مضى أن اليهود ممن حاز

---

(١) انظر: منهاج السنة (٥/ ١٦٨-١٦٩)، الوصية الكبرى لابن تيمية (ص١٤).

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٣) انظر: منهاج السنة (٥/ ١٦٩).

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ٢٥.

قصب السبق في التقصير في باب التوحيد .

ومن أهم ما يتميز به موقفهم في هذا الباب:

أولا: اتخاذ الأنداد وعبادة الأصنام: وقد ورد ذلك في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾(٢).

وقال سبحانه في سورة أخرى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾(٣).

وقد نص أهل العلم المطلعون على كتب أهل الكتاب أن اليهود عبدوا الأصنام(٤)، وهذا ما هو مسطر في العهد القديم(٥).

ثانيا: القول بالتشبيه ووصف الله بصفات المخلوق والنقائص.

ولقد ذكر الله سبحانه في القرآن الكريم مواقفهم في ذلك:

١ـ **وصفهم الله تعالى بالفقر:** قال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾(٦).

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٣٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٨.

(٣) سورة طه ، الآية ٨٨.

(٤) انظر: الجواب الصحيح (٣/ ٢٤٧).

(٥) انظر: وسطية أهل السنة (ص٢٤٦).

(٦) سورة آل عمران ، الآية ١٨١.

٢ــ وصفهم له بأن يده مغلولة : قال جل وعلا: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾(١).

إلى غير ذلك من مواقفهم المخزية.

الفرع الثالث: موقف النصارى من توحيد الله تعالى: لقد ضلت النصارى في هذا الباب ضلالا مبينا، حيث إنهم أشركوا في عبادة ربهم وادعوا ألوهية ما سوى الله ، وفي هذا مكابرة للعقل والفطرة ، ومن أعظم ما يتسم به موقفهم في هذا الباب:

أولا: تشبيه المخلوق بالخالق: قال الله تعالى متحدثا عن جملة من فرق النصارى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾(٢).

وقال عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾(٣).

وقال أيضا: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾(٤).

ثانيا: تنقص الخالق وسبه ورميه بالعظائم: ومن ذلك كما ذكره أهل العلم: زعموا أنه سبحانه وتعالى عن قولهم علوا كبيرا نزل من العرش عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة وأقام تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم، وقد علته أطباق المشيمة، والرحم والبطم، ثم خرج من حيث دخل، رضيعا صغيرا يمص الثدي ، ثم صار إلى

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦٤.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٧.

(٣) سورة المائدة ، الآية ٧٣.

(٤) سورة التوبة ، الآية ٣٠.

أن لطمت اليهود خديه، وربطوا يديه وبصقوا في وجهه، وصفعوا قفاه، وصلبوه جهرا بين لصين، وألبسوه إكليلا من الشوك وسمروا يديه ورجليه، وجرعوه أعظم الآلام .

هذا هو الإله الحق الذي بيده أتقنت العوالم وهو المعبود المسجود له!!!

ولعمر الله إن هذه مسبة لله سبحانه ، ما سبه بها أحد من البشر قبلهم ولا بعدهم[١].

وبهذا التقرير يتضح لكل منصف ما لهذه الأمة من الفضيلة في التفرد بمعرفة الحق في توحيد الله سبحانه وتعالى، وكذلك سائر أبواب الدين.

المطلب الثاني: وسطية أهل السنة والجماعة في باب النبوات: إن اليهود قتلوا الأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس ، ورموهم بارتكاب الكبائر ، وكذبوهم وجفوهم واستكبروا عن اتباعهم.

وأما النصارى: فإنهم غلوا فيهم واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم.

وأما هذه الأمة الإسلامية: فإنهم أنزلوا الأنبياء منازلهم وعزروهم ووقروهم ، وصدقوهم ، ولم يكذبوهم، وأحبوهم ، وأطاعوهم ، وآمنوا بهم جميعا عبيداً لله تعالى، رسلا مبشرين ومنذرين ، ولم يعبدوهم أو يتخذوهم أرباباً من دون الله، وسيتبين هذا بوضوح فيما يأتي.

الفرع الأول: إيمانهم بجميع الأنبياء وإعطاؤهم حقهم الشرعي: موقف المسلمين في هذا الباب هو الذي أمر الله به عباده تجاه أنبيائه الأطهار:

---

(١) انظر: إغاثة اللهفات من مصايد الشيطان لابن القيم (٢/ ٢٧٨).
وراجع: الجواب الصحيح (٢/ ٥٢، ٢٧٨).

أولا: إن الله سبحانه وتعالى أمر بالإيمان بهم كلهم: قال الله عز وجل: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[٢].

ثانيا: توقير الأنبياء وتعزيرهم ، وعدم تنقصهم: فإن هذه الأمة لم تتنقص أحدا من أنبياء الله ورسله، كما فعل غيرها من الأمم، بل وقرتهم وعزرتهم ونصرتهم، ونفت عنهم كل ما يقدح أشخاصهم أو نبوتهم ورسالتهم ، وأثبتت عصمتهم ، من الكفر وارتكاب الكبائر قبل الرسالة وبعدها، ومن التعمد في الوقوع في الصغائر[٣].

ثالثا: إعطاؤهم حقهم الذي أمره الله دون الغلو فيهم: فإن هذه الأمة أعطت حق النبي ﷺ من الاتباع والحب والمؤازرة، ولم تغل فيهم ، فيفرطوا في مدحهم، بل ولا نزلتهم منزل الرب المعبود، بل لم تجاوز بهم منزلة الرسالة والنبوة مع تجريد توحيد العبادة لله سبحانه وتعالى.

الفرع الثاني: موقف اليهود من أنبياء الله ورسله: لقد كان ليهود مواقف سيئة مع أنبياء الله الصالحين، تنبئ عن خبث طويتهم ، وحقدهم الدافن عليهم، وبغضهم لاتباع الحق، ولهذا نجد أن القرآن الكريم قد بين تلك المواقف المخزية، ومن ذلك:

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

(٣) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٣٠٣).

أولا: **التفريق بين الأنبياء**: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ ﴾[1].

ثانيا: **خذلهم للأنبياء، وعدم نصرهم**: وهذا واضح من خلال تضجرهم وعدم صبرهم مع أنبيائهم.

قال الله تعالى ـ على لسان هؤلاء اليهود ـ: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ ﴾[2].

ثم قال سبحانه: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ ﴾[3].

ثالثا: **تنقص الأنبياء ورميهم بالعظائم**: وهذا موجود مبثوث في الأسفار المقدسة، فإن المطالع لتلك النصوص ليجزم أن ما رموا به الأنبياء الأطهار كفر وزندقة لا يقولها إلا من شحن قلبه بالحسد والبغضاء، والتمادي في الباطل وإن عرف الحق[4].

إلى غير ذلك من المواقف الخبيثة حتى جرّأتهم فقتلوا أنبياء الله الصالحين.

الفرع الثالث: موقف النصارى من أنبياء الله ورسله: من ضلال النصارى في هذا

---

(١) سورة النساء، الآيتان ١٥٠، ١٥١.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ٢٤.

(٤) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام لعلي وافي (ص٤٦).

الباب الجمع بين التفريط في بعض الرسل والإفراط في آخرين، مما سيتبين للقارئ من خلال عرضي السريع لهذا الموقف:

أولا: عدم الإيمان بجميع الرسل: لم يؤمن النصارى بجميع الأنبياء بل فرقوا بينهم، وفي هذا يقول الله عز وجل في الآية السابقة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾[(١)].

ثانيا: الغلو في عيسى عليه الصلاة والسلام: إن النصارى ضلوا في هذا الباب في نبي الله عيسى عليه السلام ، ورفعوه فوق مكانته التي أعطاه الله إياها، حتى عبدوه وجعلوه إلها، قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[(٢)]، إلى غير ذلك من الآيات التي قد سبق ذكر طرف منها.

وبهذا التقرير يتبين وسطية هذه الأمة بين الأمم السابقة في أعظم الدين، وهو التوحيد ، وفي موقفهم من أنبياء الله تعالى ورسله.

---

(١) سورة النساء ، الآيتان ١٥٠، ١٥١.

(٢) سورة المائدة ، الآية ٧٣.

المبحث الرابع

وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق

تمهيد:

الذي عليه أهل السنة والجماعة الأخذ بما جاء في كتاب الله تعالى وما جاء في سنة رسوله ﷺ في مسائل الدين، وأن المصير في ذلك إلى الكتاب والسنة، وقد سبق الكلام على هذا.

وأما أهل الأهواء فإنهم تأثروا بما للأمم السابقة من الانحراف في مسائل الاعتقاد، فتجد من يميل للأهواء إلى أن يجعل العقليات هي أصل كل علم ودين، ومنهم من يجعل رياضة النفوس والتركيز على الإرادة القلبية هي أصل الدين.

أما أهل السنة والجماعة فإنما أخذوا في هذا المجال بكل خير، فأخذوا بالعقل فيما وافق فيه الشرع، ولم يجعلوه عائقا يوزن به الدلائل الشرعية، ومن جهة أخرى أخذوا بالإرادة الشرعية الموافقة للكتاب والسنة.

وفي هذا المبحث سأذكر بعض المسائل التي يظهر فيها المذهب الحق، ووسطيته واعتداله.

المطلب الأول: وسطية أهل السنة والجماعة في أبواب الاعتقاد عموماً: المقصود من هذا بيان وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق الضالة على سبيل الإجمال ، فقد ذكر أهل العلم أبواباً عدة من أبواب الاعتقاد بينوا فيها وسطيتهم ومن ذلك:

- قول السلف في باب الأسماء والصفات.
- باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد.
- وسطية أهل السنة في باب القدر.

- موقفهم من الصحابة.

- موقفهم من تعظيم النبي ﷺ والصالحين من أمته[١].

وفيما يأتي سأتناول باب الأسماء والصفات بشيء من التفصيل ليظهر لكل لبيب مزية مذهب السلف واعتداله دون الخوض في أمور الغيب.

المطلب الثاني: وسطية أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات.

الفرع الأول: منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات: الذي عليه أهل العلم: أن جماع قول سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكييف والتعطيل، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فمن نفى صفاته كان معطلا، ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلا، فالواجب إثبات الصفات ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهذا رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة، فالممثل يعبد صنما والمعطل يعبد عدما[٢].

فالصحابة رضوان الله عليهم لم يحصل بينهم تنازع في مسائل الاعتقاد كما وقع عند المتأخرين من أهل الأهواء، بل كانوا مستسلمين للنصوص متمسكين بها ، يقول ابن القيم واصفا الرعيل الأول : "وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيمانا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات ، والأفعال، بل كلهم على إثبات ما

---

(١) وقد تناول فضيلة الشيخ د. محمد باكريم هذا الموضوع بالدراسة والتفصيل، انظر: وسطية أهل السنة (ص٣٠٣ـ ٤٥٢).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٥١٥).

نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم ، لم يسموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها، تبديلا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا، ولا ضربوا لها أمثالا ، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحداً ، وأجروها على سنن واحد...»[١].

وهكذا التابعون ومن جاء بعدهم بإحسان قالوا بما قال به أئمة الهدى الذين تلقوا دينهم من النبيﷺ .

ثم جاء بعد هذا الرعيل الأول خلف انحرفوا في هذا الباب وانقسموا إلى شقين: معطلة وممثلة، وسيأتي الكلام عليهم فيما بعد.

الفرع الثاني: موقف المخالفين للسلف من توحيد الأسماء والصفات.

يتجلى هذا الموقف في مذهبين رئيسين: أهل التعطيل، وأهل التمثيل.

ولكل مذهب آراؤه وأقواله، وسأعرض لجملة منها، وموقف السلف من ذلك على سبيل الإيجاز.

المسألة الأولى: موقف المعطلة من توحيد الأسماء والصفات.

أولا: تعريف التعطيل: التعطيل في اللغة من عطل ، وهو ما يدل على خلو وفراغ ، نقول: عطلت الدار، ودار معطلة، ومتى تركت الإبل بلا راع فقد عطلت، وكذلك البئر إذا لم تورد ولم يستق منها ، قال تعالى: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾[٢]، أي لا يستقي منها، ولا يردها أحد[٣][٤].

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٩).

(٢) سورة الحج، الآية ٤٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٤).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٥١ـ٣٥٢).

وأما في الاصطلاح؛ فالتعطيل إنكار ونفي ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعض ذلك[1].

ثانيا: حقيقة مذهب المعطلة: لقد ارتكز مذهب المعطلة على تعطيل الأسماء والصفات، وهم على درجات:

فالجهمية يقولون بنفي أسماء الله وصفاته.

ويرى آخرون منهم إثبات الأسماء ونفي الصفات وهم المعتزلة.

وأمثلهم في هذا الباب من أثبت الأسماء وبعض الصفات.

واعلم أن مذهب الجهمية وهم رأس المعلطة قد انتقل إلى الفرق الكلامية الأخرى، التي جاءت بعدهم كالمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية، إلا أن هذه الفرق الكلامية التي يشملها اسم التجهم تتفاوت درجاتها في التعطيل، ومعارضة المنقول بالعقل، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية درجاتهم وأنهم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الجهمية (الخلص) الذين ينفون أسماء الله وصفاته، وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنى لكنهم قالوا في ذلك مجاز، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع، ولا متكلم.

الصنف الثاني: تجهم المعتزلة الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة، لكن ينفون صفاته.

الصنف الثالث: الصفاتية المثبتون من الأشاعرة والماتريدية والكلابية ومن سلك

---

(١) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ ابن عثيمين (ص٥٥).

سبيلهم، الذين تأولوا كثيرا من الصفات على منهج الجهمية[١].

١ـ الجهمية: هم أصحاب جهم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب[٢] (ت ١٢٨ هـ)، وسموا بذلك نسبة إليه ، من أهم مقالاتهم: نفي أسماء الله وصفاته، والقول بخلق القرآن ، والقول بالإرجاء ، وغيرها[٣].

تلقى الجهم مقالة التعطيل من شيخه الجعد بن درهم[٤]، ثم أشاعه وأظهره حتى نسب ذلك إليه دونه، وظل يبث آراءه حتى قتل سنة ١٢٨هـ[٥].

نسبت الفرقة إليه لأنه هو الذي أظهر مقالة التعطيل وغيرها، وإن كان هو قد أخذها من الجعد بن درهم[٦].

وكان ظهورها في القرن الثاني: ثم إن السلف رحمهم الله أطلقوا كلمة جهمي على من أنكر الأسماء والصفات، أو أنكر شيئا من السمعيات، أو قدم العقل على الشرع، أو قال: إن القرآن مخلوق، أو أنكر الاستواء أو الرؤية، أو أنكر الشفاعة، إلى غير ذلك من المسائل، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال: إن القرآن مخلوق، وإن الله لا يرى في الآخرة جهمياً، فإن جهماً أول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات، وبالغ في نفي

---

(١) انظر: الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٧٣)، منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل لجابر إدريس (٢/ ٧٠٠).

(٢) انظر: لسان الميزان لابن حجر (٢/ ١٤٢).

(٣) انظر: انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١١)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص١٠٨).

(٤) يعد في طبقة التابعين، وهو مبتدع ضال ، زعم أن الله لم يتخذ خليلا ولم يكلم موسى تكليما، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر والقصة فيه مشهورة عند أهل العلم.
انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٣٩٩).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٣٣٨)، تاريخ الأمم والملوك للطبري (٧/ ٣٣٥).

(٦) انظر: الفتاوى (٥/ ٢٠)، البداية والنهاية (٩/ ٣٥٠).

ذلك، فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه، وإن كان الجعد بن درهم قد سبقه إلى بعض ذلك[١].

مطلب: آراء جهم بن صفوان: لقد ذكر كثير من العلماء آراءه في المعتقد عموماً:

أ ـ ذكر الإمام أحمد في الرد على الجهمية[٢] أن جهماً وجد ثلاث آيات من المتشابه: قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٣]، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٤]، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾[٥].

ـ فبنى أصل كلامه كله على هذه الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ.

ـ وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدث عنه رسوله، كان كافرا، وكان من المشبهة، فأضل بكلامه بشرا كثيرا، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة، ووضع دين الجهمية.

ـ فإذا سألهم الناس عن قول الله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، يقولون ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع كما هو على العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان.

ـ ولم يتكلم، ولا يتكلم.

---

(١) الفتاوى (١٢/ ١١٩).

(٢) (ص١٠٤-١٠٥).

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٢.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

- ولا ينظر إليه أحد في الدنيا، ولا في الآخرة.

- ولا يوصف ولا يعرف بصفة.

- ولا يفعل ولا له غاية لا له منتهى، ولا يدرك بعقل.

- وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، ولا يكون فيه شيئان، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلى ولا أسفل، ولا نواحي ولا جوانب، ولا يمين ولا شمال، ولا هو خفيف ولا ثقيل، ولا له لون، ولا له جسم، وليس هو بمعلوم ولا معقول، وكل ما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه.

ومما ذكره الأشعري في بيان عقيدة الجهم:

- نفي أسماء الله وصفاته، حيث كان الجهم يقول: لا أقول إن الله شيء.

وقال أيضا: إن علم الله محدث.

- القول بخلق القرآن.

- القول بالجبر، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأنه هو الفاعل.

- الإيمان هو مجرد المعرفة.

- القول بفناء الجنة والنار(١).

ومما ذكره الملطي:

- أنكر جهم أن يكون الله تعالى مستويا على العرش.

- أنكر أن يكون لله كرسي.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣-٢١٤، ٣٣٨).

- أنكر جهم أن يكون الله في السماء دون الأرض.

- أنكر الميزان.

- أنكر جهم: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ ﴾.

- أنكر أن يكون لله جل وعلا حجاب.

- أنكر أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا.

- أنكر جهم النظر إلى الله تعالى.

- أنكر جهم أن يكون لله تعالى سمع وبصر.

- أنكر جهم أن ملك الموت يقبض الأرواح.

- أنكر جهم عذاب القبر ومنكر ونكير.

- أنكر جهم أن الله يتكلم.

- أنكر جهم أن الله كلم موسى تكليما.

- أنكر جهم أن الله استوى إلى السماء.

- أنكر جهم الشفاعة، وأن قوماً يخرجون من النار.

- أنكر جهم أن يكون لله يد.

- أنكر جهم أن يكون الله خلق الجنة والنار، وزعم أنهما تفنيان[(١)].

ومما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في معتقد جهم وأتباعه مجملا:

- قال: فلم يكن من السلف والأئمة من يقول: إن العبد ليس بفاعل، ولا

---

(١) انظر: التنبيه والرد (ص١١١-١٤٠).

مختار، ولا مريد، ولا قادر. ثم قال: وأول من ظهر عنه إنكار ذلك هو الجهم بن صفوان وأتباعه[١].

وقال أيضا: وكان الجهم غالياً في تعطيل الصفات، فكان ينفي أن يسمى الله تعالى باسم يسمى به العبد فلا يسمى شيئاً، ولا حيا ولا عالماً، ولا سميعاً، ولا بصيراً، إلا على وجه المجاز[٢].

وقال أيضا: فأنكرت الجهمية أن يكون الله يتكلم أو يقول أو يحب أو يبغض، وأنكروا سائر صفاته التي جاءت بها الرسل، فأنكروا بعض حقيقة الرسالة التي هي كلام الله وأنكروا بعض ما في الرسالة من صفات الله[٣].

وقال أيضاً: وكان هو وأتباعه ينكرون أن يكون لله حكمة في خلقه وأمره، وأن يكون له رحمة، ويقولون: إنما فعل بمحض مشيئة لا رحمة معها[٤].

هذه نبذة يسيرة عن الفكر الجهمي وسيأتي بيان أثره في الفرق الإسلامية بكل وضوح.

٢- المعتزلة: سموا بذلك لاعتزال مؤسس نحلتهم واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ)، مجلس الإمام الحسن البصري، بعد مخالفته له في مرتكب الكبيرة، حيث قال واصل : إنه في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم تنحى عن مجلس الحسن ، واعتزل جانبا يقرر رأيه هذا ، فقيل له ولأتباعه من يومئذ المعتزلة[٥].

---

(١) الفتاوى (٨/ ٤٦٠).

(٢) الفتاوى (٨/ ٤٦٠).

(٣) الفتاوى (١٢/ ٣٥٠).

(٤) الفتاوى (٨/ ٤٦٠).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١١٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٤-٤٥).

وزعموا إثبات الأسماء ، وأما في الصفات فإن المعتزلة أخذت مقالة جهم في نفي الصفات ، قال السكسكي بيانا لهذه الحقيقة: "وقد أجمعت ـ أي المعتزلة ـ على نفي الصفات عن الله عز وجل، وتعالى عن قولهم، كالعلم والقدرة والسمع والبصر"[١].

٣- **الأشاعرة ومن نهج نهجهم:** سموا بذلك نسبة إلى مؤسس مذهبهم على حد زعمهم الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤)، الذي كان في أول أمره معتزليا، ثم ترك الاعتزال لما تبين له غلطه، وسلط طريقة ابن كلاب[٢] ، فأثبت بعض الصفات وأول البعض الآخر، ثم هداه الله إلى مذهب أهل السنة في آخر حياته، فصنف الإبانة والمقالات ، وذكر فيهما متابعته لإمام السنة الإمام أحمد بن حنبل، وقوله بكل ما قاله[٣].

وفي هذا المقام ينبغي التفصيل بين معتقد الأشعري وقدماء بعض أصحابه، وبين المتأخرين منهم.

أما أبو الحسن الأشعري وقدماء بعض أصحابه، فإنهم يثبتون صفات الله تعالى خلافا للمعتزلة، إلا أنهم لم يثبتوا لله أفعالا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته[٤].

قالوا: لو قامت به لكان محلا للحوادث، والحادث إن أوجب له كمالا فقد

---

(١) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٥٠)، وانظر: الملل والنحل (١/ ٤٤ـ٤٥).

(٢) هو عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة وربما وافقهم، مات بعد الأربعين ومائتين . انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤).

(٣) انظر: الإبانة (ص٢٠). وانظر عن أطوار أبي الحسن الأشعري رسالة "أبو الحسن الأشعري" للشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله.

(٤) انظر: الفتاوى (٦/ ٥٢٠).

عدمه قبله وهو نقص، وإن لم يوجب له كمالاً لم يجز وصفه به[١].

وأما الصفات الخبرية فإنهم يثبتونها في الجملة كالوجه واليدين والعين، مما ورد في القرآن، وأما ما ورد في السنة من الصفات الخبرية كاليمين والقبضة والقدم وغيرها فأغلبهم يتأولها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: بل أئمة المتكلمين يثبتون الصفات الخبرية في الجملة، وإن كان لهم فيها طرق كأبي سعيد بن كلاب وأبي الحسن الأشعري، وأئمة أصحابه: كأبي عبد الله بن مجاهد، وأبي الحسن الباهلي، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني، وأبي إسحاق الإسفرائيني، وأبي بكر بن فورك، وأبي محمد بن اللبان، وأبي علي بن شاذان، وأبي القاسم القشيري، وأبي بكر البيهقي وغير هؤلاء، فما من هؤلاء إلا من يثبت من الصفات الخبرية ما شاء الله تعالى، وعماد المذهب عندهم: إثبات كل صفة في القرآن، وأما الصفات التي في الحديث فمنهم من يثبتها ومنهم من لا يثبتها[٢].

وأما المتأخرون من الأشاعرة فإنهم زادوا على أسلافهم أن نفوا الصفات الخبرية، ولم يقولوا في الصفات الثبوتية إلا بسبع: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وزاد بعضهم غيرها[٣].

وقال ابن تيمية: وأبو المعالي وأتباعه نفوا هذه الصفات ـ أي الصفات الخبرية ـ موافقة للمعتزلة والجهمية.

ثم لهم قولان: أحدهما: تأويل نصوصها، وهو أول قولي أبي المعالي، كما ذكره في الإرشاد.

والثاني: تفويض معانيها إلى الرب، وهو آخر قولي أبي المعالي، كما ذكره في

(١) انظر: الفتاوى (٦/ ٦٩، ١٠٥).

(٢) الفتاوى (٤/ ١٤٧-١٤٨).

(٣) انظر: الفتاوى (٤/ ١٤٨، ٦/ ٣٥٨).

الرسالة النظامية.

ثم قال: ثم هؤلاء منهم من ينفيها، ويقول: إن العقل الصريح نفى هذه الصفات، ومنهم من يقف، ويقول: ليس لنا دليل سمعي ولا عقلي، لا على إثباتها ولا على نفيها، وهي طريقة الرازي والآمدي(١).

هذا مجمل أقوال المعطلة في توحيد الأسماء والصفات، وفيما يأتي سأعرض لقول الممثلة والمشبهة.

المسألة الثانية: موقف الممثلة من توحيد الأسماء والصفات: أما مذهبهم فإنهم مالوا إلى التشبيه، وقالوا: له يد كأيدينا وسمع كسمعنا وبصر كبصرنا وهكذا. وهم صنفان:

أولا: تشبيه الخالق بالمخلوق: ومن هذا الصنف : السبئية(٢) من غلاة الروافض: الذين شبهوا عليا ﷺ بالله ، وجعلوه إلهاً، وقالوا: أنت الله حتى حرقهم بالنار على ذلك(٣).

ثانيا: تشبيه الخالق بالمخلوق: ومن أشهر هؤلاء: هشام بن الحكم الرافضي(٤) الذي شبه معبوده بالإنسان(٥).

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٤٩).

(٢) السبئية من غلاة الرافضة، ينسبون إلى عبد الله بن سبأ ، الذي قال لعلي ﷺ : أنت الله، وكان يهوديا ثم أظهر الإسلام، وكاد للإسلام كيدا عظيما . انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٣٣).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٢٥).

(٤) هو هشام بن الحكم الشيباني ، من كبار الرافضة ومشاهيرهم ومتكلميهم ، وكان مجسما مشبها. انظر: لسان الميزان (٦/ ١٩٤).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٢٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٤).

الفرع الثالث: موقف السلف والمخالفين من نصوص الأسماء والصفات.

المسألة الأولى: مذهب السلف في نصوص الأسماء والصفات: مذهب السلف أن الألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني، وذلك في نصوص الأسماء والصفات وغيرها، وهم بذلك قد فارقوا أهل التعطيل والتأويل وأهل التجهيل من جهة، وأهل التشبيه والتمثيل من جهة أخرى، فلم يفوضوا المعنى المراد من نصوص الصفات، ولم يكيفوا صفات الله بصفات المخلوق.

واعلم أن ظواهر نصوص الكتاب والسنة معلومة لنا باعتبار المعنى المتبادر إلى الذهن، ومفهومة، وهي أيضا مجهولة لنا باعتبار الكيفية.

فالعلم والجهل يختلفان بحسب الاعتبار: أما على الاعتبار الأول، وهو المعنى فقد تقدم في القاعدة الأولى بيان مذهب السلف في ذلك، وأنهم أثبتوا الصفات كما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فالواجب أن ينظر في هذا الباب فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني[(١)].

والسلف بهذا الإثبات قد خالفوا أهل التعطيل.

فهم إنما فوضوا العلم بكيفياتها لا العلم بمعاينها.

وأما على الاعتبار الثاني: وهو الكيفية، وذلك أن الصفات لها كيفية لا يعلمها إلا الله تعالى، ولهذا فإن السلف ﷺ قد أثبتوا الصفات مع نفي المشابهة للمخلوقات، قال ابن القيم رحمه الله: وهدى أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى، فأثبتوا حقائق

(١) انظر: منهاج السنة (٢/ ٥٥٤).

الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، يثبتون له الأسماء الحسنى والصفات العليا بحقائقها ولا يكيفون شيئاً منها، فإن الله تعالى أثبتها لنفسه وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله تعالى لم يكلف عباده بذلك ولا أراده منهم، ولا جعل لهم إليه سبيلا(١).

وبهذا الاعتبار قد خالف السلف مذهب الممثلة والمشبهة.

مطلب: ذكر الأدلة على ما ذهب إليه السلف.

لقد دلت براهين كثيرة على ما قرره السلف في هذا الباب، وذلك من المنقول والمعقول:

أما المنقول: فمن الكتاب والسنة وأقوال السلف.

أما الكتاب: قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾، قال ابن القيم: ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لا يفهمها المخاطب لم يكن ميسرا له، بل كان معسرا عليه(٢).

---

(١) انظر: مختصر الصواعق (١/ ٨٣).

(٢) مختصر الصواعق (١/ ٥٩).

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ ، قال ابن تيمية: فإذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره، علم أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين فهمها ومعرفتها، فكيف لا يكون ذلك ممكنا للمؤمنين، وهذا يبين أن معانيها كانت معروفة بينة لهم[١].

وأما من السنة:

فقد روى مسلم في صحيحه[٢] من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة...) الحديث.

ففي الحديث حث على الذكر والمدارسة للقرآن، ولا يتم ذلك إلا بقراءته وتفهم معانيه والاعتبار به.

وكذلك فإن النبي ﷺ قد خاطب قومه بلغته التي كان يخاطبهم بها قبل النبوة، وقد خصه الله بالفصاحة والبيان وأعطي جوامع الكلم، فمحال أن يكون قد خاطب الناس بمعاني غير معروفة، وهو قد اجتمعت له القوى الثلاث قوة العلم، وقوة الإرادة على البيان، وقوة تبيين المراد.

فكل ما سبق من الأدلة إنما تدل على علمنا بمعاني نصوص الصفات.

وأما الأدلة على جهلنا لها باعتبار الكيفية فكثيرة منها[٣]: قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ ، وقال

---

(١) الفتاوى (٥/ ١٥٧-١٥٨).

(٢) رقم (٢٦٩٦).

(٣) انظر: القواعد المثلى (ص٢٦)، معتقد أهل السنة للتميمي (ص١٠٠).

تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ .

وأما من أقوال السلف فكثيرة جداً حتى اعتبر اتفاقهم على فحواه إجماعا[(١)] منهم على ما سبق تقريره:

قال ابن مسعود: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه[(٢)].

وقال ابن تيمية: إن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال: هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه، ولا قال أحد قط من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين إن في القرآن آيات لا يعلم معناها ولا يفهمها رسول الله ﷺ ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس وهذا لا ريب فيه[(٣)].

ـ وقال الوليد بن مسلم[(٤)]: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات؟ فقالوا: أمروها كما جاءت.

وفي رواية: أمرها كما جاءت بلا كيف[(٥)].

---

(١) انظر: منهج أهل السنة والجماعة لخالد عبد اللطيف (٢/ ٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٠٠٢).

(٣) الفتاوى (١٣/ ٢٨٥)، وانظر الفتوى الحموية (ص٢٩٤ فما بعدها).

(٤) هو الوليد بن مسلم ، أبو العباس الدمشقي، عالم أهل الشام، مات سنة خمس وتسعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٢١١)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٥١).

(٥) أخرجه الخلال في السنة (ص١٥٩)، وابن منده في التوحيد (٣/ ١١٥)، والصابوني في عقيدة السلف (ص٥٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥٨)، وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فقولهم ـ ﷺ ـ: "أمروها كما جاءت" رد على المعطلة، وقولهم: "بلا كيف"، رد على الممثلة[(١)].

ـ وقال سفيان بن عيينة: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن[(٢)] عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق[(٣)].

ـ وجاء رجل إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا، فأمر به أن يخرج[(٤)].

قال ابن تيمية: فقول ربيعة ومالك: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول" موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف"، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة[(٥)].

---

(١) الفتوى الحموية (ص٣٠٤).

(٢) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ، أبو عثمان القرشي، التيمي، مفتي المدينة المشهور بربيعة الرأي، وكان من أئمة الاجتهاد، مات سنة ١٣٦ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٤٢٠)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٨٨)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥١)، وغيرهما.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠)، والصابوني في عقيدة السلف (١٧-١٩)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١١٥١)، وغيرهم.

(٥) الفتوى الحموية الكبرى (ص٣٠٩).

أما من المعقول[(١)]: من المحال أن ينزل الله تعالى كتاب أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ثم يبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء، فإن ذلك مكن السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى وقد قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾[(٢)].

المسألة الثانية : موقف المخالفين من نصوص الأسماء والصفات: لقد ظهرت اتجاهات عدة حيال نصوص الصفات، وتميزت المذاهب في ذلك وتعددت الآراء، مخالفين بذلك مذهب السلف الصالح، وذلك لإعراضهم عن الكتاب والسنة، وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله[(٣)]، وبتحكيمهم العقل وتحاكمهم إليه، قال ابن القيم رحمه الله: إن من عارض نصوص الوحي بالعقل لزمه لازم من خمسة لا محيد له البتة، إما تكذيبها، أو كتمانها، وإما تحريفها، وإما تخييلها، وإما تجهيلها، وهو نسبة المصدقين لها إلى الجهل: إما البسيط وإما المركب، وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم، وبيان الملازمة أنه إذا اعتقد أن العقل يخالف ظاهرها فقد اعتقد أن ظاهرها باطل ومحال، فإما أن يقر بلفظها، وأن الرسول جاء به أولا، فإن لم يقر بذلك فهو مكذب، وإن أقر بألفاظها، فإما أن يقر بأنه أراد معانيها وحقائقها أم لا، فإن أقر بذلك لزمه اعتقاد التخييل فيها، والخطاب الجمهوري، وإن لم يقر بأنه أراد حقائقها وما دلت عليه، فإما أن يقول إنه أراد خلاف ظواهرها وحقائقها أو لا، فإن قال: أراد خلاف حقائقها وظواهرها لزمه التحريف والتأويل الباطل، وإن قال: لم يرد ذلك، فإما أن يقول لم يرد

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص١٩٧-٢٠٠)، القواعد المثلى (ص٣٤-٣٥).
(٢) سورة هود: الآية ١.
(٣) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص٢١٦).

بها معنى أصلا ، بل هي بمنزلة الألفاظ المهملة ، التي لا معنى لها ، أو يقول : أراد بها معنى لا يفهمه ولا يعرفه ، وهذا هو التجهيل ، وقد ذهب إلى كل تقدير من هذه التقادير طائفة من الناس[(١)].

ففي كلام ابن القيم هذا رصد لأصول المقالات والمذاهب في هذا الباب، ويمكن أن تفصل إلى ما يلي:

ـ مذهب أصحاب تخييل.

ـ مذهب أصحاب تمثيل.

ـ مذهب أصحاب تأويل.

ـ مذهب أصحاب التجهيل[(٢)].

أولا: مذهب أصحاب التخييل.

وهم الذين اعتقدوا أن الرسل لم يفصحوا للخلق بالحقائق، إذ ليس في قواهم إدراكها وإنما أبرزوا لهم المقصود في صورة المحسوس، وأن الذي أخبرت به الرسل عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وعن اليوم الآخر لا حقيقة له تطابق ما أخبروا به، ولكنه أمثال وتخييل، وتفهيم بضرب الأمثال.

وهذا المذهب حكايته تغني عن الرد عليه.

قال ابن تيمية: فأما الذين ينتهون إلى أن يقولوا: الأنبياء أوهموا وخيلوا ما لا

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٤٨)، وانظر: (٣/ ٩١٧-٩٢٥).

(٢) انظر: الفتاوى (٥/ ١١٣-١١٧، ١٦/ ٤٤٠-٤٤٣، ١٧/ ٣٥٨)، الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٠٥، ٢٨١)، مختصر الصواعق (١/ ٧٩)، الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٤٨، ٩١٧)، القواعد المثلى (ص٣٣ فما بعدها).

حقيقة له في نفس الأمر، فهؤلاء معروفون عند المسلمين بالإلحاد والزندقة[(١)].

ثانيا: **مذهب أصحاب التمثيل**: وهؤلاء يجرون آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، ويجعلون ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، وهؤلاء هم المشبهة.

قالوا: محال أن يخاطبنا الله بما لا نعقله، ثم يقول: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ .

وقد بين السلف أن مذهبهم منكر وباطل، وذلك من عدة أوجه:

ـ أنه جناية على النصوص وتعطيل لها عن المراد بها فكيف يكون المراد بها التشبيه، وقد قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾؟

ـ أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟

ـ أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها فيكون باطلا.

وأما الرد على شبهتهم فمن عدة أوجه منها:

أ ـ أن الذي خاطبنا بتلك الآيات هو الذي قال عن نفسه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال أو يجعلوا له أندادا فقال: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ ، وقال: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ، وكلامه تعالى يصدق بعضه بعضا.

ب ـ أن يقال له: ألست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فسيقول: بلى، فيقال له: إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠١).

فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم.

ثالثا: مذهب أصحاب التأويل: هذا ما قد عرف من مذاهب المتكلمين، فهم ينفون ظاهرها، وقالوا: إن آيات الصفات والأحاديث فيها تجري على خلاف ظاهرها، بل ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط، وأن الله لا صفة له ثبوتية، بل صفات إما سلبية وإما إضافية وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات أو يثبتون الأحوال دون الصفات، ويقرون من الصفات الخبرية بما في القرآن دون الحديث.

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص للشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى ـ وهي التي يسمونها طريقة السلف ـ وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف، ولهذا قالوا: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم(١).

فتبين من هذا أن للمعطلة مسلكين:

التأويل. تفويض المعنى.

أما مسلك التأويل فعلل أصحابه هذا المذهب بأن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول ﷺ أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم تلك المعاني ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم، وتكليفهم

---

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٠٥-٢٠٦).

إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته.

ـ **شبهتهم في ذلك**: اعتقادهم أن ظاهر النصوص تشبيه، وأن الله منزه عنه، فلزم منه نفي الصفات، لأنا نجد في الشاهد من هو متصف بهذه الصفات.

ـ **موقف السلف منهم**: لقد بين السلف رحمهم الله بطلان هذا المذهب بطريقتيه ـ أعني التأويل وتفويض المعنى ـ وأوضحوا أن هذا المسلك فاتح لباب الشر على الملاحدة الذين أولوا الشرائع والعقائد كلية، وادعوا أن للدين ظاهراً وباطناً، وقد وقع من ذلك الفساد في الدين والانحراف فيه الشيء الكثير.

وردهم على هذا المذهب يتمثل في أمور كثيرة منها على سبيل الإيجاز:

أ ـ بيان أن المؤول يتلاعب بالنصوص ويسيء الظن بها، وينسب قائلها بالتكلم بما ظاهره الضلال والإضلال، فقد جمع بين أربعة محاذير:

ـ اعتقاده أن ظاهر كلام الله ورسوله محال وباطل، ففهم التشبيه أولا.

ـ ثم انتقل منه إلى المحذور الثاني: وهو التعطيل، فعطل حقائقها بناء منه على ذلك الفهم الذي لا يليق به ولا يليق بالرب سبحانه.

ـ **المحذور الثالث**: نسبة المتكلم الكامل العلم الكامل البيان التام النصح إلى ضد البيان والهدى والرشاد، وأن المتحيرين المتهوكين أجادوا العبارة في هذا الباب، وعبروا بعبارة لا توهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك النصوص، ولا ريب عند كل عاقل أن ذلك يتضمن أنهم كانوا أعلم منه أو أفصح أو أنصح للناس.

ـ المحذور الرابع: تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها.

ب ـ ما يلزم هذا المذهب من اللوازم الباطلة:

ـ أن تكون نصوص الكتاب والسنة قد نصبها الله تعالى لإضلال الخلق لا لهدايتهم وإرشادهم.

ـ أن الله تعالى ترك بيان الحق والصواب ولم يفصح به، بل رمز إليه رمزاً وألغزه إلغازا لا يفهم إلا بعد عناء وجهد.

ـ أنه تعالى قد كلف عباده ألا يفهموا من تلك النصوص حقائقها وظواهرها، بل كلفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه، ولم يجعل لهم معها قرينة تدل على ذلك، ومعلوم أن مخاطبة الرجل بما لا يفهمه إلا بترجمة أيسر عليه من مخاطبته بما يراد منه ألا يفهم منه ظاهره، بل يفهم منه ما لا يدل عليه الكلام بحال.

ـ أن يكون الله تعالى دائما متكلما بما ظاهره خلاف الحق، وإن تعددت وجوه الدلالات.

ـ تجهيل السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان، وإثبات عدم الفهم لمراد الله ورسوله في حقهم، أو أنهم فهموا أن ظواهر هذه النصوص غير مراد ثم قعدوا عن واجب النصيحة في الدين للمسلمين، حتى شمر إليها هؤلاء المتهوكون المتحيرون فأيقظوا الغافلين وعلموا الجاهلين وكفروا المخالفين وأشاعوا ذلك في العالمين(١).

ج ـ أن يعلم أنه من المحال أن يكون النبي ﷺ علم أمته الدين كله حتى الخراءة، وعلمهم كل شيء فيه منفعة في الدين وإن دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم، ومن المحال أيضا أن يظن أن النبي ﷺ لم يبين ذلك غاية البيان والتمام، ومن المحال أيضا أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا

(١) انظر لما سبق من الردود: الفتوى الحموية الكبرى (ص ١٩٧، فما بعدها)، الفتاوى (٥/ ١٦٦-١٦٨)، مختصر الصواعق (١/ ٤٨-٤٩، ٥٢-٥٣)، القواعد المثلى (ص٤٠-٤٤).

في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه[(١)].

د ـ أما الرد على شبهتهم فإنه يقال: إن كان المخاطب ممن يثبت بعض الصفات، فيقال له: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، وإن كان المخاطب ممن ينفي جميع الصفات يقال له: إن القول في الصفات كالقول في الذات، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات[(٢)].

رابعا: **مذهب أصحاب التجهيل**: وهو المسلك الثاني من مسالك المعطلة، حيث قالوا: إن نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يدري ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرؤها ألفاظا لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلا لا يعلمه إلا الله وهي عندنا بمنزلة (كهيعص) و(حمعسق)، فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلا ولا تشبيها ولم نعرف معناه وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى الله تعالى.

وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات، ولا يفهمون معناها.

وهم طائفتان من حيث إثبات ظواهر النصوص ونفيها:

الأولى: تقول: المراد بهذه النصوص خلاف مدلولها الظاهر، ولا يعرف أحد من الأنبياء ولا الملائكة ولا الصحابة ولا أحد من الأمة ما أراد الله بها، كما لا يعلمون الساعة.

الثانية: تقول: بل تجري على ظاهرها وتحمل عليه، ومع هذا فلا يعلم تأويله

---

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص١٩٧-٢٠٠).

(٢) راجع تفصيل ذلك في التدمرية (ص٣١-٤٣).

إلا الله تعالى[١]. وهؤلاء بنوا مذهبهم على أصلين:

ـ الأول: أن هذه النصوص ـ نصوص الصفات والمعاد وغيرها ـ من المتشابه.

ـ الثاني: أن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله تعالى.

ـ موقف السلف منهم. لقد أوضح سلف الأمة بطلان هذا المذهب وبينوا عواره، وأنكر المحققون منهم نسبته إلى السلف، وردوا على ما استدلوا به من الشبهات.

وعلى سبيل الاختصار أذكر بعض الوجوه التي رد بها السلف على هذا المذهب.

أ ـ إنكار نسبة مذهب التجهيل للسلف: تقدم مما سبق أن مذهب السلف إثبات نصوص الصفات بألفاظها ومعانيها، وأن هذا الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، قال ابن القيم: فالصحابة أخذوا عن رسول الله ﷺ ألفاظ القرآن ومعانيه، بل كانت عنايتهم بأخذ المعاني أعظم من عنايتهم بالألفاظ، يأخذون المعاني أولا ثم يأخذون الألفاظ[٢].

وقال ابن عثيمين: وقد علم براءة السلف من هذا المذهب بتواتر الأخبار عنهم بإثبات معاني هذه النصوص على الإجمال والتفصيل، وإنما فوضوا العلم بكيفياتها لا العلم بمعانيها[٣].

ثم إن نسبة هذا القول إليهم يفضي إلى استجهال السابقين الأولين واستبهالهم، واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٢٠٤).
(٢) مختصر الصواعق (٢/ ٣٣٩).
(٣) القواعد المثلى (ص ٣٥).

العلوم، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق حيث إنهم استخرجوا معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ووحشيها.

ونتج عن هذا أن قال بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف: إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

ب ــ بيان أنهم وقعوا في التناقض: وذلك أن كثيرا منهم يقولون: إن نصوص الصفات تجري على ظاهرها، فظاهرها مراد، مع قولهم: إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله تعالى، وهذا تناقض بيّن، فكيف يثبتون لها تأويلا ويقولون: تجري على ظاهرها، وهذا الظاهر منها مراد والرب منفرد بعلم تأويلها؟

ج ــ ظنهم أن الآيات الواردة في الباب إنما أنزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها، وهذا مناقض لصريح القرآن، قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

قال ابن تيمية: ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله، وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفة ما لم يتدبر لما تدبر[4].

د ــ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاماً لا معنى له، ولا يجوز أن يكون الرسول ﷺ وجميع الأمة لا يعلمون معناه، كما يقول

(١) سورة ص: ٢٩.
(٢) سورة محمد: الآية ٢٤.
(٣) سورة النساء: الآية ٨٢.
(٤) الفتاوى (١٣/ ٣٠٧).

ذلك من يقوله من المتأخرين، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ... فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على أن جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره، وهذا مما يجب القطع به(١).

هـ ـ من المحال أن ينزل الله تعالى كتاب أو يتكلم رسوله ﷺبكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ثم يبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء، فإن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى وقد قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾(٢).

و ـ من لوازم هذا القول الباطل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه، لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه ...ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه ـ وهو ما أخبر به الرب عن صفاته أو عن كونه خالقا لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر ونهى، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر ـ لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين للناس ما أنزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين(٣).

---

(١) الفتاوى (١٧/ ٣٩٠).

(٢) سورة هود: الآية ١.

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٤-٢٠٥).

ز ـ من لوازمه الباطلة أيضا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال بعد بيان اللازم السابق: فيبقى هذا الكلام [أي كلام المفوضة]سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلا عن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد(١).

ـ أما ما يتعلق بشبهتهم فالرد على المقدمتين على النحو التالي:

ـ أما المقدمة الأولى: وهي ادعاؤهم أن نصوص الصفات والمعاد من المتشابه، فهي مقدمة باطلة من وجوه كثيرة منها:

الوجه الأول: يقال لهم: إنه من المعلوم أن القرآن خبر عن الله وأسمائه وصفاته وعن اليوم الآخر والجنة والنار والقصص، وبيان عاقبة أهل الإيمان وعاقبة أهل الكفر، فإن كان هذا كله من المتشابه ـ وهو عندهم لا يعلم أحد معناه ـ فسائر القرآن لا يعرف أحد معناه لا الرسول ولا أحد من الأمة، ومعلوم أن هذا مكابرة ظاهرة.

الوجه الثاني: أن هذا خلاف ما عليه الأئمة وسلف الأمة، قال ابن تيمية: فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة(٢).

---

(١) درء التعارض (١/ ٢٠٥).

(٢) الفتاوى (١٣/ ٢٩٤-٢٩٥).

أما المقدمة الثانية: وهي أن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله، فيقال لهم:

الوجه الأول: يجب أن نفرق بين قولنا: المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله، وبين قولنا المتشابه لا يعلم معناه إلا الله.

أما الأول فصحيح، فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله، والمراد بالتأويل هنا هو الحقيقة التي يؤول إليها الأمر كما هو استعمال القرآن الكريم.

أما الثاني: فباطل، وسيأتي بيانه في الوجه الثاني: وهؤلاء المخالفون يطلقون العبارة الأولى ويريدون بها المعنى الثاني، ويزعمون أن آية آل عمران تدل عليه، إلا أن المراد من التأويل في آية آل عمران يكون بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الأمر إذا كان مما يختص الله بعلمه، ولذا كانت قراءة الجمهور الوقف عند لفظ الجلالة، ومن ترك الوقف من العلماء كان التأويل عنده بمعنى التفسير والبيان وعليه يكون العلماء الراسخون في العلم يعلمون التأويل الذي بمعنى التفسير والبيان[١].

الوجه الثاني: قد اختلف الناس في المراد بالمتشابه وعلى كل تقدير لم يقل أحد منهم إن المتشابه لا يعلم أحد معناه، ومن تعريفا المتشابه: أنه ما احتاج إلى بيان، وهو منقول عن أحمد وغيره، وهذا معلوم المعنى وإن لم يكن مقطوعاً به.

ومن ذلك أيضاً قولهم: المتشابه ما احتمل وجوها من المعاني، وهو منقول عن الشافعي، وهذا أيضا من جنس ما سبق.

وقيل: المتشابه هو القصص والأمثال وهي معلومة معانيها، إلى غير ذلك من التعاريف[٢].

الوجه الثالث: لو قيل إن التأويل المذكور في الآية هو صرف الكلام عن ظاهره

---

(١) انظر: الفتاوى (١٣/ ٢٩٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: الفتاوى (١٧/ ٤٢٠-٤٢٣)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٤).

إلى ما يخالف ظاهره، وأنه لا يعلمه إلا الله تعالى، لكان في هذا تسليم للجهمية أن للآية تأويلا يخالف دلالتها، لكن ذلك لا يعلمه إلا الله، وليس هذا مذهب السلف والأئمة، وإنما مذهبهم نفي هذه التأويلات وردها لا التوقف فيها، وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة عل المعاني، لا تحرف ولا يلحد فيها(١).

تنبيه: **شبهة المفوضة ورد السلف عليهم**: بقي أمر وهو أن بعض من يقول بالتفويض ـ تفويض المعاني ـ، تشبث ببعض الشبهات، وتعلق بما روي عن السلف مما تقدم ذكر بعضه، فقالوا: إنها تدل على ما ذهبنا إليه.

والحاصل من ذلك استدلالهم بالأمور التالية:

ـ إمرار النصوص.

ـ نفي تفسير النصوص.

ـ السكوت.

ـ نفي المعاني عن النصوص.

وقد أجاب أهل السنة والجماعة عن ذلك(٢):

١ـ أما ما يتعلق بقول بعض السلف: "أمروها كما جاءت"، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه ـ على ما يليق بالله ـ لما قالوا: الاستواء غير

---

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٩١)، الفتاوى (١٣/ ٢٩٦، ١٦/ ٢٩٧، ١٧/ ٣٥٨، ٤٠٢-٤٠٣)، مختصر الصواعق (١/ ٨٢)، القواعد المثلى (ص٣٤-٣٥)، منهج الاستدلال لعثمان علي حسن (٢/ ٤٤٩ فما بعدها).

(٢) انظر تفصيل ذلك: مذهب أهل التفويض لأحمد القاضي (ص٣٥٣ فما بعدها).

مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم.

وأيضا فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

ثم قال: وأيضا فقولهم: "أمروها كما جاءت" يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولايقال: حينئذ بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول(١).

٢ـ أما ما يتعلق بقول بعض السلف: "ولم يفسروا"، فقد قال ابن تيمية: وقوله: "من غير تفسير" أراد به تفسير الجهمية والمعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات(٢).

٣ـ وأما ما يتعلق بقول بعض السلف: "ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص٣٠٩-٣١٠).
فإن قيل: معنى قوله: "الاستواء معلوم" أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم، فقد أجاب عنه ابن تيمية بقوله: هذا ضعيف فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، فإن السائل قد علم أن هذا موجود في القرآن وقد تلا الآية، وأيضا فلم يقل: ذكر الاستواء في القرآن، ولا اخبار الله بالاستواء، وإنما قال: الاستواء معلوم، فأخبر عن الاسم المفرد أنه معلوم، لم يخبر عن الجملة، وأيضا فقد قال: الكيف مجهول، فلو أراد ذلك لقال: معنى الاستواء مجهول، أو تفسير الاستواء مجهول، أو بيان الاستواء غير معلوم، فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء، لا العلم بنفس الاستواء، وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه. الفتاوى (٣٠٩/١٣-٣١٠).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى (ص٣٣٣).

سكتوا، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثم إنهم يقولون: المأثور عن السلف هو السكوت عن الخوض في تأويل ذلك، والمصير إلى الإيمان بظاهره، والوقوف عن تفسيره، لأنا قد نهينا أن نقول في كتاب الله برأينا، ولم ينبهنا الله ورسوله على حقيقة معنى ذلك، فيقال: أما كون الرجل يسكت عما لا يعلم فهذا مما يؤمر به كل أحد، لكن هذا الكلام يقتضي أنهم لم يعلموا معنى الآية وتفسيرها، وتأويلها، وإذا كان لم يتبين لهم فمضمونه عدم علمهم بذلك، وهو كلام شاكٍّ لا يعلم ما أريد بالآية[(١)].

وقال أيضا: وفرق بين أن يقال: الرب هو الذي يأتي إتيانا يليق بجلاله، أو يقال: ما ندري هل هو يأتي أو أمره، فكثير من لا يجزم بأحدهما بل يقول: اسكت، فالسكوت أسلم. ولا ريب أن من لم يعلم فالسكوت له أسلم، ...لكن هو يقول: إن الرسول وجميع الأمة كانوا كذلك، لا يدرون ما المراد به هذا أو هذا، ولا الرسول كان يعرف ذلك، فقائل هذا مبطل متكلم بما لا علم له به، وكان يسعه أن يسكت عن هذا، لا يجزم بأن الرسول والأئمة كلهم جهال يجب عليهم السكوت كما يجب عليه[(٢)].

وما سبق في آخر الأثر نفسه مما يدل على أن المقصود منه سكوت عما سكت عنه الصحابة والتابعون بإحسان من مقالات أهل البدع وتفسيراتهم، وفي هذا يقول مالك: أهل البدع يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان[(٣)].

٤ـ وأما ما يتعلق بنفي المعاني عن النصوص، فقد جاء عن الإمام أحمد أنه سئل عن الأحاديث التي تروى: (إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا)،

---

(١) الفتاوى (١٦/ ٤١٨-٤١٩).

(٢) الفتاوى (١٦/ ٤١٠-٤١٢).

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ١٠٤).

وأن الله يرى، وإن الله يضع قدمه، وما أشبهه، فقال الإمام أحمد: نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى[١].

والجواب عن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: والمنتسبون إلى السنة من الحنابلة وغيرهم، الذين جعلوا لفظ التأويل يعم القسمين، يتمسكون بما يجدونه في كلام الأئمة في المتشابه، مثل قول أحمد في رواية حنبل: "ولا كيف ولا معنى"، ظنوا أن مراده أنا لا نعرف معناها، وكلام أحمد صريح بخلاف هذا في غير موضع، وقد بين أنه إنما ينكر تأويلات الجهمية ونحوهم الذين يتأولون القرآن على غير تأويله، وصنف كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما أنكرته من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، فأنكر عليهم تأويل القرآن على غير مراد الله ورسوله، وهم إذا تأولوه يقولون: معنى هذه الآية كذا، والمكيفون يثبتون كيفية، يقولون: إنهم علموا كيفية ما أخبر به من صفات الرب، فنفى أحمد قول هؤلاء وقول هؤلاء، قول المكيفة الذين يدعون أنهم علموا الكيفية، وقول المحرفة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون معناه كذا وكذا[٢].

ومن خلال هذا العرض يتضح جليا اعتدال أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره، وأن من خالفهم وقع في التفريط في الحق أو الغلو والإفراط فيه.

---

(١) انظر: ذم التأويل لابن قدامة (ص٢٢).
(٢) الفتاوى (١٧/ ٣٦٣-٣٦٤).

الفصل السادس

قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الأول: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الأول: معنى المعروف: المعروف: يطلق على كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه .

وهو في الحقيقة اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الخلق(١).

قال ابن جرير: «أصل المعروف كل ما كان معروفاً جميلا مستحسنا غير مستقبح في الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله معروفاً .. لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله» (٢).

وقال الأصفهاني: « هو ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً» (٣).

المطلب الثاني: معنى المنكر: المنكر: ضد المعروف وهو ما عرف قبحه نقلاً وعقلاً(٤).

قال ابن جرير: «أصل المنكر ما أنكره الله ، ورأوه قبيحاً فعله، ولذلك سميت معصية الله منكراً؛ لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها ، ويستعظمون ركوبها»(٥).

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٢١٦)، لسان العرب (٢/ ٧٤٧).
(٢) جامع البيان (٧/ ١٠٥).
(٣) المفردات (ص٣٣١).
(٤) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني (ص٥٠٥).
(٥) جامع البيان (٣/ ١٠٠).

المطلب الثالث: تعريف الحسبة.

الفرع الأول: تعريف الحسبة في اللغة.

الحسبة في اللغة مصدر من الاحتساب ، وهو طلب الأجر ، والاسم : حِسْبة، وهو الأجر[(١)].

الفرع الثاني: تعريف الحسبة اصطلاحا.

الحسبة في الاصطلاح المشهور: «أمر بالمعروف إذا ظهر تركُه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله» [(٢)].

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (١/ ١١٠)، لسان العرب (١/ ٦٣٠)، تاج العروس (١/ ٢١٢).

(٢) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص٢٩٩)، الأحكام السلطانية للفراء (ص٢٨٤).

المبحث الثاني

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

جعل الله سبحانه وتعالى هذه الوظيفة من أخص أوصاف من اصطفاهم الله سبحانه من سائر البشر، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[١].

وقال سبحانه مبرزا أشرف أوصاف المؤمنين الصادقين: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٢].

وقال سبحانه في وصف الأمة التي أحرزت كمال الحرية: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[٣].

وإنما جعل فضل الاحتساب بهذه المثابة لأن صلاح المعاش والمعاد إنما يكون بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس[٤].

وفي السنة المطهرة في هذا المعنى أحاديث كثيرة؛ منها قوله ﷺ : (أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع ، فإن له مثل أوزار من اتبعه ، ولا ينقص من أوزارهم شيئا ، وأيما داع

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٧١.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٢.

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١١٠.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ٣٠٦-٣٠٧).

دعا إلى هدى فاتبع ، فإن له مثل أجور من اتبعه، ولا ينقص من أجورهم شيئا)[١].

وقال النبي ﷺ : (إن من أمتي قوماً يعطون مثل أجور أولهم ينكرون المنكر)[٢].

وبهذا تعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه فضل عظيم، ويصلح بذلك معاش الناس ومعادهم.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٩٧)، من حديث أنس ﷺ.
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب من أحيا سنة قد أميتت، (١/ ٧٦)، رقم: ٢٠٩، من حديث عمرو بن عوف المزني. وانظر: صحيح ابن ماجه (رقم: ١٧٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٦٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم: ١٧٠٠).

المبحث الثالث

الحِكَم المستفادة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الفوائد العظيمة التي يتضمنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمور كثيرة منها:

أولا: **خروجه من عهدة التكليف**: وقد قص الله لنا في القرآن الكريم قصة الذين ينهون عن المنكر وأنهم لما حذروا المعتدين في السبت ، قيل لهم: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ أجابوا عن ذلك: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾[1][2].

ثانيا: إقامة حجة الله على خلقه.

قال الله عز وجل: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[3][4].

ثالثا: الشهادة على الخلق: وفي ذلك يقول الإمام مالك: "وينبغي للناس أن يأمروا بطاعة الله فإن عصوا كانوا شهودا على من عصاه"[5].

رابعا: إقامة الملة والشريعة وحفظ العقيدة والدين: قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦٤.

(٢) انظر: أضواء البيان (١/ ١٧٦).

(٣) سورة النساء، الآية ١٦٥.

(٤) انظر: أضواء البيان (١/ ١٧٦).

(٥) انظر: الجامع لابن أبي زيد القيرواني (ص١٥٦).

ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾[١].

خامسا: شد ظهر المؤمن وتقوية صفه، ورفع عزيمته، وإرغام للمنافقين وأصحاب المجون والفساق.

يقول الإمام سفيان بن سعيد الثوري: «إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق»[٢].

إلى غير ذلك من الفوائد التي ذكرها أهل العلم في هذا الباب[٣].

---

(١) سورة سورة الحج، الآية ٤٠.

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (ص ٦٧).

(٣) انظر: أصول الدعوة لعبد الكريم الزيدان (ص ١٦٧)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخالد السبت (ص٧٤).

المبحث الرابع

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الأول: مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قد سبق فيما تقدم الكلام على فضله وأهميته، وفي هذا المبحث سأتعرض إلى أصل مشروعيته بالنظر إلى أنه حكم شرعي.

وقد جاءت النصوص الشرعية الكثيرة الدالة على أصل مشروعيته قال الله تعالى مثنيا على طائفة من أهل الكتاب قبلنا: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[١].

وقال تعالى ـ كما في وصية لقمان الحكيم ـ: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[٢].

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على شرعيته.

المطلب الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنظر إلى ذاته.

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات العظيمة الجليلة. ولقد دل على وجوبه الكتاب والسنة. بل إن بعض أهل العلم قد نقل الإجماع على ذلك[٣].

ومن هذه النصوص الشرعية: قول الله جل وعلا: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١١٤.

(٢) سورة لقمان، الآية ١٧.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٢١٥)، فتح الباري (١٣/ ٥٣)، الدرر السنية (٧/ ٣٠ـ٣٤)، مختصر الفتاوى المصرية (٥٧٩)، جامع العلوم والحكم (٢٨١)، شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٢/ ٢٢)، أصول الدعوة (ص١٦٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٢].

وقال النبي ﷺ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ..) الحديث[٣].

إلى غير ذلك من النصوص.

المبحث الخامس: مراتب التغيير المنكر. الأصل في هذا قول النبي ﷺ : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)[٤].

ومن خلال هذا الحديث يتبين أن للمحتسب ثلاث مراتب.

المطلب الأول: المرتبة الأولى. وهي التغيير باليد، وهي من أقوى مراتب الحسبة وأعلاها، وإنما الاحتساب الكامل ما يزول به المنكر ، كإراقة الخمر، وكسر المعازف وغيرها.

ضابط التغيير باليد.

إن الإنكار باليد واللسان مشروط بالقدرة، وعدم ترتب مفسدة أكبر من جرائه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه،

---

(١) سورة لقمان، الآية ١٣.

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١١٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، (١/ ٦٩)، رقم: ٧٨.

(٤) سبق تخريجه قريبا.

مثل أن يقوم أحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق ، ويجلد الشارب، ويقيم الحدود لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد، لأن كل واحد يضرب غيره ويدعي أنه استحق ذلك، فهذا ينبغي أن يقتصر فيه على ولي الأمر» (١).

المطلب الثاني: المرتبة الثانية. وهي الإنكار باللسان، وإنما ينتقل إلى هذه المرتبة إذا عجز عن التي قبلها وهي الإنكار باليد ، فتسقط عنه ، وهذه المرتبة أيسر، وقد دل عليها حديث أبي سعيد السابق.

المطلب الثالث: المرتبة الثالثة. « وهي الإنكار بالقلب وهو أدنى المراتب، ولا رخصة لأحد في تركه البتة، بل يجب أن يكون كره المنكر وبغضه تاما مستمرا قال شيخ الإسلام ابن تيمية : 'إنكار القلب: هو الإيمان بأن هذا منكر وكراهته لذلك»(٢)(٣).

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية (ص٥٧٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٤٨)

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/ ٣٢٩، ٢٨/ ١٢٧)، الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ١٦١)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٤٢٧ـ٤٢٨)، الدرر السنية (٧/ ٣١)، أصول الدعوة (ص١٨٥).

المبحث السادس

صور من احتساب السلف الصالح

مما لا ريب فيه أن السلف الصالح كانوا من السباقين في أمر الاحتساب، وهذا ما يجعلني أذكر بعض الآثار في هذا الباب.

١ـ فعن الإمام أحمد بن حنبل أنه مر يعود مكشوف فقام فكسره[١].

٢ـ وقال الحسن: «ليس الدفوف من أمر المسلمين في شيء ، وأصحاب عبد الله ابن مسعود كانوا يشققونها»[٢].

٣ـ وذكر لأحمد أن أبا بكر المروذي[٣] جاء ليغسل ميتا فرأى دفا فكسره، فتبسم ولم ير به بأسا[٤].

٤ـ وقال بعضهم: رأيت أبا العباس السراج[٥] يركب حماره وعباس المستملي بين يديه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقول: يا عباس غيّر كذا، اكسر كذا[٦].

٥ـ جاء في البداية والنهاية: «أن الحجاج أطال الخطبة، فجعل ابن عمر يقول:

---

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (ص٨٥).

(٢) المصدر السابق (ص٩٠).

(٣) هو أحمد بن محمد بن الحجاج ، أبو بكر المروذي ، صاحب الإمام أحم، الفقيه القدوة، المحدث، وكان إماما في السنة شديد الاتباع، مات سنة ٢٧٥ هـ.
انظر: تارخ بغداد (٤/ ٤٢٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٣)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣١).

(٤) المصدر السابق (ص٩١).

(٥) هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مروان، أبو العباس السراج، الخراساني، الإمام الحافظ، الثقة شيخ الإسلام، صاحب المسند الكبير وغيره، مات سنة ٣١٣ هـ.
انظر: تاريخ بغداد (١/ ٢٤٨)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨٨)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٣١).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٩٤).

الصلاة الصلاة، مرارا، ثم قام فأقام الصلاة ، فقام الناس ، فصلى الحجاج بالناس، فلما انصرف قال لابن عمر: ما حملك على ذلك؟ فقال: إنما نجيء للصلاة ، فصل الصلاة لوقتها ثم تفتق ما شئت أن تفتقه» (١).

إلى غير ذلك من الآثار الواردة في الباب، والتي يجدها المرء مبثوثة في الكتب المؤلفة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتب السير والتواريخ العامة، مما يدل دلالة قاطعة أن السلف الصالح كانوا أول الناس في الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الضوابط الشرعية المرعية .

---

(١) البداية والنهاية (٩/ ١٢١).

البَابُ الرَّابِع

خَصَائِصُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ السُّلُوكِيَةِ والخُلُقِيَةِ.

وفيه: تمهيد وثمانية فصول:

التمهيد: بيان فضائل حسن الخلق والسلوك.

الفصل الأول: حرصهم على العدل والإنصاف.

الفصل الثاني: أرحم الناس للناس وأحسن الناس أخلاقا.

الفصل الثالث: حرصهم على الزهد وكثرة العبادة وملازمة الطاعة.

الفصل الرابع: تحذيرهم من الفتن ومنع أسبابها.

الفصل الخامس: صبرهم على ما يصيبهم ومنعهم الخروج على ولاة الأمور.

الفصل السادس: ثباتهم على دينهم وعدم ترددهم وتذبذبهم.

الفصل السابع: وضوح عقيدتهم وصفائها.

الفصل الثامن: العمل على تأليف القلوب واجتماع الكلمة.

التمهيد

بيان فضائل حسن الخلق والسلوك

المبحث الأول: تعريف حسن الخلق.

المطلب الأول: تعريف حسن الخلق لغة.

أولا: تعريف الحسن: يقال: رجل حسن، وامرأة حسناء ، والحُسن الجمال.

وهو نعت لما حسن[(١)] .

ثانيا: تعريف الخلق: من مادة خلق التي تدل على تقدير الشيء، يقول ابن فارس: ومن هذا المعنى أي تقدير الشيء .

والخلق: وهو السجية، لأن صاحبه قد قدّر عليه.

يقال: فلان خليق بكذا، أي قادر عليه وجدير به[(٢)] .

وقال الراغب: «الخَلق والخُلق في الأصل واحد ، لكن خُص الخَلق بالهيئات، والأشكال، والصور المدركة بالبصر، وخُصّ الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة» [(٣)] .

وقال الماوردي: حقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، سمي بذلك لأنه يصير كالخلقة فيه[(٤)] .

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٧٥)، القاموس المحيط (٤/ ٢١٥)، لسان العرب (١٣/ ١١٥_١١٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٤).

(٣) المفردات (ص١٥١).

(٤) تفسير الماوردي (٦/ ٦١).

وقال ابن منظور[١]: الخلق هو الدين، والطبع والسجية وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها[٢].

المطلب الثاني: تعريف حسن الخلق اصطلاحا.

أولا: تعريف الخلق اصطلاحا: قال الماوردي: الأخلاق غرائز كامنة تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار[٣].

وقال الجرجاني: الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية[٤].

ثانيا: تعريف حسن الخلق: يظهر مما سبق أن ما يصدر من المرء من الأفعال الحسنة فهي من الأخلاق الحسنة، ولهذا يقول الماوردي رحمه الله: «أن يكون سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة»[٥].

---

(١) هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور، الرويفعي، الإفريقي، مات سنة ٧١١ هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ٢٦٢)، حسن المحاضرة (١/ ٢١٩)، الأعلام (٧/ ١٠٨).

(٢) لسان العرب (١٠/ ٨٦).

(٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر (ص٥).

(٤) التعريفات (ص١٠٤).

(٥) أدب الدنيا والدين (ص٢٣٧)، وانظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٥٨).

المبحث الثاني

النصوص الواردة في حسن الخلق

لقد ورد في الكتاب العزيز والسنة النبوية نصوصا كثيرة تحث على الالتزام بحسن الخلق.

المطلب الأول: الآيات الواردة في حسن الخلق: أما في القرآن فكثير ، ومن ذلك:

ـ قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية[١]. ـ وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية[٢]. وقال جل وعلا: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٣]. إلى غير ذلك من الآيات.

المطلب الثاني: الأحاديث الواردة في حسن الخلق. كما أنه جاء في الأحاديث ما يؤيد ما سبق التنويه به، ومن ذلك:

ـ قوله ﷺ : (اتق الله حيثما كنت وأتبع الحسنة السيئة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[٤].

ـ وقال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم خلقا)[٥].

---

(١) سورة الإسراء، ٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٣) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه (رقم: ١٩٨٧)، وقال: حسن صحيح.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٧٢،٢٥٠)، والترمذي (رقم: ١١٦٢)، وابن حبان (رقم: ١٣١١) والحاكم في المستدرك (١/ ٣).

- وفي حديث عائشة وقد سئلت : (يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: ألست تقرأ القرآن، قلت: بلى قالت: فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن)[١].

- وعن النواس بن سمعان الأنصاري[٢] قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال : (البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)[٣]. إلى غير ذلك من الأحاديث.

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥١٢)، رقم: ٧٤٦.

(٢) هو النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن فرط بن عبد الله العامري، الكلابي، له ولأبيه صحبة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٤٦)، تقريب التهذيب (رقم: ٧٢٥٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، رقم: ٤٦٣٢.

المبحث الثالث

حسن الخلق عند النبي ﷺ والصحابة ومن بعدهم

المطلب الأول: حسن الخلق في عهد النبي ﷺ : قد مر ذكر الأحاديث الواردة في حسن الخلق وإنما المراد من هذا المطلب التنبيه على المنهج العملي الذي سار عليه النبي ﷺ في هذا الباب وعلمه أصحابه.

ومن الأحاديث الواردة في هذا الموضوع: ـ عن عائشة رضي الله عنها : (**أن يهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم، قال: مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش ، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أولم تسمعي ما قلت: رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في**)[(١)].

ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال : (**أن أعرابيا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبا من ماء أو سجلا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**)[(٢)].

ـ وعن أنس بن مالك قال : (**كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء**)[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا، رقم: ٦٠٣٠، ومسلم في صحيحه، كتاب، باب ، رقم: ٢١٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب رقم: ٦١٢٨، ومسلم في كتاب الطهارة، باب ، رقم: ٢٨٤.

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب الأدب، رقم: ٦٠٨٨، ومسلم ، رقم: ١٠٥٧.

المطلب الثاني: حسن الخلق عند الصحابة ومن بعدهم:

ـ وعلى هذا سار الصحابة رضوان الله عليهم فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قدم عيينة بن حصن بن حذيفة[١] فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس[٢] وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال سأستأذن لك عليه قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله)[٣].

ومن هذا أيضا ما قال الحسن البصري رحمه الله: «حسن الخلق الكرم، والبذلة والاحتمال. وقال ابن المبارك: حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس. وقال الإمام أحمد: حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد»[٤].

---

(١) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية الفزاري، أبو مالك، ، قال ابن السكن: له صحبة، وكان من المؤلفة ، ولم يصح له رواية، أسلم قبل الفتح وشهدها، وشهد حنينا والطائف ، وبعثه النبي ﷺ لبني تميم ثم كان ممن ارتد في عهد أبي بكر ومال إلى طلحة، فبايعه ثم عاد إلى الإسلام. انظر: الإصابة (٣/ ٥٥ـ٥٦).

(٢) هو الحر بن قيس بن حصن الفزاري، معدود في الصحابة . انظر: تقريب التهذيب (رقم: ١١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، رقم: ٤٦٤٢.

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم (ص ١٦٠).

وقال القاضي عياض: « وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه، وأثنى الشرع على جميعها، وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها، ... وهي المسماة بحسن الخلق وهي الاعتدال في قوى النفس وأوصافها، والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها، فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد ﷺ على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها» [١].

إلى غير ذلك مما ورد من أقوال السلف في حسن الخلق إجمالا وسيأتي مزيد تفصيل من خلال الفصول الآتية.

(١) الشفا (١/ ١٢٦).

المبحث الرابع
حفظ السلف لألسنتهم

إن أهل السنة والجماعة قد اعتنوا بهذا الجانب العظيم، وأبانوا عن منهجهم الذين يسيرون عليه، بأنهم يصونون ألسنتهم عن الطعن في المسلمين عموما إلا ما استثناه الشرع من الأمور الشرعية الذي يباح فيها الكلام حفظا للدين، ولذلك فإن ألسنتهم سلمت مما حرمه الله عليهم، وهذا المنهج هو الذي سطره الله تعالى في كتابه في آيات كثيرة، وبينه رسول الله ﷺ في سنته :

أ ـ أما من الكتاب: فآيات كثيرة جدا منها قوله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[1].

وقال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

وقال عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[3].

ب ـ ومن السنة : قول النبي ﷺ : (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرُك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان ٧١،٧٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥٨.

ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)[١]. وقال النبي ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[٢]. وقال ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[٣]. وقال ﷺ : (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : **(بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه)**[٥].

وفي وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ[٦]: **(وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم)**[٧].

ولتوضيح هذه الأحاديث يقول الإمام ابن حبان رحمه الله: "الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم، فما أكثر من ندم إذا نطق، وأقل من يندم إذا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ٢٥٨٩، من حديث أبي هريرة ﷺ .
(٢) أخرجه البخاري، رقم: ١٠، ومسلم رقم: ٦٤.
(٣) أخرجه البخاري، رقم: ٦٤٧٥، ومسلم، رقم: ٧٤، عن أبي هريرة ﷺ .
(٤) أخرجه البخاري، رقم: ٢٩٨٨، من حديث أبي هريرة ﷺ .
(٥) أخرجه مسلم ، رقم: ٢٥٦٤.
(٦) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبد الرحمن ، الصحابي المقدم في علم الحلال والحرام، أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة ، وشهد العقبة، وبدراً، والمشاهد كلها، وأردفه النبي ﷺ وراءه، وبعثه إلى اليمن يعلمهم الإسلام، ويقضي بينهم، وجعل إليه قبض الصدقات ، وذلك بعد غزوة تبوك.
وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر، واستعمله عمر ﷺ على الشام حين مات أبو عبيدة. مات بالشام سنة ١٨ هـ. انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٤٨٩)، أسد الغابة في معرفة الصحابة (٥/ ١٩٤)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٠٦).
(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٥)، والترمذي في سننه (رقم ٢٦١٦)، وابن ماجه في سننه (رقم: ٣٩٧٣)، وعبد الرزاق في المصنف (رقم: ٢٠٣٠٣)، وابن أبي شيبة في الإيمان (١، ٢)، وابن حبان في صحيحه (رقم: ٢١٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٢٠٠، ٢٩١، ٣٠٤، ٣٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٢).
والحديث قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح.

سكت، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلي بلسان مطلق وفؤاد مطبق[١].

وقال ابن رجب في شرح حديث معاذ ﷺ ـ عند قول النبي ﷺ: **(على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم)** ـ :

« والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع ، فمن زرع خيرا من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شرا من قول أو عمل غدا الندامة» [٢].

فمن خلال هذه النصوص الشرعية استنبط أهل العلم أن الواجب على العبد أن يكف لسانه ويضبطه ويحبسه، وأن ذلك هو أصل الخير كله، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه[٣].

ولهذا قال يونس بن عبيد رحمه الله[٤] : «ما رأيت أحداً لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صلاحا في سائر عمله» [٥].

وقال يحيى بن أبي كثير[٦] : «ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر

---

(١) روضة العقلاء (ص٤٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٤٧).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ١٤٦).

(٤) يونس بن عبيد بن دينار العبدي، أبو عبيد البصري، من الثقات الأثبات، مات سنة ١٣٩هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٧٩٦٧).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ١٤٩).

(٦) هو يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم، أبو نصر اليمامي، من الثقات الأثبات في الحديث مع وصفهم له بالتدليس والإرسال، مات سنة ١٣٢ هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٧٦٨٢).

عمله، ولا فسد منطق رجل قطّ إلا عرفت ذلك في سائر عمله»[(١)].

ولعل ما يأتي في المباحث القادمة يوضحه السير العملي الذي كان عليه سلف الأمة وأئمتها.

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ١٤٩).

المبحث الخامس

تحريم الظن والتجسس

إلى جانب سلامة ألسنة أهل السنة من المسلمين مما سبق بيانه، فإنهم لا يسيئون الظن بالمسلمين، ولا يحملون الكلام على أسوء محامله، ولا يتجسسون عليهم، بل يحسنون الظن بالقائل والفاعل، إلا أن يظهر ما توجبه القرينة الشرعية من الحكم المناسب له، وهم مع ذلك مشتغلون بإصلاح عيوب أنفسهم، وصرف النظر عن عيوب الناس.

وفي هذا الأصل نصوص كثيرة أكتفي هنا على ما يلي: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾[١].

وقال النبي ﷺ : (**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا**)[٢].

ففي هذه النصوص الأمر باجتناب الظن، وكذلك النهي عن التجسس ـ وهو التنقيب عن عيوب الناس ـ، وعلى هذا سار السلف رضوان الله عليهم:

١ـ قال عمر ﷺ : (**لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا، وأنت تجد لها في الخير محملا**)[٣].

٢ـ وقال عبد الله بن زيد الجرمي[٤]: «إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: ٦٠٦٤، ومسلم رقم: ٢٥٦٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في الزهد كما قال السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٦٥).

(٤) هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي، أبو قلابة البصري، من الثقات الأفاضل مع وصفه بالإرسال، مات بالشام هاربا من القضاء سنة ١٠٤هـ. انظر: تقريب التهذيب (٣٣٥٣).

العذر جهدك، فإن لم تجد له عذرا فقل في نفسك: لعل لأخي عذرا لا أعلمه»[(١)].

ويزيد ابن حبان توضيحا لمنهج السلف بقوله: «الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطّلع علي عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه، وتعب بدنه وتعذّر عليه ترك عيوب نفسه»[(٢)].

فلهذا عدّ أهل العلم التجسس من شعب النفاق، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان، فتجد العالم هو الذي يحسن الظن بإخوانه، وينفرد بغمومه وأحزانه، كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه ، ولا يفكر في جناياته وأشجانه[(٣)].

فالحاصل من هذا أن أهل السنة والجماعة يصونون ألسنتهم من الخوض في الناس، ولا يتجسسون عليهم، بل يحسنون الظن بهم، ومع ذلك فإنهم يبينون خطأ من أخطأ ، ويدافعون عن الدين ، نافين عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وفي هذا يقول ابن كثير: «والغيبة محرمة بالإجماع ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة.. وكذا ما جرى مجرى ذلك، ثم بقيتها على التحريم الشديد»[(٤)].

---

(١) انظر: حلية الأولياء (٢/ ٢٨٥).

(٢) روضة العقلاء (ص١٣١).

(٣) انظر: روضة العقلاء (ص٢٦ـ٢٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٠).

الفصل الأول

حرصهم على العدل والإنصاف

التمهيد: مقدمات في الإنصاف :

من معالم أهل السنة والجماعة أنهم يصونون ألسنتهم من الخوض فيما لا يعنيهم ، والحذر من تناول أعراض المسلمين ، وهم مع ذلك يحسنون الظن بالمسلمين، ولا يغترون بأنفسهم ، ويرون أن الواجب في الكلام في الناس إنما هو للحاجة والضرورة للحفاظ على الدين، نصحا للمسلمين.

وهذا ما سأعرض له في هذا التمهيد قبل الدخول في مسألة الحرص على الإنصاف ولو مع المخالف.

المبحث الأول

تعريف العدل والإنصاف

قبل أن أتكلم عن معاني هذه الألفاظ ينبغي التنبه أن السلف لما قرروا أهمية العدل مع المخالف من أهل السنة ومن غيرهم، ليس هو من باب التنازل عن أمور الدين والمعتقد، وليس فيه التساهل بأمر البدع، وإقرارهم عليها، وإنما المقصود أن يعطى هذا الباب قدره، ولا يتجاوز، ولذلك فإن أهل السنة والجماعة يحذرون من التعدي ولو كان على مخالف للحق، استنادا إلى قول الله جل وعلا: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1].

المطلب الأول: تعريف العدل والإنصاف في اللغة.

أولا: تعريف العدل في اللغة.

العدل: ضد الجور.

يقال: عدل الحاكم في الحكم يعدِل عدلاً وهو عادل، والعدل: الحكم بالحق[2].

ثانيا: تعريف الإنصاف في اللغة، الإنصاف : العدل، وإعطاء الحق، يقال: أنصف الرجل صاحبه إنصافا.

وقيل: أنصف إذا أخذ الحق وأعطى الحق.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨.

(٢) انظر: الصحاح (٥/ ١٧٦٠)، لسان العرب (١١/ ٤٣٠)، القاموس المحيط (ص١٣٣١-١٣٣٢).

ويقال أيضا: أنصف الرجلُ أي عدل[١].

فالإنصاف إذا لا يخرج عن معنى العدل.

المطلب الثاني: العدل في القرآن الكريم والسنة، ذكرت مادة ـ العدل ومشتقاتها وما في معناها ـ في القرآن الكريم ما يقرب من ثلاثين موضعا، وهذا يدل على عناية الله جل جلاله بالعدل، وهو شامل لجميع شؤون الحياة في الإسلام[٢].

وعلى سبيل التفصيل ترد هذه الكلمة في مقامات عدة:

١ـ بيان عدل الله تعالى: قال جل وعلا: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾الآية[٣].

٢ـ أمر الرسول ﷺ بالعدل. قال جل وعلا: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[٤].

وقال عز وجل: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[٥].

٣ـ الأمر بالعدل عموما، وفي الكلام والمنطق: قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ

(١) انظر: لسان العرب (٩/ ٣٣٢)، القاموس المحيط (ص١١٠٧).

(٢) انظر: أخلاق القرآن لأحمد عبده (١/ ٢٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية .

(٤) سورة الشورى، الآية ١٥.

(٥) سورة المائدة ، الآية ٤٢.

إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ الآية[١].

وقال عز من قائل: ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾[٢].

٤ـ الأمر بالعدل في المعاملات: قال الله تعالى: ﴿ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾[٣].

٥ـ الأمر بالعدل في شهادة القضاء: قال عز وجل: ﴿ فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ الآية[٤].

٦ـ الأمر بالعدل للإصلاح بين الناس: قال الله تعالى: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴿٩﴾ ﴾[٥].

٧ـ العدل بين الأزواج: قال تعالى: ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ الآية[٦].

ومن أجمع الآيات الواردة في الباب: قال جل وعلا: ﴿ ۞ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر

---

(١) سورة النساء، الآية ١٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

(٤) سورة الطلاق، الآية ٢.

(٥) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٦) سورة النساء، الآية ٣.

وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[١].

قال ابن العربي: إنها تتضمن العدل بين العبد وربه، والعدل مع نفسه، وولده، والعدل بينه وبين الخلق في بذل النصيحة والمودّة، وترك الخيانة، ومع الإنصاف في كل الأمور مع كل الناس، وتحمل ما يصيبه من الناس من الأذى والبلوى، مع كف العدوان والأذى منه عن الناس[٢]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وأما في السنة فقد جاء ما يشهد لما ورد في القرآن الكريم:

١ـ قال النبي ﷺ : (**سبعة يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله**)، فذكر الإمام العادل[٣].

٢ـ وقال النبي ﷺ : (**وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا، وإن قال بغيره فإن عليه منه**)[٤].

٣ـ وعن عامر ، قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول: (**أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ ، فأتى رسول الله ﷺ فقال له: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. فرجع فرد عطيته**)[٥].

وهذا في السنة كثير.

(١) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٢) أحكام القرآن (٢/ ١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري، رقم: ٦٦٠، ومسلم (٢/ ٩١)، رقم: ١٠٣١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب ، باب، رقم: ٢٧٩٧.

(٥) أخرجه البخاري، رقم: ٢٤٤٧.

المطلب الثالث: بيان أن أهل السنة والجماعة هم أهل الإنصاف والعدل:

قال الله جل وعلا: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝ ﴾ [١].

وقال جل وعلا: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ الآية[٢].

فالمسلمون هم أهل الميزان الذي تنضبط به العدالة ويتحقق الإنصاف الذي تقوم عليه أمور الناس في الدنيا.

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولما كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل كان كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل، لا بالظن وما تهوى الأنفس»[٣].

ومما ورد في هذا الباب عن السلف فإنه كثير. فعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قام خطيبا فقال: « ألا وإني والله ما أرسل عمالي إليكم إلا ليعلموكم دينكم وسننكم لا ليأخذوا أموالكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليّ، فو الذي نفسي بيده إذن لأقضينه...»[٤].

وعن علي ﷺ في وصيته للأشتر وقد ولاه مصر: « أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومن لك هوى فيه من رعيتك، فإنك إن لا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله

(١) سورة الرحمن، الآية ٩.

(٢) سورة الحديد ، الآية ٢٥.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٢٢).

(٤) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي (ص١٣٤)، وانظر: (ص١١٧، ١٢٠، ١٣٨).

أدحض حجته، ... وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية»(١).

وعن عمر بن عبد العزيز يوصي بعض عماله: « انظر من قامت عليه بينة عدول، فخذه بما قامت عليه به البينة»(٢).

---

(١) انظر: أخلاق القرآن (١/ ٣٣).

(٢) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص١٠٣)، وانظر: (١٢٦، ٩٠، ٩٦، ٩٨).

المبحث الثاني

العدل والإنصاف فيما بين أهل السنة والجماعة

من خلال نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الباب استمد أهل السنة والجماعة منهجهم في التعامل مع المخالف من أهل السنة، وحاصله أنهم يعتمدون في دينهم على الكتاب والسنة على ما فهمه سلف الأمة، وما يرجع إليهما ، وإن وقع آحاد أهل العلم ـ ممن عرف تحريه للحق والدعوة إليه ـ في خطأ، فإنهم لا يسقطونه، بل يحفظون له ما له من الخير، ولا يقتدون به في خطئه ، ويرجون له التوبة من ذلك.

ومن أجل هذا فليس كل اختلاف وقع يعد مذموما فمنه المذموم ومنه ما ليس كذلك.

قال شيخ الإسلام موضحا هذه الحقيقة: «الأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع هي بمنزلة الدين المشترك بين الأنبياء، ليس لأحد الخروج عنها، ومن دخل فيها كان من أهل الإسلام المحض، وهم أهل السنة والجماعة، وما تنوعوا فيه من الأعمال والأقوال المشروعة فهو بمنزلة ما تنوعت فيه الأنبياء»[(١)].

المطلب الأول: الاختلاف عند السلف: اعلم أن الاختلاف عند أهل العلم نوعان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

أما اختلاف التنوع، فهو ما أشار إليه الشافعي رحمه الله: «ما كان من ذلك يحتمل التأويل ويدرك قياساً ، فذهب المتأول أو القائس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس وإن خالفه غيره»[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ١١٧).

(٢) الرسالة (ص٥٦٠).

ومن ذلك كون كل من القولين هو في معنى الآخر لكنّ العبارة اختلفت واتحد المعنى، فإنهما لا يتنافيان.

والفاصل بين الاختلاف المذموم وغيره، أن ما أدى إلى تفرق أو تقاطع أو تباغض أو حمل على تكفير أو سب أو لعن فهو من الاختلاف المذموم[(١)].

قال الشاطبي: "كل مسألة حدثت في الإسلام واختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ، ولا فرقة، علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء"[(٢)].

ولذلك كان ما جرى بين أهل السنة غالبا من اختلاف التنوع، وهو الاختلاف الاعتباري واللفظي، الذي أمره قريب، وهو الغالب على الخلاف في المسائل الخبرية[(٣)].

وأما اختلاف التضاد فهو القولان المتنافيان، ومن ذلك :

ـ أن يوجب أحدهما شيئا ويحرمه الآخر.

ـ الخلاف مع أهل البدع في مسائل أصول الدين.

ـ الخلاف في مسألة أقام الله لها الحجة في كتابه، أو على لسان نبيه، نصا بينا لا

---

(١) انظر: الإبانة لابن بطة (١/ ٥٥ـ٥٦١)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/ ١٩، ١٥٩/ ١٢٢)، اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٢٧ـ١٣٦، ١٢٩).

(٢) الاعتصام (٢/ ٢٣٢).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٥٨).

يحتمل الاجتهاد أو التأويل[١].

المطلب الثاني: ترك التبديع والتضليل في دقائق المسائل وآحادها أخطأ فيها العالم: إن أهل السنة يرون أن خطأ العالم في دقائق المسائل وآحادها لا يلزم منه التبديع والتضليل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المجال: "ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة، وإن كان ذلك في المسائل العلمية، ولولا ذلك لهلك أكبر فضلاء هذه الأمة، وإذا كان الله يغفر لمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل، مع كونه لم يطلب العلم، فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه، ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه هو أحق أن يتقبل الله حسناته، ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤاخذه بما أخطأ"[٢].

وقال الذهبي في هذا المجال: "ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفور له قمنا عليه، وبدعناه وهجرناه، لما سلم معنا ابن نصر، ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو الهادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفضاضة"[٣].

ويشير أيضا إلى هذا المنهج عند الكلام على ابن خزيمة فذكر كتابه التوحيد مع تأويل حديث الصورة، ثم قال: "ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله

---

(١) انظر: الرسالة للشافعي (ص٥٦٠)، منهاج السنة (٦/ ١٢١)، اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٣٤)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٧٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠/ ١٦٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠).

الجميع بمنه وكرمه[١].

وهكذا فإن السلف كانوا يعذرون من خفيت عليه المسألة الدقيقة، وكان في اجتهاده قاصدا الحق وأخطأ فيه، أما من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافا لا يعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢].

ويقول ابن القيم رحمه الله: "ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح، وآثار حسنة ، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور ، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين"[٣].

ويقول أيضا: « فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها» [٤].

ويقول أيضا : «من قواعد الشرع والحكمة أيضا أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر ، فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره» [٥].

وقال الذهبي ـ ملتمسا العذر لقتادة رحمه الله في مسألة خالف فيها ـ: «لعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر

(١) السير (١٤/ ٣٧٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤/ ١٧٢ـ١٧٣).

(٣) إعلام الموقعين (٣/ ٢٨٣).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٩).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ١٧٦).

صوابه ، وعلم تحريه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له الله ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته، وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك» (١).

ومما ينبغي أن يشار إليه هنا ما ألف فيه شيخ الإسلام ابن تيمية فيما تعلق بهذه المسألة، وكتابه المشهور في ذلك، وهو : رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

المطلب الثالث: إعذار السلف لمن لم تبلغه الحجة: كما أن أهل السنة لا يضللون من يخطئ في المسائل الدقيقة مما وقع فيه أهل العلم الكبار، فكذلك من لم تبلغه الحجة فإنهم يعذرونه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمام قديم فاغتفرت لعدم بلوغ الحجة له، فلا يغتفر لمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول، فلهذا يبدع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك، ولا تبدع عائشة ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم فهذا أصل عظيم فتدبره فإنه نافع» (٢).

ويقول أيضا: «وليس كل مخالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا، فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً، يغفر الله له خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته» (٣).

وقال أيضا: «فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالا من هذا الرجل ـ يعني الرجل الذي ذكره النبي ﷺ أنه أسرف على نفسه ثم أوصى ببنيه ...الحديث(٤) ـ فيغفر الله

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧١).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٦١).

(٣) انظر: العقود الدرية (ص٢٣٠).

(٤) انظر: صحيح البخاري، الرقاق، باب الخوف من الله، (١١/ ٣١٢)، رقم: ٦٤٨١، وصحيح مسلم ، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، (٤/ ٢١١٠)، رقم: ٢٧٥٦.

له خطأه»[١].

ويقول أيضا: «وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[٢]»[٣].

المطلب الرابع: الاعتذار للمخطئ المجتهد لا يمنع من بيان الحق: من منهج أهل السنة والجماعة أن الاعتذار للعالم الذي أخطأ في مسألة من المسائل، لا يمنع من بيان الحق في القضية نفسها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإن كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه وهو مأجور على اجتهاده، فبيان القول والعمل الذي دل عليه الكتاب والسنة واجب ، وإن كان في ذلك مخالفة لقوله وعمله»[٤].

ويقول أيضا: «لا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم إلى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه ما يدفع به هذه الحجة، وإن كان أعلم، إذ تطرق الخطأ إلى آراء العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة الشرعية، فإن الأدلة الشرعية حجة الله على جميع عباده، بخلاف رأي العالم، والدليل الشرعي يمتنع أن يكون خطأ إذا لم يعارضه دليل آخر، ورأي العالم ليس كذلك... لكن الغرض أنه في نفسه يكون معذورا في تركه له، ونحن معذورون في تركنا لهذا الترك»[٥].

---

(١) الاستقامة (١/ ١٦٤).

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٣) معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول ﷺ (ص٢٤).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ٢٣٤).

(٥) رفع الملام عن الأئمة الأعلام (ص١٢).

المبحث الثالث

العدل والإنصاف مع المخالفين

مما لا شك فيه أن من ركائز عقيدة المؤمن الولاء والبراء، وهي متضمنة للبراءة من الكفار، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾[١].

ومع هذا الاعتقاد أمر الله تعالى بإنصاف الناس وإقامة العدل بينهم ولو كانوا كفارا، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾[٢].

وقد ذكر ابن جرير أن هذه الآية نزلت في اليهود حينما ذهب الرسول ﷺ إليهم ليستعينهم في دية..، فهموا أن يقتلوه فنزلت هذه الآية[٣].

وقال الشيخ السعدي:«بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، فلو كان كافرا أو مبتدعا فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق»[٤].

كما أن في السنة المطهرة ما يجد القارئ من حرص النبي ﷺ على العدل ولو مع الكفار، فإن النبي ﷺ أمر بإنصاف أهل الذمة والمستأمنين ونهى عن ظلمهم، كما في الحديث الصحيح : (من قتل معاهدا لم يرَح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥١.

(٢) سورة المائدة، الآية ٨.

(٣) انظر: جامع البيان ـ تحقيق أحمد شاكر ـ (١٠/ ٩٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٥٩).

مسيرة أربعين عاما)[١].

ويجد القارئ أيضا في حرص الصحابة على هذا الأمر ما يفوق وصفه، فقد روى البخاري عن عمر ﷺ أنه أوصى بأهل الذمة فقال: (أوصيكم بذمة الله، فإنها ذمة نبيكم ورزق عيالكم)[٢].

وكذلك ما جاء في عهد التابعين ومن بعدهم فهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى جاء عنه ما يشهد لعدله حتى مع الكفار، والنصارى.

وذلك أن النصارى في أيام عمر بن عبد العزيز طلبوا منه أن يعقد لهم مجلسا في شأن مكان أخذه منهم الوليد بن عبد الملك، وكان عمر عادلا، فأراد أن يرد عليهم ما كان أخذه منهم الوليد فأدخله في الجامع، ثم لما نظر عمر في القضية وجد أن الكنائس التي خارج البلد لم تدخل في الصلح الذي كتبه لهم الصحابة فخيرهم عمر بين رد ما سألوه وتخريب هذه الكنائس كلها، أو تبقى تلك الكنائس ويطيبوا نفسا للمسلمين بهذه البقعة، فاتفقوا على بقاء الكنائس فكتب لهم أمان بها[٣].

إلى غير ذلك من الآثار.

فإذا كان أهل السنة ينصفون الكفار ، فأهل البدع من باب أولى، فلا يحمل بغضهم إياهم على ألا يعدلوا[٤].

وفي مواقف السلف في هذا الباب عبرة وميزان لما يجب أن يتعامل به أهل البدع، ومن وجوه العدل معهم:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩)، رقم: ٣١٦٦.

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٧)، رقم: ٣١٦٢.

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ١٦٩-١٧٠).

(٤) انظر: الاستقامة (١/ ٣٨).

١ـ أهل البدع غير المكفرة خير من اليهود والنصارى: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل من كان مؤمنا بما جاء به محمد ﷺ فهو خير من كل من كفر به ، وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة، سواء كانت بدعة الخوارج والشيعة والمرجئة القدرية أو غيرهم، فإن اليهود والنصارى كفار كفرا معلوما بالاضطرار من دين الإسلام، والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق للرسول ﷺ لا مخالف له لم يكن كافرا به، ولو قدر أنه يكفر فليس كفره مثل كفر من كذب الرسول ﷺ» (١).

ولا يعني هذا الاستهانة بخطورة البدعة وأهلها، فلا شك عند كل عاقل أن البدعة قد تكون أخطر على المسلمين من تأثير اليهود والنصارى، لأن هؤلاء كفرهم واضح جلي للناس، وأما البدعة فأمرها خفي لا يعلمه كثير من الناس، ولهذا جاء تحذير السلف من البدع أشد التحذير.

٢ـ الإقرار بوجود الإيمان والتقوى عند أهل البدع مع ظلمهم وجهلهم: وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطن وظاهر، لكن فيه جهلا وظلاما حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق، ثم قد يكون فيه عدوان وظلم يكون به فاسقا أو عاصيا، وقد يكون مخطئا متأولا مغفورا له خطؤه، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه ولاية من الله بقدر إيمانه وتقواه» (٢).

٣ـ الحكم على من خالف السنة بالعدل: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في الحكم على التصوف الذي كان في عهد الفضلاء ـ : «فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ، وطائفة غلت فيه وادّعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٥/ ٢٠١).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٥٣ـ٣٥٤).

وكلا طرفي هذا الأمر ذميم ، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج»[١].

٤ــ الحكم بالعدل على أهل البدع ولو كان تعدوا على أهل السنة.

ومن هذا ما وقع لشيخ الإسلام ابن تيمية مع من خالفه من تكفيره وتفسيقه وافتراء عليه، وفي مثل هذا يرسم لنا شيخ الإسلام ابن تيمية منهج السلف ، حيث يقول: «هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني ، فإنه وإن تعدى حدود الله فيَّ بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعدى حدود الله فيه بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتما بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكما فيما اختلفوا فيه».

ثم قال: «وذلك أنك ما جازيت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه»[٢].

إلى جانب هذا فإن أهل السنة لم يجعلوا أهل البدع ـ ممن لم يحكم عليه بالكفر ـ على مرتبة واحدة، بل بعضها خير من بعض، فتجد الزيدية[٣] مثلا خير من

(١) المصدر السابق (١١/ ٥).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٢٤٥ـ٢٤٦).

(٣) فرقة من فرق الشيعة ، سموا بذلك نسبة إلى زيد بن علي بن أبي طالب ، ذكر شيخ الإسلام أنه كان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم ، وكانت الشيعة تنتحله، ومن زمنه افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر ترحم عليهما وأثنى عليهما، فرفضه قوم من الشيعة ، فقال لهم: رفضتموني لرفضهم إياه ، وسموا من لم يرفضه من الشيعة زيدية نسبة إليه. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٦)، الملل والنحل (١/ ١٥٤)، منهاج السنة (١/ ٣٤ـ٣٥).

الرافضة، والمعتزلة أفضل منهم، فالسلف يستعملون معهم العدل والإنصاف، ولا يظلمونهم، ويرون أن لكل قوم منهم حكم ومنزلة تقتضيها حالتهم بحسب قربهم وبعدهم من السنة[(١)].

ومن هذا الباب أيضا ما يقع فيه كثير من أهل العلم ممن تلبس ببدعة، وكان لهم جهود في الرد على أهل البدع الأخرى.

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يعتذر لأبي ذر الهروي الذي أدخل علم الكلام إلى أهل المغرب، وأيضا يتلمس ذلك لأبي الوليد الباجي ومن كان على شاكلته يقول شيخ الإسلام: "ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل، وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها"[(٢)].

ويؤكد ابن القيم هذا الأمر بقوله: "وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس:

إحداهما: حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم، فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار، وأساءوا الظن بهم مطلقا، وهذا عدوان وإسراف، فلو كان من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات.

---

(١) انظر: منهاج السنة (٥/ ١٥٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٠٢).

والطائفة الأخرى: حجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم، وصحة عزائمهم، وحسن معاملتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم ونقصانها، فسحبوا عليها ذيل المحاسن، وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها، هؤلاء أيضا معتدون مفرطون.

ثم لما بين خطأ الطائفتين أبان عن منهج أهل الحق الذي يجب السير عليه بقوله: والطائفة الثالثة: « وهم أهل العدل والإنصاف الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزل منزلته، فلم يحكموا للصحيح حكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح، بل قبلوا ما يقبل وردوا ما يرد» [(١)].

ومن ذلك أيضا ما سطره الذهبي في هذا الباب: «من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال، وشيخ الجرح والتعديل[(٢)]، حيث ذكر في ترجمة الضال عمرو بن عبيد[(٣)] شيخ المعتزلة، فنقل كلام يحيى بن معين[(٤)] فيه، وقوله بأن عمراً كان من الدهرية، عقب على ذلك الذهبي فقال: لُعن الله الدهرية[(٥)] فإنهم كفار، وما كان عمرو هكذا» [(٦)].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٩ـ٤٠).

(٢) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٦/ ١٠١)، فتح المغيث للسخاوي (ص٤٨٢).

(٣) هو عمرو بن عبيد بن باب المعتزلي البصري القدري، جالس الإمام الحسن البصري، وحفظ عنه، ثم اعتزل أصحاب الحسن، مات سنة ١٤٤ هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٦)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٤).

(٤) هو يحيى بن معين بن عون الغطفاي مولاهم، أبو زكريا، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل ، مات سنة ٢٣٣هـ. انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٤١٠)، الأعلام (٨/ ١٧٢).

(٥) الدهرية: طائفة كافرة ملحدة نفوا ربوبية الله عز وجل، ونفوا أن يكون في العالم دليل يدل على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق، وأسندوا الحوادث إلى الدهر، وأنكروا القيامة والبعث، وغير ذلك. انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٤٧)، البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي (ص٨٨)، بغية المرتاد (ص٤٣٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٤).

المبحث الرابع

نماذج من ضوابط أهل السنة والجماعة في الإنصاف

من خلال المواقف التي ذكرتها لأهل العلم فيما مضى يظهر للمتتبع لها أن أهل السنة والجماعة وضعوا ضوابط منهجية مهمة في المسائل المتعلقة بالتبديع والتفسيق والتكفير، وهذا ما سأتعرض له فيما يأتي.

المطلب الأول: الحكم بالتكفير والتفسيق والتبديع لا يكون إلا ببرهان واضح.

من المعلوم عن السلف أن التكفير والتفسيق والتبديع حكم شرعي لا يكون إلا ببينة واضحة نيرة، ولا يخوض في ذلك إلا من علم أحكام الشرع في هذا الباب، وعرف أحوال الناس، وواقعهم.

ولخطورة هذا الأمر نجد التوجيه النبوي قد سد هذه الثغرة بالوعيد الشديد على المجازف بالتكفير وغيره بلا برهان، الذي جاء في أحاديث كثيرة، ومن ذلك قوله ﷺ : (**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما**)[1].

وقال ﷺ : (**من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه**)[2].

وفي هذه النصوص وعيد شديد على من يقدم على هذا الأمر بلا بينة ولا دليل[3].

وفي نحو هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس لأحد أن يكفر أحداً من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم: ٦١٠٣، ومسلم في الإيمان ، باب حال من قال لأخيه المسلم : يا كافر.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر .

(٣) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٦٦).

المسلمين، وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك»[١].

وقال أيضا: «لكن المقصود هنا أنه لا يجعل أحد بمجرد ذنب يذنبه، ولا ببدعة ابتدعها، ولو دعا الناس إليها، كافرا في الباطن إلا إذا كان منافقا، فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وبما جاء به، وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع فهذا ليس بكافر أصلا، والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالا للأمة وتكفيرا لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين»[٢].

فبمجرد الوقوع في البدعة أو الكفر بلا إقامة الحجة، لا يجعل الرجل الواقع فيها مبتدعا أو كافرا .

ولهذا وضع أهل السنة شروطاً وموانعَ مهمة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام حيث قرر أن الوعيد المطلق في الكتاب والسنة، مشروط بثبوت شروط وانتفاء موانع[٣]، وهي تتلخص فيما يلي :

شروط التكفير:

١ـ أن يكون صريح قوله الكفر، أو لازم قوله وعُرض عليه فالتزمه، أما إذا لم يلتزمه وأنكره فلا يحكمه عليه بذلك.

٢ـ أن يكون صدور القول أو الفعل المكفّر عن اختيار وإرادة.

٣ـ أن تقام عليه الحجة، ويتبينها، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٤٦٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٢١٧ـ٢١٨).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٣٣٠).

رَسُولاً ﴿١٥﴾﴾[١].

وأما موانع التكفير فهي:

١ـ أن يكون حديث عهد بالإسلام.

٢ـ أن يكون قد نشأ ببادية بعيدة، أو أنه لم يجد إلا علماء الابتداع فاقتدى بهم.

٣ـ أن يكون مغيّب العقل بجنون أو اختلال ونحوه.

٤ـ أن لا تبلغه نصوص الكتاب والسنة.

٥ـ أن تبلغه النصوص وثبتت عنده وفهمها ، ولكن قام عنده معارض أوجب تأويلها[٢].

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية زيادة في التحذير من هذا الأمر العظيم جعل تكفير المسلمين من البدع المنكرة، يقول رحمه الله: « ومن البدع المنكرة تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم» [٣].

المطلب الثاني: ليس كل من وقع في الكفر يحكم على صاحبه بذلك.

الذي عليه أهل السنة والجماعة أنه ليس كل من وقع في الكفر يحكم عليه بذلك في نفس الأمر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن المقالة تكون كفرا كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب، وكذا لا يكفر به جاحده، كمن هو حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٢) انظر للشروط والموانع: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٧٩، ٢٣١، ٧/ ٢١٧ـ٢٨١، ٢٣/ ٣٤٥ـ٣٤٦، ١٢/ ٥٠١).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٦٨٤).

شرائع الإسلام»[(١)].

وكذلك مما ينبغي التنبه له التفريق بين الحكم المطلق والحكم المعين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولكن لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة به، وكذا التكفير المطلق، والوعيد المطلق»[(٢)].

وقال أيضا: «القول قد يكون كفرا كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن الله لا يتكلم، ولا يرى في الآخرة، ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كافر، فيطلق القول بتكفير القائل كما قال السلف: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر، ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة»[(٣)].

ولهذا فقد ذكر السلف أروع الأمثلة في هذا الباب؛

فإن الإمام أحمد رحمه الله كان قد امتحن بمسألة خلق القرآن، وسجن وعذب لم يكفر الخليفة المأمون أو المعتصم[(٤)]، بل استغفر لهم وحللهم، ولو كانوا كافرين، أو مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم[(٥)].

المطلب الثالث: البدع متفاوتة فيما بينها: مما أصله أهل السنة في هذا الباب أن البدعة متفاوتة فيما بينها، وبعضها أشد عقابا من بعض باعتبار التفاوت بينها، قال

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٥٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٦١٩).

(٤) هو الخليفة محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، أبو إسحاق، بويع بعهد من المأمون، وكان ممن امتحن الناس بخلق القرآن، مات سنة ٢٢٧ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٢)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩٠)، العبر (١/ ٤٠٠).

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢/ ٤٨٧-٤٨٨).

الشاطبي: «كل بدعة كبيرة عظيمة بالإضافة إلى مجاوزة حدود الله بالتشريع، إلا أنها وإن عظمت لما ذكرناه إذا نسب بعضها إلى بعض تفاوتت رتبها، فيكون منها صغار وكبار، إما باعتبار أن بعضها أشد عقابا من بعض، فالأشد عقابا أكبر مما دونه، وإما باعتبار فوت المطلوب في المفسدة»[١].

ويقرر ذلك شيخ الإسلام بقوله: «إن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات، فمنهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون قد خالف السنة في أمور دقيقة..»[٢].

كما أن من البدع ما هو مكفر وما هو غير مكفر، كما فصله أهل العلم، قال الشيخ حافظ الحكمي: «ضابط البدعة المكفرة : من أنكر أمرا مجمعا عليه متواترا من الشرع ، معلوما من الدين بالضرورة من جحود مفروض ، أو فرض ما لم يفرض، أو تحليل محرم، أو تحريم حللا، أو اعتقاده ما ينزه الله ورسوله وكتابه عنه من نفي أو إثبات، لأن ذلك تكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسوله ﷺ »[٣].

إلى جانب هذا فإن السلف رحمهم الله مع جعلهم لكثير من الضوابط في هذا الباب ، ذكروا قيودا كثيرة من حيث العموم للحكم على المسلم بالتبديع أو التفسيق أو غيره، فمن ذلك :

١ـ التجرد وتحري القصد عند الكلام على المخالفين.

٢ـ أن يكون عالما بأحكام الجرح والتعديل وموجب ذلك.

---

(١) الاعتصام (١/ ٦١).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٤٨).

(٣) معارج القبول (٢/ ٦١٦ـ٦١٧). وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٥٠ـ٣٥٣)، حقيقة البدعة للغامدي (٢/ ٨١٩).

٣ـ التثبت والتبين قبل إصدار الأحكام.

٤ـ حمل الكلام على أحسن محامله ما وجد إلى ذلك سبيلا.

٥ـ كلام الأقران يطوى ولا يروى إذا لاح منه المنافسة أو التعصب أو غير ذلك.

ومن ذلك ما ذكره الذهبي رحمه الله: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت عصرا من العصور سلم منه أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس»[(١)].

ومع كل هذا فإن السلف رضوان الله عليهم من أحرص الناس على تغيير البدعة، وما قرروه في هذه المباحث ليست إقرارا للبدعة ولأهلها، بل يرون ذم البدعة ، وذم من يقوم بها، إلا أنهم ينزلون الناس منازلهم، ولا يتعدون في الحكم على غيرهم، بل يحكمون بما أمرهم الله به مقتدين بقوله جل وعلا: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[(٢)(٣)].

---

(١) ميزان الاعتدال (١/ ١١١).

(٢) سورة المائدة، الآية ٨.

(٣) انظر: إنصاف أهل السنة لمحمد العلي (ص١٥١ـ١٧٨).

الفصل الثاني

أرحم الناس للناس وأحسن الناس أخلاقا

المبحث الأول: تعريف الرحمة.

المطلب الأول: تعريف الرحمة لغة: الرحمة: أصلها من رحم، وهي مادة تدور على معنى الرقة والعطف والرأفة، يقال: رحمه يرحمه إذا رقّ له وتعطف عليه[١].

وقال الجوهري: الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله[٢].

وتطلق الرحمة أيضا على المغفرة[٣].

المطلب الثاني: تعريف الرحمة اصطلاحا. الرحمة : هي إرادة إيصال الخير[٤]، وقال الكفوي: الرحمة حالة وجدانية تعرض غالبا لمن به رقة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان[٥].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٨).

(٢) الصحاح (٥/ ١٩٢٩).

(٣) انظر: القموس المحيط (٤/ ١١٨)، لسان العرب (١٢/ ٢٣٠).

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (ص١١٠).

(٥) الكليات (٢/ ٣٧٦).

المبحث الثاني

النصوص الواردة في الرحمة

جاء مصطلح الرحمة في نصوص الكتاب والسنة على مختلف معانيه وهي ترجع إلى المعنى اللغوي، وتقاربه، وفيما يلي عرض لبعضها.

المطلب الأول: مصطلح الرحمة في القرآن الكريم للرحمة في القرآن الكريم معان عدة أوجز القول فيها في الآتي:

- أولا: تأتي بمعنى الرزق. قال الله تعالى: ﴿ لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ ﴾ الآية[(١)].

- ثانيا: تأتي بمعنى العافيــة من الابتلاء. قال الله جل وعلا: ﴿ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ﴾ الآية[(٢)].

- ثالثا: تأتي بمعنى النجاة من عذاب النار. قال عز وجل: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾[(٣)].

- رابعا: تأتي بمعنى الألفة والمحبة. قال جل وعلا: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ الآية[(٤)].

إلى غير ذلك من المعاني.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٠٠.

(٢) سورة الزمر، الآية ٣٨.

(٣) سورة النور، الآية ١٠.

(٤) سورة الحديد، الآية ٢٧.

المطلب الثاني: الآيات الواردة في الحث على الرحمة: وهذا المطلب كالمتمم للـذي قبلـه، وإنما فصلته لما فيه من الفضل، وما يتعلق بالرحمة من مسائل.

قال جل وعلا: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]. وقال عز وجل: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[2]. وقال عز من قائل: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[5]. وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[8]. وقال: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[9]. وقال جل وعلا: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ

---

(١) سورة البقرة، الآية ٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٤٧.

(٤) سورة الكهف، الآية ٥٨.

(٥) سورة النور، الآية ١٤.

(٦) سورة النور، الآية ٥٦.

(٧) سورة آل عمران، الآية ٧٤.

(٨) سورة المؤمنون، الآية ١١٨.

(٩) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[(١)].

وقد وصف بخلق الرحمة النبي ﷺ فقال جل من قائل: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[(٢)]. وقال جل وعلا: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[(٣)].

المطلب الثاني: الأحاديث الواردة في الرحمة: كما أنه قد جاء في السنة المطهرة ما يشهد لما عليه أهل السنة والجماعة من الرحمة بالخلق، فهم بحق أعلم الناس بالحق، وأرحمهم بالخلق، وفي هذا الباب أحاديث كثيرة أقتصر فيها على ما يأتي:

- فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما : (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما**)[(٤)].

- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (**قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: أترون هذه طارحة ولدها في النار قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها**)[(٥)].

- وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لما خلق الله الخلق كتب**

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٣) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، رقم: ٦٠٠٣.

(٥) أخرجه البخاري رقم: ٥٩٩٩، ومسلم (٤/ ٢١٠٩)، رقم: ٢٧٥٤.

في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي)[١].

- وعن سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ : (إن لله مائة رحمة ، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة)[٢].

- وعن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)[٣].

- وعن عبدالله بن مسعود قال: (كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[٤].

- و عن جرير بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)[٥]. إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم: ٧٤٠٤، ومسلم (٤/٢١٠٧)، رقم: ٢٧٥١.

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢١٠٨)، رقم: ٢٧٥٣.

(٣) أخرجه البخاري، رقم: ٦٠٠٠، ومسلم ، في كتاب (٤/٢١٠٨)، رقم: ٢٧٥٢.

(٤) أخرجه البخاري، رقم: ٣٤٧٧، ومسلم ، رقم: ١٧٩٢.

(٥) أخرجه البخاري، في كتاب، باب، رقم: ٧٣٧٦، ومسلم، رقم: ٢٣١٩.

المبحث الثالث

المنهج النبوي في رحمته بالناس

وكذلك جاءت السنة لتعطي نماذج تربوية حية يستنير بها صحابة النبي ﷺ في حياتهم العلمية، ومن هذه الحوادث :

ـ فعن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه)[١].

ـ وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)[٢].

ـ ومن هذا ما نبه النبي ﷺ صحابته حيث قال: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب ، رقم: ٧٠٧، ومسلم ، رقم: ٤٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب، باب، رقم: ٣٢٣١، ومسلم رقم: ١٧٩٥.

(٣) هذا لفظ مسلم ، في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، (٤/ ١٩٨٦)، رقم: ٢٥٦٤.

المبحث الرابع
صور من رحمة السلف بالناس

لقد أخذ الصحابة ومن بعدهم بالمنهج الرباني الذي سطره النبي ﷺ ، ورسمه لهم، فكانوا أحرص الناس على الخير، وأرحمهم بالخلق.

وفيما سطره السلف في سيرهم عبرة وعظات، ومن هذا:

فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : (خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارا والله ما ينضجون كراعا ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم، فوقف معها عمر ولم يمض ثم قال: **مرحبا بنسب قريب ثم انصرف إلى بعير ظهير** كان مربوطا في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وحمل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها بخطامه ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير ، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها قال عمر: **ثكلتك أمك والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه)**[1].

وعن عدي بن أرطاة أنه: كتب إلى عمر بن عبد العزيز يستأذن في ضرب المسجونين لاستخلاص الحق منهم، فكتب إليه عمر: **أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر، كأني لك جنّة من عذاب الله، وكأنّ رضائي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل**[2].

وعن الحسن البصري أنه كان إذا اشترى شيئا وكان في ثمنه كسر جبره

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، باب، رقم: ٤١٦٠.

(٢) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز (ص١٠٣).

لصاحبه[١].

وقال فرقد السبخي: لم يكن أصحاب نبي قط فيما خلا من الدنيا أفضل من أصحاب محمد لا أشجع لقاء، ولا أسمح أكفا[٢].

ومن أقوال السلف في شرح هذه الأحاديث، قول المهلب: الرحمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التبعات بينهم[٣].

وذكر ابن القيم أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك[٤].

ويتلخص هذا فيما ذكره الله عز وجل عن الصحابة رضوان الله عليهم حيث قال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾[٥]، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله صورا من الرحمة، ومن أفضلها الرحمة المقارنة للهدى في حق المؤمنين، فبين رحمه الله أنها رحمة عاجلة وآجلة إلى يوم الجزاء.

فأما العاجلة فما يعطيهم الله في الدنيا من محبة الخير والبر وذوق طعم الإيمان ، ووجدان حلاوته، والفرح والسرور والأمن والعافية، قال تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[٦].

(١) انظر: المنتقى من مكارم الأخلاق (١٣٣).

(٢) المرجع السابق (١٣٢).

(٣) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٥٥،٤٤٧).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٢).

(٥) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٦) سورة يونس، الآية ٥٨.

وهذه الرحمة التي تحصل للمهتدين تكون بحسب هداهم ، فكلما كان نصيب الواحد من الهدى أتم كان حظه من الرحمة أوفر، فتجد الصحابة كانوا أرحم الأمة ، كما قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[(١)]، والصديق أرحم الأمة بالأمة، فقد جمع الله له بين سعة العلم وسعة الرحمة، وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته، وقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلما، فوسعت رحمته كل شيء، فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه[(٢)].

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٢_١٧٥).

الفصل الثالث

حرصهم على الزهد وكثرة العبادة وملازمة الطاعة

المبحث الأول: تعريف الزهد.

المطلب الأول: تعريف الزهد في اللغة :قال ابن فارس: الزاء والهاء والدال أصل يدل على قلة الشيء.

والزهيد الشيء القليل(١).

والزهد ضد الرغبة ، يقال: فلان يزهد في الشيء أي لا يرغب فيه(٢).

قال الراغب(٣): الزاهد في الشيء: الراغب عنه والراضي منه بالزهيد أي القليل، قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾(٤).

المطلب الثاني: تعريف الزهد في الاصطلاح. تعددت تعريفات أهل العلم للزهد، ومن ذلك:

١ـ الزهد: انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا فيه(٥). والمقصود بكون المرغوب عنه مرغوبا فيه، أن يكون الشيء المتروك زهدا مما يرغب فيه عادة، أما إن كان مما لا يرغب فيه أصلا فلا يسمى تركه

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٠).

(٢) انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٤٨١)، لسان العرب (٣/ ١٩٧).

(٣) هو الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، الملقب بالراغب، توفي في سنة ٥٩٢ هـ تقريبا، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، بغية الوعاة (٢/ ٢٩٧).

(٤) المفردات للراغب الأصبهاني (ص٢١٥).

(٥) انظر: مختصر منهاج القاصدين (ص٣٢٤).

زهدا، فالذي يرغب عن التراب مثلا لا يسمى زاهدا.

٢ـ وقيل: الزهد هو ترك ما لا ينفع إما لانتفاء نفعه، أو لكونه مرجوحا، لأنه مفوت لما هو أنفع منه، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه[(١)].

٣ـ وقيل: هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة وثقة القلب بما عند الله[(٢)].

٤ـ وقيل: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء.

٥ـ وقيل: الزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود، ولا يأسف منها على مفقود[(٣)].

وليس بين هذه التعريفات تناف ، فكل واحد منها نظر فيه إلى جانب من جوانب الزهد فشرحه، ولعل الأول منها والثاني أشمل من حيث إنه بين معنى الزهد وهو الترك لما ينفعه في الدنيا لما هو خير منه في الآخرة.

المطلب الثالث: حقيقة الزهد : بالنظر إلى التعريفات السابقة يتبين للقارئ أن الزهد يتعلق بالقلب والجوارح.

فالزهد بالقلب هو عدم تعلقه بالدنيا، ذلك أن لا تكون الدنيا أكبر هم العبد، ولا يعطيها أكثر من حقها، بل يستخدمها كمطية يتوصل بها إلى ما خلق من أجله من عبادة الله سبحانه وطاعة أوامره، فلا ينشغل بالدنيا ، ولا بما فيها عن تلك الغاية، هذا هو الزهد القلبي.

وأما الزهد بالجوارح، فهو إمساكها عن فضول المباحات إذا كانت مما يشغل عن الواجبات ، أو كانت مما يستعان بها على طاعة الله[(٤)].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٦١٥،٥١١).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٦٤١).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٠ـ١٩).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٦٤١).

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان حقيقة الزهد: «والزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله».

ثم قال: «فأما ما ينفع في الدار الآخرة بنفسه أو يعين على ما ينفع في الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾»[١].

وقال ابن القيم ـ في معنى الزهد ـ : «ومتعلقه ـ أي الزهد ـ ستة أشياء، لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها، وهي: المال، والصور، والرياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله»[٢].

فليس الزهد في الحقيقة هو الانصراف والانقطاع عن الدنيا وما فيها مما جعله الله نعمة لبني آدم، وجعله رحمة لهم، وبلغة للوصول إلى الهدف الأسمى، ولكنه عدم الانشغال بها عن الهدف، وترك ما لا نفع فيه منها، فإن العبد في هذه الحياة الدنيوية القصيرة ليس لديه من الوقت ما يكفي لأداء جميع ما عليه، فلا ينبغي والحل هذه أن ينشغل بغير المفيد، لأنه محاسب على كل ما يمر من ساعات عمره، فإذا ضيع شيئا منها فيما لا يعود عليه بنفع آجل أو عاجل فإنه لا شك سيندم على ذلك.

فالزهد المشروع إذاً ليس تحريما لما أحله الله كما بينه أهل العلم، ولا بالاشتهار بصفة معينة في العبادة أو المظهر واللباس، كلبس الخشن من اللباس، وأكل الغليظ من الطعام، وليس مجرد ترك الدنيا والإعراض عنها، بل هو إرادة ما يريده الله من العبد، وعدم الانشغال بما جعله الله وسيلة عن الغاية.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢١).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٣).

ولهذا يقول ابن القيم: «وليس المراد ـ من الزهد رفض الملك ـ فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق، وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف[1] والزبير[2] وعثمان ﷺ من الزهاد، مع ما كان لهم من الأموال، وكان الحس بن علي ﷺ من الزهاد مع أنه كان من أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحا لهن، وأغناهم، وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد، مع مال كثير وكذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد...»[3].

إلا أن طائفة من الناس تزينوا بالتصوف المذموم، وراحوا يأخذون دينهم من هنا وهناك تأثرا بالأمم السابقة، فجعلوا الزهد نوعا من الرهبانية النصرانية المقيتة، ومن بقايا موروثات الفلسفات اليونانية والحكم الفارسية والهندية، والتي تقوم على أن العبد لا يدخل في عالم الروحانيات والنعيم، ولا يمكنه أن يسمو في ذلك إلا إذا

---

(١) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم قديما ، ومناقبه شهيرة، مات سنة ٣٢ هـ.
انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٣٩٩٩).

(٢) الزبير بن العوام: هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، أمه صفية عمة النبي ﷺ ، يكنى أبا عبد الله، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين وضع عمر فيهم الشورى، في الصحيح أن النبي ﷺ قال: (**لكل نبي حواريّ، وحواريي الزبير**)، اعتزل الفريقين في وقعة الجمل فلما كر راجعا إلى المدينة لحقه عمير بن جرموز، وفضالة بن حابس، ورجل يقال له نفيع، فقتلوه بمكان يقال له: وادي السباع، على بعد سبعة فراسخ من البصرة، سنة ست وثلاثين، وله أربع وستون سنة، وقيل: غير ذلك. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٠٠)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٤٠٩)، الإصابة لابن حجر (١/ ٥٢٦).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١٤).

تخلص من الدنيا وما فيها وطرحها جانبا[١].

فالزهد عندهم أن تزهد عن كل شيء في الدنيا، حتى بلغ ببعضهم الزهد في الآخرة، وذلك فيما حكاه ابن أبي جمرة عند تعرضه للزهد عن ملاذ الدنيا، قال: «وحقيقة الزهد هو أعلى من هذا، وهو لأهل الخصوص، يشهد لذلك ما حكي عن بعض الفضلاء أنه قال: زهدت في ثلاثة أيام، **الأول**: في الدنيا وما فيها، **والثاني**: في الآخرة وما فيها، **والثالث**: فيما سوى الله، وهذه هي الهجرة العظمى»[٢].

ولا شك أن حكاية مثل هذه الأمور تغني عن الإجابة عنه، وفساد هذه المقالة بين لكل منصف عاقل.

(١) انظر: هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل (ص١٣٨)، المصادر العامة للتلقي لصادق سليم (ص٦٢).

(٢) بهجة النفوس شرح مختصر البخاري (٣/ ١٠٣).

المبحث الثاني

النصوص الواردة في الزهد

جاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة تحث المؤمن على عدم الاغترار بالدنيا الفانية والرغبة فيما عند الله، والزهد في الدنيا، والزهد مما في أيدي الناس، وعلى هذا ربى النبي ﷺ صحابته، وتلقت الأمة ذلك من علمائها جيلا بعد جيل، مما سيأتي عرضه تباعا إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: الآيات الواردة في الزهد في الدنيا: الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة مما حث عليه الكتاب والسنة، وقد ورد فيهما ذلك بأساليب شتى، ما بين ترغيب في الآخرة وبيان لمنزلتها ودوامها، وتزهيد عن الدنيا وبيان حقارتها، وقلة وقتها.

فمن النصوص التي تبين حقارة الدنيا وقلة وقتها: قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]. وقوله جل وعلا: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[3]. وقوله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ

---

(١) سورة النساء، الآية ٧٧.

(٢) سورة الرعد، الآية ٢٦.

(٣) سورة النحل، الآية ٩٦.

(٤) سورة فاطر، الآية ٥.

عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[١]. إلى غير ذلك من الآيات الواردة في الباب.

المطلب الثاني: الأحاديث الواردة في الزهد. كما أن السنة المستفيضة قد شهدت لهذا الأمر .

١ـ فعن جابر ﷺ قال: **(مر النبي ﷺ بالسوق داخلا من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)**[٢].

٢ـ وقال النبي ﷺ : **(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء)**[٣].

٣ـ وقال ﷺ : **(ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بماذا ترجع)**[٤].

---

(١) سورة القصص، الآيات ٧٨ـ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، (٤/ ٢٢٧٢)، رقم: ٢.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٠)، رقم: ٢٣٢٠، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد، (٢/ ١٣٧٦)، رقم: ٤١١٠، من حديث سهل بن سعد. وللحديث شواهد كثيرة يصح الحديث بمجموعها. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم: ٩٤٣)، صحيح الجامع الصغير (رقم: ٥٢٩٢) كلاهما للشيخ الألباني.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٩٤)، رقم: ٥٥.

٤ـ وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ[١] قال : (أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال رسول الله ﷺ: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك)[٢].

٥ـ وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه)[٣].

٦ـ وعن عمران بن حصين[٤] رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)[٥].

٧ـ وعن عطاء بن يزيد الليثي[٦] أن أبا سعيد الخدري أخبره : (أن أناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسأله أحد منهم إلا أعطاه حتى نفد ما عنده فقال لهم حين نفد كل شيء أنفق بيديه : ما يكن عندي من خير لا أدخره عنكم وإنه

---

(١) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري، الخزرجي، الساعدي، أبو العباس، له ولأبيه صحبة، مشهولا، مات سنة ٨٨هـ، وقد جاوز المائة. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٢٦٧٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، رقم: ٤١٠٢، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (رقم: ٣٣١٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب، باب، رقم: ٢٩٦٣.

(٤) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد، من كبار الصحابة ، مات سنة ٥٢ هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٢٠٨/٣)، أسد الغابة لابن الأثير (٢٨١/٤)، الإصابة لابن حجر (٧٠٥/٤).

(٥) أخرجه البخاري، في كتاب، (رقم: ٦٤٤٩).

(٦) هو عطاء بن يزيد الليثي، المدني، نزيل الشام، من أعلام الحديث الثقات ، مات سنة ١٧٥هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٤٦٣٧).

من يستعف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله ومن يستغن يغنه الله ولن تعطوا عطاء خيرا وأوسع من الصبر)[(١)].

ففي هذه النصوص ذم للرغبة في الدنيا وبيان بأنها لا تساوي شيئا إذا قيست بالآخرة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب، باب، رقم: ٦٤٧٠، ومسلم رقم: ١٠٥٣.

المبحث الثالث

المنهج النبوي في الزهد

كما أن السنة العملية جاءت لتؤكد أمر النبي ﷺ من الحذر من الدنيا والاغترار بها، وتركها، والزهد فيها .

ـ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(اللهم ارزق آل محمد قوتا)**[(١)].

ـ وعن أبي مسعود : **(أن رجلا من الأنصار يقال له أبو شعيب كان له غلام لحام فقال له أبو شعيب: اصنع لي طعام خمسة لعلي أدعو النبي صلى اللهم عليه وسلم خامس خمسة وأبصر في وجه النبي صلى الله عليه وسلم الجوع فدعاه فتبعهم رجل لم يدع فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا قد اتبعنا أتأذن له؟ قال: نعم)**[(٢)].

ـ وعن عمرو بن الحارث[(٣)] ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي جويرية بنت الحارث قال : **(ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة)**[(٤)].

ـ وعن عبد الله بن مسعود قال : **(نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: ما لي وما للدنيا ما أنا في**

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب، باب، رقم: ٦٤٦٠، ومسلم، رقم: ١٠٥٥.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب، باب، رقم: ٦٤٥٦، ومسلم (٢٠٨٢).

(٣) عمرو بن الحارث بن أبي ضرار ، الخزاعي، المصطلقي، أخو جويرية أم المؤمنين، صحابي ، لكنه قليل الحديث، بقي إلى بعد الخمسين. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٥٠٣٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب، باب، رقم: ٢٧٣٩.

الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)(١).

ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، قال:

اللهم إن العيش عيش الآخره   فاغفر للأنصار والمهاجره

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعـــــوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا)(٢).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم: ٢٣٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب ، رقم: ٢٨٣٤، ومسلم (رقم: ١٨٠٥).

المبحث الرابع

صور من زهد السلف

إن أهل السنة والجماعة قد جمعوا خصال الخير، فهم من أعلم الناس بالحلال والحرام، ومن أزهد الناس في الدنيا، تجد ذلك مسطرا في كتب الزهد وفي كتب التاريخ في ثنايا تراجمهم، قولا وفعلا، عملا ودعوة، والناظر في الكتب المؤلفة في الزهد ليجد النصوص الكثيرة عنهم في هذا. وفي هذا المجال جملة من الآثار عنهم:

ـ فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: **(ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل)**[(١)].

ـ وقال ﷺ: **(طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، والكتاب شعارا، والدعاء دثارا)**[(٢)].

ـ وقام عمرو بن العاص ﷺ[(٣)] يخطب بمصر فقال: (ما أبعد هديكم من هدي نبيكم، أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا، وأما أنتم فأرغب الناس فيها)[(٤)].

ـ وقال واقد الليثي[(٥)]: **(تابعنا الأعمال أيها أفضل فلم نجد شيئا أعون على طلب**

---

(١) أخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم، حديث رقم: ٦٤١٧.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٧٢).

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية، وولي إمرة مصر مرتين، وهو الذي فتحها، مات بمصر سنة نيف وأربعين، وقيل يغر ذلك.
انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٥٠٨٨).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٨٩).

(٥) هو واقد بن أبي واقد الليثي ، يقال : له صحبة، وقيل: بل هو من كبار التابعين.
انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٧٤٤٠).

الآخرة من الزهد في الدنيا)[١].

ـ وعن موسى بن عقبة[٢]، قال: كتب أبو الدرداء[٣] إلى بعض إخوانه : (أما بعد فإني أرضيك بتقوى الله والزهد في الدنيا، والرغبة فيما عند الله فإنك إذا فعلت ذلك أحبك الله لرغبتك فيما عنده، وأحبك الناس لتركك لهم دنياهم والسلام)[٤].

ـ وقال الحسن : ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة ـ إذا أصبت بها ـ أرغب منك فيها لو لم تصبك.

قال ابن القيم: هذا من أجمع الكلام في الزهد وأحسنه[٥].

ومن التطبيق العملي عند الصحابة ومن بعدهم آثار كثيرة أكتفي بجملة من ذلك:

ـ فعن الحسن رحمه الله قال: خطب عمر بالناس وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة[٦].

ـ وعن قتادة : أن عمر بن الخطاب أبطأ على الناس يوم الجمعة، ثم خرج، فاعتذر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (٢٠٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ١٧٤).

(٢) هو موسى بن عقبة بن أبي عياش، الأسدي مولى آل الزبير ، ثقة فقيه إمام في المغازي، مات سنة ١٤١ هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٧٠٤١).

(٣) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، أبو الدرداء ، الصحابي المشهور بكنيته، أول مشاهده أحد، وكان العباد الأتقياء، مات في أواخر خلافة عثمان ﷺ وقيل عاش بعد ذلك. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٥٢٦٣).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٨١).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ١٤)، وراجع: جامع العلوم الحكم (٢/ ١٧٩).

(٦) انظر: سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي (ص١٥٩).

إليهم، وقال: إنما حبسني غسل ثوبي هذا ، كان يغسل ولم يكن لي ثوب غيره[١].

ـ وعن جابر ﷺ قال : رأى عمر بن الخطاب ﷺ لحما معلقا في يدي، فقال: ما هذا يا جابر.

قلت: اشتهيت لحما فاشتريته.

فقال عمر: أفكلما اشتهيت يا جابر اشتريت؟

أما تخاف هذه الآية: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا ﴾[٢][٣].

ـ وقال ميمون بن مهران[٤]: كان ابن عمر لا يكاد يشبع من طعام[٥].

ـ ومن زهد الأئمة المتبوعين :

ما جاء عن الإمام الشافعي حيث قال : يا ربيع عليك بالزهد فللزهد على الزاهد أحسن من الحلي على المرأة الناهد[٦].

وقال أحدهم للإمام أحمد:بكرتُ يوما لأعارض أحمد بالزهد، فبسطت له حصيرا ومخدة، فنظر إليهما فقال: ما هذا؟ قلت: لتجلس عليه. فقال: ارفعه الزهد لا يحسن

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص١٦٣).

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٢٠.

(٣) انظر:سيرة عمر بن الخطاب (ص١٩٩).

(٤) هو ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب، الكوفي الأصل، نزل الرق، ومن الثقات الفقهاء، ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز ، مات سنة ١١٧ هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٧٠٩٨).

(٥) أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد (١/ ٣٠٦).

(٦) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٣٨٩).

إلا بالزهد، وجلس على التراب[(١)].

وقال السعدي عند قوله جل وعلا: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾ : «وفي هذا الحث والترغيب على الزهد في الدنيا، خصوصا الزهد المتعين، وهو الزهد فيما يكون ضررا على العبد، ويوجب له الاشتغال عما أوجب الله عليه، وتقديمه على حق الله، فإن هذا الزهد واجب، ومن الدواعي للزهد أن يقابل العبد لذات الدنيا وشهواتها بخيرات الآخرة، فإنه يجد من الفرق والتفاوت ما يدعو إلى إيثار أعلى الأمرين».

وليس الزهد الممدوح هو الانقطاع للعبادات التي يقصر نفعها على العابد وحده، كالصلاة والصيام والذكر ونحوها، بل لا يكون العبد زاهدا صحيحا حتى يقوم بما يقدر عليه من الأوامر الشرعية الظاهرة والباطنة، ومن الدعوة إلى الله وإلى دينه بالقول والفعل.

«فالزهد الحقيقي هو الزهد فيما لا ينفع في الدين والدنيا، والرغبة والسعي في كل ما ينفع» [(٢)].

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢٣، ٢٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣/ ٩٥).

المبحث الخامس

مــن أحكــام الزهــــد

المطلب الأول: أقسام الزهد: الزهد كما عرفه العلماء تـرك مـا لا ينفـع في الآخـرة، وقد يكون ذلك الترك للحرام البين، وقد يكون في المشتبه بالحرام، ويكون أحيانـا في المباح، وهو على هذا ثلاثة أقسام:

أولا: الزهد في الحرام: وهذا واجب على كل مسلم وهو أدنى حـد للزهـد، ولـذا يورد بعض العلماء خلافا في كونه منه أو لا، ولعلـه بكونـه يفـرض علـى العبـد أن يترك الحرام، وأنه يثاب على هذا الترك، يكون داخلا في عموم الزهد[١].

ثانيا: الزهد في المشتبه: الأصل فيه قوله ﷺ : **(إن الحلال بين والحرام بـين، وبينـهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)**[٢].

ومعنى قوله ﷺ : **(فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)**، أي من اشتبه عليـه شيء فإن الأحسن له أن يتقيه، فإن اشتبه عليه شـيء هـل هـو مـن الحـلال أو مـن الحرام فعليه أن يتجنب ذلك الشيء، لأن ذلك أدعى إلى براءة الذمـة مـن المؤاخـذ، وإلى التخلص من ذم النـاس ولأن مـن تجـرأ علـى المشـتبه يوشـك أن يتجـرأ علـى الحرام[٣].

ثالثا: الزهد المباح: وهذا إذا كان ذلك المباح يشغل عن واجب، فحينئذ يجب الزهد فيه، أما إن كان لا يشغل عن الواجب فلا يجب الزهد فيه، ومن زهد فيه فللرغبة في التخفيف في الحساب يوم القيامة، لأن الإنسان محاسب يومئذ على كل ما اسـلف في

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٥ـ١٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (رقم :٥٢)، ومسلم (رقم: ١٥٩٩).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٢٠٣ـ٢٠٤).

الدنيا، فمن اجتهد في أن لا يشتغل في الدنيا إلا بما هو وسيلة الآخرة فذلك أسلم ، ولكن لا ينبغي أن يعتق صاحبه أن التمتع بالحلال من المكروهات الدينية، فإن هذه النظرة هي التي ولدت الأفكار الخاطئة حول مفهوم الزهد[١].

المطلب الثاني: من علامات الزهد. للزهد علامات كثيرة لخصها بعض السلف بقوله: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة ـ إذا أصبت بها ـ أرغب منك فيها لو لم تصبك.

وفي لفظ زيادة : «وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء»[٢].

ومن هذا الأثر يمكن أن نستنتج علاماته:

أولا: الثقة بما في يد الله. وهذه ناشئة من قوة اليقين، فمن حقق اليقين وثق بالله في أموره كلها ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفا، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك كان زاهدا في الدنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيء من الدنيا.

ثانيا: تفضيل ثواب فوات الدنيا على حصول ذلك الشيء: وهي من كمال اليقين أيضا، ومن علامات الزهد في الدنيا، لأن صاحبها يفضل الثواب الحاصل من فوات شيء ما في الدنيا على حصول ذلك الشيء، كما أن مصائب الدنيا إذا لم تكن في دينه فلا تعني شيئا عنده، وهذا مما يبين قلة رغبته في الدنيا وزهده فيها.

ثالثا: استواء المادح والذام: ومن علامات زهد في الدنيا استواء المادح والذام فيها،

---

(١) انظر لهذا التقسيم: مدارج السالكين (٢/ ١٣-١٦)، جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٥-١٨٦)، مختصر منهاج القاصدين (ص٣٦٥).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٤)، جامع العلوم والحكم (٢/ ١٧٩).

لأن صاحبها لا يقيم للدنيا وزنا، ولذا فلا يهمه مدح الناس له فيها أو ذمهم، لأن من أحب المدح أو كره الذم ربما حمله ذلك على ترك الحق خشية الذم، وعلى ارتكاب الباطل رجاء المدح، أما من استوى الحالان عنده فهذا دليل على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه، وهذا هو الزهد حقيقة(١).

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨١ـ١٨٣)، مختصر منهاج القاصدين (ص٣٣٠).

المبحث السادس

كثرة العبادة ملازمة الطاعة

من معالم أهل السنة والجماعة الحرص على العبادة وملازمتها، وعدم التهاون بذلك، فإنهم لم يكتفوا بالزهد في الدنيا فحسب، بل تزودوا لآخرتهم ، وليوم المعاد.

المطلب الأول: النصوص الواردة في ملازمة العبادة: استفاضت النصوص الشرعية فيما يجب على المسلم من التزام طاعة الله سبحانه وتعالى في كل شؤون حياته، ومن ذلك: قوله جل وعلا: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1]. وقوله عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [3]. وقوله جل وعلا: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[4]. إلى غير ذلك من الآيات.

المطلب الثاني : من آثار السلف في هذا السلوك. ومن هذا الباب ما جاء عن السلف أذكر هنا شيئا منه موجزا:

ـ فعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "كان لعمر بن عبد العزيز سفط[5] فيه دراعة

---

(١) سورة النساء، الآيتان ٦٩ـ٧٠.

(٢) سورة النساء، الآية ١٣.

(٣) سورة الفتح، الآية ١٦.

(٤) سورة الكهف، الآية ٢٨.

(٥) السفط: ما يخبأ فيه الطيب ونحوه. انظر: المصباح المنير (ص١٤٦).

من شعر، وغل، وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه لا يدخل فيه أحد، فإذا كان آخر الليل فتح ذلك السفط ولبس الدراعة، ووضع الغل في عنقه، فلا يـزال يناجي ربه ويبكي حتى مطلع الفجر.

«وكان يصوم الإثنين والخميس والعشر وعاشوراء، وعرفة» (١).

ـ وعن ابن جريج قال: «كان عطاء بن أبي رباح بعد ما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة، وهو قائم ما يزول منه بشيء ولا يتحرك» (٢).

ـ وعن ابن أبي ليلى قال: حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة(٣).

ـ وقال مالك بن دينار: اتخذ طاعة الله تجارة، تأتيك بالأرباح من غير بضاعة(٤).

ـ وعن جعفر بن سليمان قال:

خرجت مع مالك بن دينار إلى مكة فلما أحرم وأراد أن يلبي سقط ، ثم أفاق ، فأراد أن يلبي فسقط ثم أفاق ، ثم سقط، فقلت: مالك أبا يحيى؟ قال: أخشى أنه أقول : لبيك ، فيقول: لا لبيك ولا سعديك(٥).

وعن عبد الله بن أحمد قال: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة ركعة وخمسين ركعة، وكان قرب من الثمانين.

وكان يقرأ في كل يوم سبعا يختم في سبعة أيام.

---

(١) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٢١٠).

(٢) انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٣١٠).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢١٤).

(٤) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٤/ ٣٧).

(٥) المصدر السابق (٢٤/ ٣٣).

وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار.

وكان ساعة يصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو.

وحج خمس مرات : ثلاث حجج ماشيا، واثنتين راكبا، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهما.

وكان دعاؤه بعد الصلاة:

ـ اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك.

ـ اللهم لا تجعلنا في رزقنا خولا لغيرك.

اللهم أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعصية[١].

ـ وقال معاذ لابنه وهو يعظه: يا بني إذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبدا.

واعلم أن المؤمن يموت بين حسنتين: حسنة قدمها، وحسنة أخرها[٢].

---

(١) انظر: صفة الصفوة (٢/ ٣٤٨).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ٤٩٦).

الفصل الرابع

تحذيرهم من الفتن ومنع أسبابها

المبحث الأول: تعريف الفتنة.

المطلب الأول: تعريف الفتنة في اللغة. أصل الفتنة من فَتَنَ ، قال ابن فارس: "الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار"[١]. وقال ابن منظور: "جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار"[٢]. والفتان الشيطان[٣].

والفاتن المضل عن الحق[٤].

فالفتنة تطلق على أمور عدة يقع فيها الاختبار والامتحان، ومن ذلك : فتنة المال، فتنة الأولاد، فتنة الكفر، فتنة اختلاف الناس بالآراء وغير ذلك[٥].

المطلب الثاني: تعريف الفتنة في الاصطلاح : من خلال التعريف اللغوي نجد أن الفتنة تأتي بمعنى الاختبار ، وفي الاصطلاح يرجع إلى ذلك مع كراهة.

قال القاضي عياض: "وأصل الفتنة معنى الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في اختبار أدى إلى ما يكره"[٦].

وقال ابن الجوزي: « والفتنة هي الواردات التي ترد على القلب يمنعها من

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٢).

(٢) لسان العرب (١٣/ ٣١٧).

(٣) الصحاح (٦/ ٢١٧٥).

(٤) انظر: المصدر السابق (٦/ ٢١٧٦).

(٥) انظر: لسان العرب (١٣/ ٣١٧-٣١٨)، القاموس المحيط (ص١٥٧٥).

(٦) الشفا (١/ ٨٣٣).

مطالعة الحق وقصده»[١].

ولعل هذا التعريف ألصق بالتعريف بالوصف.

وأدق من هذا ما ذكره الشاطبي في الاعتصام حيث يقول: «ضابطها ما صد عن طاعة الله» [٢].

وقال أبو العباس القرطبي: « وقد قدمنا أن أصل الفتنة الامتحان والاختبار، ثم صارت في العرف عبارة عن كل أمر كشفه الاختبار عن سوء» [٣].

(١) تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٦٢)، وانظر: منهاج السنة (٤/ ٥٣٨، ٥٤٧).

(٢) الاعتصام (١/ ٣٣٨).

(٣) المفهم (١/ ٣٥٧)، وانظر: فتح الباري (١١/ ١٨٠).

المبحث الثاني

التحذيـــر مـــن الفتـــن

المطلب الأول: الأدلة من الكتاب والسنة على التحذير من الفتن. مما لا ريب فيه أن للفتن أثرا عظيما على الفرد والمجتمعات والأمم، وذلك أنها تأتي على الأخضر واليابس فيفتن الرجل في دينه وتذهبه، ويفتن الرجل في عقله، وتحجبه، ويفتن الرجل في كل شيء فلا تذر منه شيء.

ولهذا كان ظهور الفتن من علامات فساد ذلك الزمن والمكان التي تزامنت فيه، وعلى هذا جاءت نصوص الكتاب والسنة لتحذرنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فإن الرجل الداخل في الفتنة بغير بصيرة يوشك أن يهلك وهو لا يشعر.

وفي هذا المطلب سأتعرض لجملة من النصوص الواردة في الخوف من الفتن.

الفرع الأول: الأدلة من كتاب الله تعالى على التحذير من الفتن.

وفي القرآن آيات كثيرة يحذرنا الله جل وعلا فيها من الافتتان بمهالك الأمور؛

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾[١].

ففي هذه الآية يحذر سبحانه عباده المؤمنين فتنة ومحنة يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ، ولا من باشر الذنب بل يعمهما ، حيث لم تدفع وترفع[٢].

وقال ابن كثير: «والقول بأن هذا تحذير يعم الصحابة وغيرهم ـ وإن كان

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧).

الخطاب معهم ـ هو الصحيح، ويدل على ذلك الأحاديث الواردة من الفتن»[(١)].

وقال السعدي: «بل تصيب فاعل الظلم وغيره وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره»[(٢)]، وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[(٣)].

قال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، إن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾، فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن[(٤)].

وقال السعدي: «هذا تحذير من الله للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم ، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذا وصفه»[(٥)].

وقال عز وجل: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[(٦)]. وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[(٧)]. وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[(٨)]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٨/٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٣١٨).

(٣) سورة التغابن، الآية ١٥.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣٨/٤).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (ص٨٦٨).

(٦) سورة العنكبوت، الآية ٢.

(٧) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

(٨) سورة آل عمران، الآية ١٧٩.

الفرع الثاني: الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن. لأهمية هذا الموضوع فإن أهل العلم بالحديث والفقه قد أفردوه بالدراسة، وبيان تلك الأحاديث الواردة فيها للناس، ومن السلف من أفردها في التصنيف ، كالحافظ نعيم بن حماد، وأبي عمر الداني، وغيرهما.

ومن أئمة السنة من خصها بباب من أبواب العلم كالبخاري ومسلم وغيرهما.

ولأجل ذلك جاءت الأحاديث في هذا الباب الكثيرة مؤكدة لأمر مهم وهو الخوف من الافتتان بالشهوات والشبهات.

ومن تلك الأحاديث:

ـ عن أسماء رضي الله عنها عن النبي صلى اللهم عليه وسلم قال : **(أنا على حوضي أنتظر من يرد علي فيؤخذ بناس من دوني فأقول أمتي فيقال لا تدري مشوا على القهقرى).**

قال ابن أبي مليكة: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن)[(١)].

ـ وعن عبدالله قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله ، قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم)**[(٢)].

ـ وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت : **(استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد سفيان تسعين أو مائة قيل : أنهلك وفينا**

---

(١) أخرجه البخاري رقم: ٧٠٤٨، ومسلم في كتاب الفضائل، رقم: ٤٢٤٥.

(٢) أخرجه البخاري، رقم: ٧٠٥٢، ومسلم في كتاب الإمار، رقم: ٣٤٣٠.

الصالحون قال: نعم إذا كثر الخبث)[١].

- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعذ به**)[٢].

- وعن حذيفة بن اليمان قال: (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه، قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا ؟ قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[٣].

- ومن أحاديث الفتن التي تكون في آخر الزمان قول النبي ﷺ: (**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه عليه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم: ٧٠٥٩، ومسلم، رقم: ٥١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري، رقم: ٧٠٨١، ومسلم، رقم: ٥١٣٨.

(٣) أخرجه البخاري، رقم: ٧٠٨٤، ومسلم في كتاب الإمارة، رقم: ٣٤٣٤.

وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس يعني آمنوا أجمعون فذلك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ **ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها)**[(١)]. إلى غير ذلك من الأحاديث.

المطلب الثاني: الآثار الواردة عن السلف في التحذير من الفتن: ولقد رسم السلف الصالح منهجهم في الاعتصام بالسنة والخوف من الفتن من خلال النصوص الواردة في هذا الباب، فاقتفوا سنن رسول الله ﷺ في تحذير من جاء بعدهم من هذه الفتن ومن ذلك:

- عن حذيفة ﷺ قال: (بينا نحن جلوس عند عمر إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي صلى الله عليه وسلم في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: ليس عن هذا أسألك ولكن التي تموج كموج البحر، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقا، قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح ، قال: بل يكسر، قال عمر: إذا لا يغلق أبدا، قلت: أجل.

قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب، قال: نعم كما يعلم أن دون غد ليلة وذلك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط فهبنا أن نسأله من الباب فأمرنا مسروقا فسأله فقال: من الباب؟ قال: عمر)[(٢)].

- وعن أنس رضي الله عنه قال: (سألوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى

---

(١) أخرجه البخاري، رقم: ٧١٢١، ومسلم في كتاب الإيمان، رقم: ٢٢٦.

(٢) أخرجه البخاري، رقم: ٧٠٩٦، ومسلم في كتاب الإيمان ، رقم: ١٤٤.

أحفوه بالمسألة فصعد النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم المنبر فقال: **لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم فجعلت أنظر يمينا وشمالا فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي فأنشأ رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه فقال: يا نبي الله من أبي؟ فقال: أبوك حذافة، ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا نعوذ بالله من سوء الفتن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط)**[(١)].

ـ وعن الزبير بن عدي[(٢)] قال أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال : (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم)[(٣)].

ـ وعن الأحنف بن قيس[(٤)] قال: (خرجت وأنا أريد هذا الرجل فلقيني أبو بكرة، فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: قلت: أريد نصر ابن عم رسول الله صلى اللهم عليه وسلم يعني عليا قال: فقال لي يا أحنف ارجع فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قال: فقلت: أو قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه قد أراد قتل صاحبه)[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم: ٧٠٨٩، ومسلم في الفضائل رقم: ٤٣٥١.

(٢) هو الزبير بن عدي الهمداني ، اليامي ، أبو عبد الله الكوفي ، ولي قضاء الري، من الأعلام الثقات، مات سنة ١٣١ هـ. انظر: تقريب التهذيب (٢٠١٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم: ٧٠٦٨.

(٤) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي، السعدي، أبو بحر، اسمه الضحاك، وقيل: صخر، ثقة، مات سنة٦٧ هـ، وقيل غير ذلك. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٢٩٠).

(٥) أخرجه البخاري، رقم: ٣١، ومسلم، ٤/ ٢٢١٣، رقم: ٢٨٨٨.

- وعن حذيفة بن اليمان أنه قال: **(والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسر إلي في ذلك شيئا لم يحدثه غيري ولكن رسول الله ﷺ قال: وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن: منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار قال حذيفة فذهب أولئك الرهط كلهم غيري)**(١).

وهكذا كان السلف الصالح من التابعين يحذرون الناس من الفتن ما ظهر منها وما بطن، والاعتصام بالكتاب والسنة مهما ادلهمت الأمور.

ومن ذلك ما جاء في اعتقاد ابن أبي حاتم الرازي المنقول عن أبي زرعة، وأبي حاتم الرازيين، وجاء فيه: «ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ولا ننزع يدا من طاعة ونتبع السنة والجماعة ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة» (٢).

وقال القاضي ابن العربي: «إن على المسلمين أن يحترزوا من أهل الجهالة بحرمات الدين، وعليهم ألا يبالوا بما رووا، ولا يقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث، ولا يسمعوا كلام أهل الأهواء الذين ينشئون أحاديث فيها استحقار للصحابة والسلف ويصورونهم أنهم أهل دنيا.

فإذا قطع المسلم أصل الباطل واقتصر على رواية العدول سلم من الحبائل.

فإذا أصاب المسلم سمعه وبصره عن مطالعة الباطل ولم يلتفت إلى ما قيل في خلفاء المسلمين الراشدين وغيرهم كان سائرا على منهج السلف.

فهذا مالك رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان في موطئه،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم: ٦٦٠٤، ومسلم، ٤/ ٢٢١٦، رقم: ٢٨٩١.

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٩).

وأبرزه في جملة قواعد الشريعة، وقد جُمع الموطأ في أيام بني العباس، والدولة لهم، فما غيّروا على مالك ولا أنكروا ذلك منه، وعندما قرأ مالك الموطأ على الرشيد وجاء فيه ذكر عبد الملك بن مروان، لم ينكر على مالك احتجاجه بقضائه»[1].

---

(١) العواصم من القواصم (ص٣٢٣) فما بعدها، طبعة الدوحة ـ ١٤١٣ هـ.

المبحث الثالث

منـــــع أســــباب الفتــــن

كما أن السلف الصالح حذروا من الفتن، فإنهم يمنعون أسباب الفتن والبلايا التي تثير الفتن والفوضى.

وفي هذا يقول النبي ﷺ : (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعذ به)[(١)].

ـ وعن عبدالله بن دينار[(٢)] قال: (شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبدالملك، قال: كتب :

إني أقر بالسمع والطاعة لعبدالله عبدالملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت وإن بني قد أقروا بمثل ذلك)[(٣)].

ومن هذا أيضا ما سطره أهل السنة والجماعة في كتب الاعتقاد من التحذير من الخروج على الحكام وإن جاروا، وأمره بالصبر عليهم ولو استأثروا بالدنيا، وسيأتي النقل عنهم في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٤١.

(٢) هو عبد الله بن دينار العدوي مولاهم، أبو عبد الرحمن المدني، مولى ابن عمر، من الأعلام الثقات، مات سنة ١٢٧هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٣٣٢٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، رقم: ٧٢٠٣.

المبحث الرابع
من ضوابط الشرع في وقوع الفتن

ومما سطره أهل العلم في هذا الباب أن جعلوا ضوابط ومسالك يسلكه المسلم تجاه الفتن الواقعة بين الأمة، وذلك لما لها من الضرر الكبير على المقتحم فيها بلا علم ولا حكمة، وجماع الأمر في هذا الأمر الاعتصام بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وما يسطره العلماء الربانيون في القضايا العصرية التي تستجد في الأمة.

ومن حيث التفصيل فإنه يمكن أن أجملها في النقاط التالية:

أولا: الالتزام بالرفق والتأني والحلم .

ثانيا: لزوم الإنصاف والعدل في الأمر كله.

ثالثا: الحكم على الشيء لا يكون إلا بعد تصوره.

رابعا: الاعتصام بالجماعة وترك الفرقة.

خامسا: إرجاء الأمور كلها إلى الميزان الشرعي.

سادسا: موالاة المؤمنين، ومعاداة الكافرين[(١)].

---

(١) انظر: للتفصيل في هذه الضوابط : الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن، لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (ص١٥ـ٤٣).

الفصل الخامس

صبرهم على ما يصيبهم ومنعهم الخروج على ولاة الأمور

المبحث الأول: منزلة الصبر عند أهل السنة والجماعة.

المطلب الأول: تعريف الصبر. الفرع الأول: تعريف الصبر في اللغة:

قال ابن فارس: الصاد والباء والراء أصول ثلاثة:

الأول: الحبس. **والثاني:** أعالي الشيء.

والثالث:جنس من الحجارة.

فالأول: الصبر وهو الحبس، يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها[(١)].

فالصبر في اللغة إذاً حبس الشيء وهو يتعدى بنفسه ، فيقال: صبر نفسه ، ويقال: صبر الرجلَ إلى حبسه حتى قتله.

ويتعدى أيضا بالحرف ، فيقال: صبر على الضراء، وصبر على الأذى، ويكون المعنى حينئذ تحمل الأذى وعدم الجزع عندها.

ويقال: صبر عن كذا إذا تركه[(٢)].

الفرع الثاني: تعريف الصبر في الاصطلاح. عرفه أهل العلم بتعريفات عدة أذكر منها:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٧٠)، الصحاح (٢/ ٧٠٦)، عدة الصابرين لابن القيم (ص١٥).

١ـ اعتراف العبد لله بما أصابه منه، واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه.

٢ـ وقيل: الصبر خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل.

٣ـ وقيل: ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الشهوة(١).

ومن خلال التعريفين الأخيرين يظهر أنهما جمعا معظم أعمال القلوب والجوارح، إلا أنه في عرف الاستعمال فإنه يراد به تحمل المصائب والنائبات عند ورودها، وهذا ما جاء في العريف الأول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا بد للإنسان من شيئين: طاعته بفعل المأمور وترك المحظور، وصبره على ما يصيبه من القضاء والمقدور، فالأول هو التقوى والثاني هو الصبر"(٢).

المطلب الثاني: النصوص الواردة في الحث على الصبر. لقد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على استحباب التخلق بالصبر والحث على ملازمته، لما له من الأجر والثواب العظيم عند الله عز وجل.

الفرع الأول: الآيات الواردة في الحث على الصبر.

ومن هذه الآيات القرآنية الواردة في هذا الباب: قوله جل وعلا: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

---

(١) انظر: عدة الصابرين (ص١٥ـ١٩)، مدارج السالكين (٢/ ١٦٢)، مختصر منهاج القاصدين (٢٦٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٦٦٧).

أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2].

وقال عز من قائل: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[3]. وقال عز وجل: ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾[4]. وقال: ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[5]. وقال سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الآية[6]. وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ الآية[7].

هذا وقد ورد ذكر الصبر والصابرين في القرآن الكريم في حوالي مائة موضع مما يدل على أهمية الصبر الذي هو سلاح أهل الإيمان أهل السنة والجماعة.

الفرع الثاني: الأحاديث الواردة في فضل الصبر. والأحاديث الواردة في الصبر على الأذى وتحمل المشاق احتسابا للأجر كثيرة جدا، أقتصر هنا على بعضها للدلالة على غيرها، ومنها:

ـ قوله ﷺ لمن وقع في مصيبة فقد عزيز: (إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٨٦.

(٣) سورة الزمر، الآية ١٠.

(٤) سورة القصص، الآية ٨٠.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

(٦) سورة محمد، الآية ٣١.

(٧) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

عند بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب)[١].

ـ وقال النبي ﷺ: (ما يكن عندي من خير لا أدخره عنكم وإنه من يستعف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله ومن يستغن يغنه الله ولن تعطوا عطاء خيرا وأوسع من الصبر)[٢].

ـ وقال ﷺ في بيان فضل الصبر: (والصبر ضياء)[٣].

ـ وقال ﷺ في بيان جزائه: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة)[٤].

ـ وقال النبي ﷺ للمرأة التي كانت تصرع فتتكشف فسألت رسول الله ﷺ أن يدعو الله لها: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك) الحديث[٥].

ـ وقال ﷺ : (واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا)[٦].

إلى غير ذلك من الأحاديث.

المطلب الثالث: الآثار الواردة عن السلف في صبرهم على الأذى: كما أن السلف

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٨٠)، رقم: ١٢٨٤، وبرقم: ٥٦٥٥، وبرقم: ٧٤٤٨، ومسلم (٢/ ٦٣٥)، رقم: ١١.

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٣)، رقم: ١.

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ١٢٠)، رقم: ٥٦٥٣.

(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ١١٩)، رقم: ٥٦٥٢، ومسلم (٤/ ١٩٩٤)، رقم: ٥٤.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ١٨ـ١٩)، رقم: ٢٨٠٣. وقد صححه الشيخ أحمد شاكر. انظر: تعليقه على النسخة التي حققها (٤/ ٢٦٨)، رقم: ٢٨٠٤.

الصالح قد ضربوا أروع الأمثلة في تمسكهم بالنصوص الواردة في الباب احتسابا للأجر من الله تعالى عند حلول المصائب فسجلت لنا تلك الآثار أجمل الصور العملية في تحليهم بالصبر والمصابرة على كل أمر يصيبهم، ومن هذا:

ـ عن خالد بن عمير(١) قال: (خطب عتبة بن غزوان(٢) فكان مما قال: ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا ، وإني التقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد، فائتزر بنصفها، وائتزرت بنصفها..)(٣).

ـ وعن الشعبي(٤) ، قال: (سأل عمر خبابا(٥) عما لقي من المشركين ، فقال خباب: يا أمير المؤمنين ، انظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كاليوم، فقال خباب: لقد أوقدت لي نار وسحبتُ عليها فما أطفأها إلا لحم ظهري)(٦).

وقد اشتد الأذى على المسلمين حتى بلغوا الجهد ، واشتد عليهم البلاء، فجمع

---

(١) هو خالد بن عمير العدوي البصري، يقال: إنه مخضرم ، وقد وهم من ذكره في الصحابة، وهو مقبول. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ١٦٧٣).

(٢) هو عتبة بن غزوان بن جابر المازني، حليف بني عبد شمس، من الصحابة الأجلاء، ومن المهاجرين البدريين، وهو أول من اختط البصرة، مات سنة ١٧ هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٤٤٧٠).

(٣) انظر: صفوة الصفوة (١/ ٣٨٨).

(٤) هو عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، من الثقات المشهورين ، ومن الفقهاء الأفاضل، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة ، وله نحو ثمانون سنة. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٣١٠٩).

(٥) هو خباب بن الأرَت التميمي، أبو عبد الله ، من السابقين إلى الإسلام ، وكان يعذب في الله ، ويشهد بدرا، ثم نزل الكوفة ، ومات بها سنة ٣٧ هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ١٧٠٨).

(٦) المصدر السابق (١/ ٤٢٩).

أبو طالب بني هاشم وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فقاطعتهم قريش مقاطعة تامة، وكتبوا في ذلك صحيفة علقوها في الكعبة ، وكان ذلك في السنة السادسة للبعثة، وأقام المسلمون على ذلك نحوا من ثلاث سنين حتى جهدوا وأكلوا ورق الشجر، ثم فرّج الله عنهم(١).

ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: (لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله ﷺ وبين حجرة عائشة فيقول الناس: إنه لمجنون ، وما بي جنون ، ما بي إلا الجوع)(٢).

إلى غير ذلك من الصفحات المشرقة في تاريخ أعلامنا الأفاضل ومن تطلع إلى كتب سير هؤلاء الأئمة لوجد فيها أخبارا عظيمة تدل على صبرهم وجلدهم وخاصة ما يتعلق بطلب العلم وصبرهم على مشاق السفر وشظف العيش ، أسأل الله أن يثيبهم على ما قدموا وأن يوفقنا لاقتفاء آثارهم في اتباع الكتاب والسنة.

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ـ السيرة النبوية ـ (ص٢١٩ـ٢٢٣).
(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ٦٩٠).

المبحث الثاني

منعهم الخروج على ولاة الأمور

جاء الإسلام بالعدل في كل الأمور والمجالات، ومما يوضح مظاهر العدل في الإسلام أن نظم أمور الدين والدنيا، فجعل للمسلمين حقوقا كثيرة، بينهم وبين ربهم، وفيما بينهم، ومن ذلك أن الله تعالى شرع حقوقا بين الولاة ورعيتها، تقيم بذلك مصالحها الدينية والدنيوية المشتركة، ولهذا فإن لولاة الأمور على الرعية حقوقا أوجبها الإسلام ، وأكد عليها، وعلى ولاة أمور المسلمين حقوقا عظيمة تجاه المسلمين، يجب العلم بها.

والسلف السالكون منهج القرآن والسنة في التعامل مع الخلق، فإنهم يركزون على جانب حق ولي الأمر، ولا ينسوا التنبيه على حق المسلم على الولاة، ومن هذا المنطلق أقدم أولا جوانب من واجبات الولاة، ثم أردفه بأهم حقوقهم.

المطلب الأول: من واجبات ولاة أمور المسلمين.

من أوجب الواجبات على ولاة أمور المسلمين أن يتقوا الله تعالى فيما ولاهم الله عليه من أمور الرعية وما حملهم من المسئوليات العظمى والأمانة الكبرى وأن يؤدوها كما فرضها الله تعالى دون إخلال أو تقصير.

قال جل وعلا: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[(١)].

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال العلماء: نزلت الآية في ولاة الأمور عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل...وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل فهذا جماع السياسة العادلة، والولاية الصالحة»(١).

ومن حقوقهم أيضا إقامة الدين في الرعية وأمرهم بالمعروف الذي أمر الله به، ونهيهم عن المنكر الذي نهى الله عنه، كما قال جل وعلا ـ في صفات عباد الله المتقين العادلين: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(٢).

ومن حقوقهم تطبيق شرع الله على عباد الله، والحكم بينهم بما أنزل الله، ونبذ كل ما خالف ذلك من القوانين الوضعية، والأحكام المخالفة للشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾(٣).

إلى غير ذلك من الأمور الذي ذكرها أهل العلم في الأحكام السلطانية ، كالقاضي أبي يعلى في الأحكام السلطانية(٤)، وابن تيمية في السياسية الشرعية(٥)، وغيرهما من أهل العلم.

المطلب الثاني: حقوق ولاة الأمر: كما أن الدين الإسلامي أوجب على الولاة أمورا كثيرة فقد أمر الرعية بحقوق تجاه ولاتهم ، وأكد على الاهتمام بها ورعايتها،

---

(١) السياسة الشرعية (ص٦) ـ طبعة بشير عيون .

(٢) سورة الحج، الآية ٤١.

(٣) سورة المائدة الآية ٤٩.

(٤) الأحكام السلطانية (ص٢٨).

(٥) السياسة الشرعية (ص٣٠، ٤٠، ١٧٦ـ١٨١).

والقيام بها، وهذا ما نصت عليه كتب أهل السنة والجماعة وتلقاه العلماء جيلا بعد جيل.

ومن حيث الإجمال فإن أهل السنة قد قرروا أن على المسلم السمع والطاعة لولاة الأمور إلا أن يأمروا بمعصية، فإن أمروا بمعصية فلا طاعة لهم، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ويرون النصح والدعاء لهم وإعانتهم على الحق وتحريم الخروج عليهم ، ونزع الطاعة من أيديهم ، سواء كانوا أئمة عدولا صالحين أم كانوا من أئمة الجور والظلم، ما دام أنهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام.

ويرون أيضا الصبر على جور الأئمة وظلمهم مع ما فيه من ضرر، فإنه أخف ضررا وأيسر خطرا من ضرر الخروج عليهم.

كما حذر أهل السنة من الوقيعة في أعراضهم والتنقص لهم أو الدعاء عليهم؛ لأن هذه الأمور من أسباب من أسباب وجود الضغائن والأحقاد بين الولاة ورعيتهم، ومن أسباب نشوء الفتن والنزاع في صفوف الأمة، وسيأتي التفصيل في هذه المسائل.

الفرع الأول: حق السمع والطاعة لولاة الأمر وتحريم الخروج عليهم.

من أعظم الواجبات التي أمر الله عباده تجاه ولاة أمورهم الطاعة في المعروف ، وذلك أن الأمور الدينية والدنيوية لا تقوم إلا بذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لا إسلام بلا جماعة ، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا طاعة)[1].

وهذا ما قرره أهل السنة في هذا الباب وقد وصفه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة على كل

(١) أخرجه ابن عيد البر في الجامع (١/ ٦٢).

أحد، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال، فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم، فما له في الآخرة من خلاق[١].

وقد دلت النصوص الكثيرة على هذا الأصل:

أولا: الأدلة من الكتاب على لزوم طاعة ولاة الأمر في المعروف وترك الخروج عليهم. قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩ ﴾[٢].

قال ابن عطية : «لما تقدم إلى الولاة في الآية المتقدمة ـ إشارة إلى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ ـ ؛ تقد في هذه إلى الرعية، فأمر بطاعته عز وجل، وهي امتثال أوامره ونواهيه، وطاعة رسوله، وطاعة الأمراء، على قول الجمهور : أبي هريرة وابن عباس وابن زيد وغيرهم..»[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية واصفا مذهب أهل السنة والجماعة: "إنهم ـ أي السلف ـ لا يجوزون طاعة الإمام في كل ما أمر به بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة، فلا يجوّزون طاعته في معصية الله وإن كان إماما عادلا، فإذا أمرهم بطاعة الله أطاعوه، مثل: أن يأمرهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصدق والعدل والحج، والجهاد في سبيل الله، فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله"[٤].

ثانيا: الأدلة من السنة على لزوم طاعة ولاة الأمر في المعروف وترك الخروج

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٥/ ١٦ـ١٧).

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ١٥٨)، طبعة المغرب.

(٤) منهاج السنة (٣/ ٣٨٧).

عليهم.

وقد جاء في السنة ما يعضد ما تقدم تقريره، حيث ورد الأمر بالسمع والطاعة في غير معصية في أحاديث كثيرة اذكر منها:

١ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)**[١].

٢ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومكرهك وأثرة عليك)**[٢].

٣ـ وعن عبادة بن الصامت ﷺ [٣] قال: **(بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم)**.

وفي رواية: **(إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان)**[٤].

٤ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ١٢١ـ١٢٢)، ومسلم، رقم : ١٨٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (رقم: ١٨٣٦).

(٣) هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري ، الخزرجي، ابو الوليد المدني، أحد النقباء، صحابي مشهور ، من البدريين، مات بالرملة سنة ٣٤ هـ.انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٣١٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ١٩٢)، ومسلم، رقم: ١٠٧٩.

مات ميتة جاهلية)(١). إلى غير ذلك من الأحاديث.

ثالثا: الآثار من السلف في لزوم طاعة ولاة الأمر وترك الخروج عليهم.

وقد سار الصحابة ومن بعدهم على المنهج النبوي في المعاملة مع الحكام والسلاطين، ومن لزوم طاعتهم في غير معصية، وترك الخروج عليهم، ومن ذلك:

ـ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه جاء إلى عبد الله بن مطيع(٢) ـ لما خرج على يزيد بن معاوية(٣) في زمن الحرة ـ منكرا عليه خروجه عن طاعة الخليفة، فلما جاءه، قال عبد الله بن مطيع: (اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة)، فقال: إني لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)(٤).

ـ وذكر عن الحسن رحمه الله أنه قال : «الأمراء يلون من أمورنا خمسة : الجمعة والجماعة والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون» (٥).

ومن أكثر من روي عنه في هذا الباب إمام السنة بحق أحمد بن حنبل رحمه الله

---

(١) أخرجه مسلم (رقم: ١٨٥١).

(٢) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، المدني، وكان رأس قريش يوم الحرة، وأمره ابن الزبير على الكوفة، ثم قتل معه سنة ثلاث وسبعين.انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٣٦٥١).

(٣) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الأموي، أبو خالد، ولي الخلافة سنة ٦٠ هـ، ومات سنة ٦٤ هـ، ولم يكمل الأربعين، قال الحافظ ابن حجر: ليس بأهل بأن يروى عنه. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٧٨٢٩).

(٤) تقدم تخريجه قريبا.

(٥) انظر: جامع العلوم الحكم (٢/ ١١٧).

حيث حصل في زمنه امتحن الخلفاء للناس بالقول بخلق القرآن، فامتنع الإمام أحمد من إجابتهم وأبى أن يقول ما أرادوا من القول بخلق القرآن ، وبين أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

ومع ذلك فقد كان الإمام ملتزما بالسنة في طاعة ولاة الأمر في غير معصية وترك الخروج عليهم، والقصة في ذلك مشهورة، فقد ذكر حنبل بن إسحاق[(١)]:

«أن الواثق[(٢)] لما أظهر القول بخلق القرآن، جاء نفر من فقهاء بغداد إلى الإمام أحمد، فقالوا: يا أبا عبد الله إن هذا الأمر قد فشى وتفاقم ـ يعنون القول بخلق القرآن ـ هذا الرجل يفعل ويفعل، وقد أظهر ما أظهر، ونحن نخافه على أكثر من هذا، فقال لهم ابو عبد الله: فماذا تريدون؟ قالوا: أتيناك لنشاورك فيما نريد، قال: فماذا تريدون؟ قالوا: ألا نرضى بإمرته وسلطانه، فناظرهم أبو عبد الله ساعة حتى قال لهم: فماذا يضرك إن لم يتم هذا الأمر، أليس قد صرتم من ذلك إلى المكروه؟ عليكم النكرة بقلوبكم ولا تخرجوا يدا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين معكم، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين ، انظروا في عاقبة أمركم، ولا تعجلوا ، واصبروا حتى يستريح بركم أو يستراح من فاجركم».

ثم سئل: يا أبا عبد الله وهذا عندك صواب ـ يعني الخروج على الواثق ـ قال: لا هذا خلاف الآثار التي أمرنا فيها بالصبر[(٣)].

---

(١) هو حنبل بن إسحاق بن هلال الشيباني، أبو علي، ابن عم الإمام أحمد رحمه الله، وتلميذه، وكان عالما في الفقه والحديث والتاريخ، مات سنة ٢٧٣ هـ.انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٢٦٨)، طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣)، الأعلام (٢/ ٢٨٦).

(٢) هو الخليفة هارون بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن محمد، مات سنة ٢٣٢ هـ.انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٥)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٦).

(٣) محنة الإمام أحمد (ص٧٦،٧٥،٧١).

وفي رواية عبدوس عن الإمام أحمد:

«ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان، بالرضا أو الغلبة، فقد شق هذا الخارج عصى المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ ، فإن مات الخارج مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق» [(١)].

وكلام السلف في هذا كثير جدا، ولعلي أشير إلى بعض ما جاء في معتقد الأئمة رضوان الله عليهم في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي[(٢)]:

ـ ففي اعتقاد الثوري جاء فيه: «يا شعيب: لا ينفعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل».

ـ وفي اعتقاد علي بن المديني: ثم السمع والطاعة للأئمة، وأمراء المؤمنين، البر والفاجر، ومن ولي الخلافة، بإجماع الناس ورضاهم، لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ليلة إلا عليه إمام برا كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين، والغزو مع الأمراء ماض إلى يوم القيامة، البر والفاجر لا يترك، وقسمة الفيء، وإقامة الحدود للأئمة ماضية ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم ، ...ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس ، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة.

وفي اعتقاد أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين: ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله ـ عز وجل ـ أمرنا، ولا ننزع يدا من

---

(١) انظر: السنة للخلال (ص٧٣ـ٨٩).

(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥١ـ١٧٦).

طاعة، ونتبع السنة والجماعة ، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة".

وقال الطحاوي: «ولا نرى الخروج عل أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة» [(١)].

وقال الصابوني حكاية لمذهب أصحاب الحديث في الاعتقاد: "ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف"[(٢)].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور، وغشهم، والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين، قديما وحديثا، ومن سيرة غيرهم» [(٣)].

ومن أهل العلم المتأخرين الذين نهجوا مسلك السلف فيما تقدم بيان أئمة الدعوة الذين حملوا هذه النهضة العلمية ، فكانت بفضل الله مباركة طيبة.

يقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ[(٤)]، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق[(٥)]، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري[(١)]، والشيخ عمر بن محمد بن

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٤٢ـ٥٤٤)، تحقيق : عبد الله التركي.

(٢) عقيدة أصحاب الحديث (ص١٠٦)، تحقيق: بدر البدر.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٥/ ١٢).

(٤) هو محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، مات سنة ١٣٦٧ هـ.انظر: علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسام (٣/ ٨٤٩).

(٥) هو سعد بن حمد بن علي بن محمد بن عتيق ، الإمام العلم، الشيخ الزاهد، مات سنة ١٣٤٩ هـ. انظر: علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسام (١/ ٢٦٦).

سليم[٢]، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في رسالة كتبوها في بيان خطر القول على الله بلا علم، وجاء فيه من حقوق الراعي والرعية ما سبق التنويه به، ومن ذلك: «إذا فهم ما تقدم من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وكلام العلماء المحققين، في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، وتحريم منازعته، والخروج عليه، وأن المصالح الدينية والدنيوية لا انتظام لها إلا بالإمامة والجماعة، تبين أن الخروج عن طاعة ولي الأمر، والافتيات عليه بغزو أو غيره، معصية ومشاقة لله ورسوله ومخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة، ... فإن قصر عن القيام ببعض الواجب، فليس لأحد من الرعية أن ينازعه الأمر من أجل ذلك، كما ثبتت بذلك الأخبار عنه ﷺ بوجوب السمع والطاعة، والوفاء بالبيعة إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان»[٣]. إلى غير ذلك من نقول أهل العلم في ذلك.

الفرع الثاني: حق النصح لهم. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين به يظهر الخير ويعم ويختفي الشر ويزول ويقل، قال تعالى واصفا المؤمنين بذلك: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الآية[٤].

فالمؤمن الصادق هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في أي مكان كان، وفي أي زمان، ومن ذلك ما يبذله من النصيحة لولاة الأمر لأمر منكر رآه أو تقصير في بلوغ واجب، وقد تظاهرت النصوص الشرعية بذلك:

---

(١) هو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العنقري، مات سنة ١٣٧٣هـ. انظر: علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسام (٢/ ٥٨٢).

(٢) هو عمر بن محمد بن عبد الله بن حمد بن سليم، العلم المشهور، مات سنة ١٣٦٢هـ.انظر: علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسام (٣/ ٧٤٥).

(٣) انظر: الدرر السنية (٧/ ٢٩٠).

(٤) سورة التوبة، الآية ٧١.

قال النبي ﷺ : **(الدين النصيحة ، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)**[١]. وقال ﷺ : **(إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)**[٢]. والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي: إرادة الخير للمنصوح له[٣].

وقال بعض أهل العلم: جماع تفسير النصيحة هي: عناية القلب للمنصوح له ، كائنا من كان .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين : «فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الأمة عليهم ، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل» [٤].

«وذكر ابن الصلاح أن النصيحة لأئمة المسلمين تكون بمعونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، تذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك» [٥].

ويقول أئمة الدعوة: الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، والشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: 'وأما ما قد يقع من ولاة الأمر من

---

(١) أخرجه مسلم، رقم (٥٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم: ١٧١٥ .

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٢١٩).

(٤) انظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٦٩١ـ٦٩٤)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٠ـ٢٢٢).

(٥) صيانة صحيح مسلم (ص٢٢٤).

المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر والخروج من الإسلام فالواجب فيها: مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق.

واتباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس.

«واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد، وهذا غلط فاحش وجهل ظاهر ، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نور الله قلبه وعرف طريقة السلف الصالح وأئمة الدين» [١].

والأصل في هذا الأمر من كون النصيحة برفق ولين وخفية، ما رواه الإمام أحمد من طريق شريح الحضرمي [٢] وغيره قال: جلد عياض بن غنم [٣] صاحب دار حين فتحت، فأغلظ له هشام بن حكيم القول، حتى غضب عياض، ثم مكث ليالي فأتاه هشام بن حكيم [٤] فاعتذر إليه، ثم قال هشام لعياض : ألم تسمع النبي ﷺ يقول: (إن من اشد الناس عذابا أشدهم عذابا في الدنيا للناس).

فقال عياض بن غنم: يا هشام بن حكيم قد سمعنا ما سمعت ورأينا ما رأيت أولم تسمع رسول الله ﷺ يقول: (من أراد أن ينصح لسلطان بأمر، فلا يبدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيده ، فيخلو به، فإن قبل منه، فذاك ، وإلا كان قد أدى الذي عليه

---

(١) انظر: الدرر السنية (٧/ ٢٩٠).

(٢) هو شريح بن هانئ الحضرمي، أبو حيوة الحمصي المؤذن، من أعلام الحديث الثقات، مات سنة ٢٠٣ هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٢٧٩٥).

(٣) هو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد الفهري، من الصحابة، قيل : أسلم قبل الحديبية، وشهدها، وتوفي بالشام عام ٢٠هـ، وكان صالحا سمحا. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٠).

(٤) هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد القرشي، الأسدي، ، من أفاضل الصحابة، وكان مهيبا، يأمر بالمعروف في رجال معه، قيل مات بأجنادين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٧١).

له)[١].

وقد سار السلف الصالح على هذا: روى البخاري ومسلم عن أبي وائل[٢] أنه قال: (قيل لأسامة بن زيد[٣]: لو أتيت فلانا ـ يعنون عثمان بن عفان ﷺ ـ فكلمته، قال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أن أسمعكم، إني أكلمه في السر دون أن أفتح بابا لا أكون أول من فتحه)[٤].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في بيان منهج أهل السنة والجماعة: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الانقلابات، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخروج الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير.

وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل، فينكر الزنى وينكر الخمر، وينكر الربا من دون ذكر من فعله، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير ذلك أن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٠٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٢١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٦٧)، والحاكم (٣/ ٢٩٠)، وغيرهم. قال الهيثمي: (رجاله ثقات وإسناده متصل). مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٠). وصححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة (١/ ٥٢١).

(٢) هو شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي، من الثقات الأعلام، من كبار التابعين، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، وله مائة سنة. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٢٨٣٢).

(٣) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي حب رسول الله ﷺ وابن حبه، يكنى أبا محمد، وأمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ ومولاته، ولد أسامة في الإسلام، وهاجر إلى المدينة، وقبض رسول الله ﷺ وله عشرون سنة، وقيل: ثماني عشرة سنة، وكان قد أمره النبي ﷺ على جيش عظيم فمات ﷺ قبل أن ينفذ، فأنفذه أبو بكر ﷺ، فقيل: مات في آخر أيام معاوية بالجرف سنة ثمان أو تسع وخمسين، ورجح ابن عبد البر أن وفاته سنة أربع وخمسين، والله أعلم.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٦١)، (١/ ٣٤)، صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٥٢١)، أسد الغابة لابن الأثير (١/ ٧٩).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٣٣١)، صحيح مسلم (رقم: ٢٩٨٩).

فلانا يفعلها، لا حاكم ولا غير حاكم»[١].

ولعل في هذه النقول عن أهل العلم غنية عن غيرها مما سطره السلف الصالح في هذا الباب.

---

(١) انظر: فتوى للشيخ ابن باز ـ مطبوعة في آخر رسالة حقوق الراعي والرعية (ص٢٧ـ٢٨).

الفصل السادس

ثباتهم على دينهم وعدم ترددهم وتذبذبهم

المبحث الأول: النصوص الواردة في الثبات على الدين.

لقد جاءت دلائل الكتاب والسنة متنوعة في ربط المسلم بربه ودينه، فتارة تأتي بالأمر بالصبر على الأذى، وتارة بالتسلية من الضالين، وتارة تبين لزوم الثبات على الدين مهما كانت الظروف والأحداث.

المطلب الأول: الآيات الواردة في الثبات على الدين.

من الآيات التي تحث على الصبر والثبات في الدين: قوله جل وعلا: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(١). وقال عز من قائل: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾(٣). وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾(٤). وقال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾(٥). إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨.

(٢) سورة يونس، الآية ٦٥.

(٣) سورة هود، الآية ١٢٠.

(٤) سورة الحجر، الآية ٩٧ـ٩٩.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٤٣.

المطلب الثاني: **الأحاديث الواردة في الثبات على الدين:** كما أنه قد جاء في السنة من القصص والوقائع التي تحث على الصبر في الدين، والثبات عليه، فمن ذلك:

ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: (**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم**)[١].

ـ وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : (**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**)[٢].

ـ وعن النواس بن سمعان قال: (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشأم والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٢٩)، والنسائي (رقم: ١٢٨٧)، من حديث شداد بن أوس ﷺ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم: ٢٥٣١٠)، والترمذي في جامعه (رقم: ٣٤٤٤).

سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله) الحديث[١].

إلى غير ذلك من الأحاديث.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم: ٥٢٢٨.

المبحث الثاني

الآثار الواردة عن السلف في الثبات على الدين

كما أن السلف الصالح قد سجلوا لنا أروع الأمثلة في ثباتهم على الدين:

ـ عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة لـه في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تدعو الله لنا.

قال : (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنين، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت، لا يخاف إلا الله)(١).

ـ وعن ميمون بن الأسبغ(٢) قال: كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت : ما هذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل يمتحن.

فدخلتُ فلما ضرب سوطا قال: بسم الله .

فلما ضرب الثاني، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق.

فلما ضرب الرابع قال: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ (٣).

فضرب تسعة وعشرين سوطا(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٢٣٤، رقم: ٣٤١٦) .

(٢) هو ميمون بن الأسبغ بن الفرات النصيبي، أبو جعفر، قال عنه الحافظ ابن حجر: مقبول، مات سنة ٢٥٦ هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٧٠٩٢).

(٣) سورة التوبة، الاية ٥١.

(٤) انظر: صفة الصفوة (٢/ ٣٥٠).

وذكر الطبري أن المأمون[١] أمر بامتحان العلماء في خلق القرآن وكان في كتابه: ومن لم يرجع عن شركه ممن ذكرت ولم يقل إن القرآن مخلوق فاحملهم أجمعين إلى عسكر أمير المؤمنين ، فإن لم يرجعوا ويتوبوا احملهم جميعا على السيف.

فأجاب القوم إلا أربعة هم: أحمد بن حنبل، وسجادة[٢]، والقواريري[٣]، وابن نوح. فاستدعاهم إسحاق بن إبراهيم[٤]، فشدوا في الحديد، ثم توفي المأمون[٥].

ـ وفي ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي[٦] أنه قال: «عندما دخل المعز لدين الله الفاطمي مصر واستقر في عاصمته الجديدة القاهرة سنة ٦٢٣ هـ، أحضر أبا بكر النابلسي الزاهد ، وكان ينزل الأكواخ من أرض دمشق، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل المسلم عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم

(١) هو عبد الله بن هارون الرشيد، بن محمد المهدي، بن أبي جعفر المنصور، الخليفة العباسي، قرأ العلم والأدب، والأخبار والعقليات، وعلوم الأوائل، وكان يجل أهل الكلام، مات سنة ٢١٨ هـ.انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٢).

(٢) هو الحسن بن حماد بن كسيب الحضرمي، البغدادي، أبو علي، الإمام القدوة، المحدث، مات سنة ٢٤١ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٢٩٥)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٢)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٧٢).

(٣) هو عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري، أبو سعيد البصري، نزيل بغداد ، من الثقات الأثبات، مات سنة ٢٣٥ هـ على الأصح، وله خمس وثمانون سنة. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٢٠)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤٢)، تقريب التهذيب (رقم: ٤٣٥٤).

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم الخزاعي ، نائب المأمون على العراق. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٨٧).

(٥) انظر: تاريخ الطبري (٨/ ٦٤٥)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٨٨).

(٦) هو محمد بن أحمد بن سهل ، أبو بكر الرملي ، من أعيان نابلس، مات مقتولا على يد المعز الفاطمي. انظر: تاريخ دمشق لاين عساكر (١٣/ ٢٦٣).

سهما واحدا ، وفي الشيعة تسعة، فقال: ما قلت هذا؟

فقال: كيف قلت؟

قال: قلت: إذا كان معه عشرة وجب أن يرميكم بتسعة ويرمي العاشرة فيكم أيضا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيت الألوهية.

فأمر المعز بإشهاده، وضرب بالسياط ليرجع عن قوله، فلم يرجع، ثم أخرج في اليوم الثالث، فسُلخ ، سلخه رجل يهودي، وكان يقرأ القرآن ولا يتأوه. قال اليهودي: فداخلتني له رحمة، فطعنت قلبه بسكين فمات عاجلا».

وحكى صاحب له قال: عندما هموا بسلخه سألته ما هذا؟ فقال: درجات.

وكان أبو بكر النابلسي رحمه الله نبيلا جليلا رئيس مدينة الرملة بفلسطين، محدثا، هرب إلى دمشق عندما احتل الفاطميون الرملة، فأدركوه بدمشق، ثم أحضروه إلى أميره كما سبق ذكره[1].

---

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي (١٤/ ٢٤٥)، المقفى الكبير للمقريزي ص ٢٣٩، دار الغرب الإسلامي ـ ١٤٠٧ هـ.

المبحث الثالث

أسباب الثبات على العقيدة الصحيحة عند أهل السنة والجماعة

يحسن في هذا المبحث أن أتعرض لجملة من الأسباب التي جعلت من أخص خصائص أهل السنة والجماعة الثبات على العقيدة الصحيحة وعدم التذبذب في ذلك وذلك جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا، ومن هذه الأسباب:

أولا: اعتصام أهل السنة والجماعة بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ . وإيمانهم بجميع ما جاء فيهما، وأنهم لم يفرقوا بين النصوص ، بل أخذوا بجميع النصوص جملة وتفصيلا(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "جماع الفرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي وطريق السعادة والنجاة ، وطريق الشقاوة والهلاك: أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل"(٢).

ثانيا: اعتقادهم أن الكتاب والسنة مشتملان على المعتقد الحق الذي لا نقص فيه من أي وجه من الوجوه. قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٣).

وقال النبي ﷺ : (**والذي نفس محمد بيد لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا**

(١) انظر زيادة في البحث : الباب الثاني الفصل الثاني، والثالث والرابع من هذه الرسلة.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ١٣٥-١٣٦).

(٣) سورة المائدة، الاية ٣.

نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «إن رسول الله ﷺ بين جميع الدين أصوله وفروعه، باطنه وظاهره، علمه وعمله، فإن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علما وعملا» [٢].

ثالثا: عند وقوع النزاع يرجع أهل السنة والجماعة إلى الكتاب والسنة .

قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩ ﴾ [٣].

رابعا: الاعتقاد المدون عن السلف لم يكن أحد لينشئ ذلك من قبل نفسه بل يعتمدون في ذلك على النصوص الشرعية.

وهذا ما وضحه شيخ الإسلام ابن تيمية قائلا: «ليس الاعتقاد لي ولا لمن هو أكبر مني، بل الاعتقاد يؤخذ عن الله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ ، وما أجمع عليه سلف الأمة، يؤخذ من كتاب الله، ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة، وما ثبت عن سلف الأمة» [٤].

وقال أيضا: «اعتقاد الشافعي واعتقاد سلف الإسلام كمالك والثوري والأوزاعي، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، وسهل بن عبد الله

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٣٤)، رقم: ١٥٣ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ١٥٥-١٥٦).

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٢٠٣).

التستري، وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وأمثالهم نزاع في أصول الدين... واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وهو ما نطق به الكتاب والسنة» [١].

خامسا: سلامة فطرهم من التدنس، وصحة عقولهم [٢].

فهم يقولون في ما يعتقده أهل السنة بما تقتضيه نصوص الكتاب والسنة الموافقة لفطرهم، وعقولهم.

سادسا: ارتباطهم بفهم السلف [٣]. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [٤].

قال السجزي واصفا أهل السنة والجماعة: «فأهل السنة هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن الرسول ﷺ لأنهم رضي الله عنهم أئمة، وقد امرنا باقتداء آثارهم، واتباع سنتهم وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى إقامة برهان، والأخذ بالسنة واعتقادها مما لا مرية في وجوبه» [٥].

وقال الآجري: «علامة من أراد الله به خيرا سلوك هذا الطريق ؛ كتاب الله، وسنن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه ﷺ ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء، مثل الأوزاعي وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٢٥٦).

(٢) انظر: الباب الثاني ، التمهيد.

(٣) انظر: الباب الثاني الفصل السابع.

(٤) سورة النساء، الآية ١١٥.

(٥) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ٩٩).

مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء»[١].

سابعا: توسطهم في مسائل الاعتقاد، وعدم الالتفات إلى طريقة أهل البدع[٢].

ثامنا: جمعهم في دينهم بين العلم والعمل، وبين القول والفعل، فهم يعتقدون الاعتقاد الصحيح، ويجتهدون في طاعة الله والتقرب إليه.

تاسعا: أنهم تركوا التلون والخصومات في الدين[٣].

---

(١) الشريعة (١/ ٣٠١).

(٢) انظر: وسطية أهل السنة للشيخ محمد باكريم .

(٣) انظر: الإبانة لابن بطة (٢/ ٥٠٣-٥١٩).

الفصل السابع

وضـــــــوح عقيدتهم وصفائها

المبحث الأول: مكانة العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

إن للعقيدة الإسلامية الصافية مكانة عالية في الدين، فهي بمنزلة الأساس من البنيان، وبمثابة الأصل الذي يبنى عليه غيره، قال جل وعلا: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾[(١)].

قال الشيخ السعدي: فكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن علما واعتقادا ، وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية والآداب الحسنة في السماء دائما يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره[(٢)].

ولما كانت هذه العقيدة شأنها عظيم، سمت منزلتها في نفوس الأتقياء من أهلها، وعلا قدرها في نفوسهم، وتمكنت من قلوبهم حتى جعلوا كل شيء ينطلق منها.

ولذا اهتم السلف الصالح بالجانب العلمي والعملي في توحيد الله تعالى وفي دينهم، ومن تلكم الثمرات التي ظهرت من خلال إظهارهم الاعتقاد الصحيح المخالف لما عليه أهل الأهواء، ظهرت تأليفات في المعتقد ، كانت في بدايتها تعرض العقيدة السلفية الصافية، ثم ازداد التصنيف في الباب حتى أصبحت تحوي المجلدات الكبار في بيان الحق وردع الباطل وقهره.

وبعد وفاة النبي ﷺ وذهاب كثير من الصحابة ظهرت فئام من النـاس ضـلوا عـن

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٢٥).

معرفة الحق في الاعتقاد وانحرف كثيرون عنه، وحادوا عن الجادة، تصديقا لما أخبر به النبي ﷺ مما سيكون في آخر هذا الزمان: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

وفي رواية : (هي الجماعة)[1].

فلم يسلم من تلك الفرق إلا فرقة واحدة صح اعتقادها في ربها، وحسن عملها في دينها ، ومن عصر النبي ﷺ إلى يومنا هذا وأهل السنة والجماعة في كل مكان ثابتون على اعتقادهم مهما ظهرت الفتن، وانجرفت الفتن.

وسيأتي مزيد تفصيل فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٨٩.

المبحث الثاني

الإســــلام ديــــن الله

إن الله تبارك وتعالى أرسل رسله بالإسلام لرد الناس إلى دينهم، وليصحح عقائدهم، والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما أمروا بعبادة الله وحده، والرغبة إليه والتوكل عليه، والطاعة لهم، وهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(١).

فالإسلام هو الاستسلام لله وحده بالطاعة فعلا للمأمور وتركا للمحظور، في كل زمان ومكان كانت الشريعة فيه قائمة.

وهذا هو الإسلام بالمعنى العام.

ويتفرع على هذا أن أصحاب الملل السابقة كانوا مسلمين حين كانت شرائعهم قائمة لم تنسخ، كما قال تعالى عن نوح وهو يخاطب قومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢).

وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾(٣).

وقال عن موسى عليه السلام في مخاطبته قومه: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾(٤).

وقال عن الحواريين أتباع عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية١٩.

(٢) سورة يونس، الآية ٧٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٧.

(٤) سورة يونس، الآية ٨٤.

ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[(١)].

وأما الإسلام بالمعنى الخاص ، فيختص بشريعة محمد ﷺ ، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[(٢)].

فلا إسلام بعد بعثته ﷺ إلا باتباعه، لأن دينه مهيمن على الأديان كلها ظاهر عليها، وشريعته ناسخة للشرائع السابقة كلها، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[(٣)].

وقال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[(٤)].

فمن بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به، ولم يتبعه لم يكن مؤمنا ولا مسلما ، بل هو كافر من أهل النار لقول النبي ﷺ : (والذي نفس محمد بيد لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[(٥)].

ومن زعم أن مع دين محمد دينا سواه قائما مقبولا عند الله تعالى من دين اليهود أو النصارى أو غيرهما فهو مكذب لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

---

(١) سورة المائدة، الآية ١١١.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٨١.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٣.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ١٣٤)، رقم: ١٥٣.

ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ (١)، وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٢).

ومما يبين هذا الأصل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (٣).

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره : وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس في هاتين الآيتين من قوله: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ ، وأمركم بالوفاء به، هو صراطه، يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده (مستقيما) يعني قويما لا اعوجاج به عن الحق (فاتبعوه) يقول: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه فاتبعوه (ولا تتبعوا السبل) يقول: ولا تسلكوا طريقا سواه، ولا تركبوا منهاجا غيره، ولا تبغوا دينا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية، وعبادة الأوثان، وغير ذلك من الملل، فإنها بدع وضلالات (فتفرق بكم عن سبيله)، يقول: فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق، ولا أديان» (٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٤) جامع البيان (٨/ ٨٧ـ٨٨).

المبحث الثالث

جوانب من صفاء العقيدة ووضوحها عند السلف

إن أهل السنة والجماعة انطلقوا فيما يعتقدونه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأورثهم ذلك صفاء واجتماعا، ولهذا يقول قوام السنة الأصبهاني: "ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما ، وإن قلّ بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد ، وهل على الحق دليل أبين من هذا"[1]. ومن أبرز المسائل التي تبين الوضوح والاتفاق:

- أنهم دعاة إلى التوحيد ونبذ الشرك.

فإنهم يحثون في دعوتهم الناس على تعليم التوحيد ومدارسته، ونبذ الشرك بشتى أنواعه.

- أنهم دعاة إلى السنة ونبذ البدع.

وهذا الأصل اتفق السلف عليه من عهد الصحابة إلى يومك هذا كلهم يدعون إلى السنة ويردون البدعة، ويحذرون من أهلها.

- وكذلك في الأسماء والصفات فإنهم اتفقوا على إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، من غير تحريف ولا

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٢٤-٢٢٥).

تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف.

ـ وكذلك اتفاقهم في مصادر التلقي التي يستدل بها على الكتاب والسنة[١].

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٥١ـ١٧٦).

المبحث الرابع

أثر صفاء عقيدة السلف على النفس

مما لا ريب فيه أن للعقيدة السلفية الصافية الأثر الكبير على نفوس معتقديها من الثبات على الحق، واطمئنان نفوسهم لهذا الاعتقاد ، بحيث يشعر كل واحد منهم براحة في قلبه، وطمأنينة وأنس وسعادة وفرج ولذة، قال جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

قال ابن القيم واصفا هذه الطمأنينة في قلب أهل السنة: «ولهذا تجد قلوب أصحاب الأدلة السمعية مطمئنة بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته واليوم الآخر لا يضربون في ذلك ولا يتنازعون فيه، ولا يعرض لهم الشك عند الموت، ولا يشهدون على أنفسهم، ويشهدون عليهم غيرهم بالحيرة والوقوف والشك»[2].

وابن القيم يعرض بهذا مذهب المتكلمين الذين خاضوا فيه بغير علم نافع، حيث يقول أحدهم: «نهاية إقدام العقول عقال».

ويقول الآخر: لعمري لقد طفت المعاهد كلها.

أو يقول: فيك يا أغلوطة الفكر.

أو يقول: «ما أدري على أي عقيدة أموت» [3].

ومن مقارنات السلف بين مذهب أهل السنة وبين مذهب المتكلمين، أن ابن

---

(١) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٧٤١-٧٤٢).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٧٤٢، ٦٦٨، ١/ ١٦٦).

قتيبة رحمه الله ذكر في أول كتابه مختلف الحديث أهل الحديث وأئمتهم وأهل الكلام وأئمتهم، ثم ذكر بعد ذلك أقوال وأعمال ووصف أئمة الحديث وأقوال وأفعال أئمة الكلام، بحيث يتبين لكل منصف أن أهل الحديث هم أهل الحق والهدى وأن غيرهم أولى بالضلال والجهل والحشو والباطل[(١)].

وقال ابن تيمية في المقارنة بين حال أهل السنة وحال أهل الكلام: "إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالا من قول إلى قول، وجزما بالقول في موضع، وجزما بنقيضه، وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين.

ثم قال: وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده ، بل هو أعظم الناس صبرا على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين، كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وغيرهم من الأئمة، حتى كان مالك رحمه الله يقول: «لا تغبطوا أحدا لم يصبه في هذا الأمر بلاء»، يقول: إن الله لا بد أن يبتلي المؤمن.

ثم قال شيخ الإسلام: وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة، بل إن المتفلسف أعظم اضطرابا وحيرة في أمره من المتكلم»[(٢)].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٥٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٥٠-٥١).

الفصل الثامن

العمل على تأليف القلوب واجتماع الكلمة

المبحث الأول: النصوص الواردة في الأمر بالجماعة والحث عليها.

لقد جاءت النصوص الكثيرة التي تحث على الترابط بين المسلمين، والإحساس بالأخوة ، والأمر بالتعاون على البر والتقوى، فمن ذلك:

المطلب الأول: النصوص الواردة في كتاب الله في الأمر بالجماعة والحث عليها: وهي كثيرة جدة في هذا الباب أكتفي منها بما يلي:

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[(١)].

وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[(٣)]. إلى غير ذلك من الآيات.

المطلب الثاني: النصوص الواردة في السنة في الأمر بالجماعة والحث عليها.

كما أنه قد جاء في السنة ما يؤكد هذا الأمر:

ـ فعن أبي هريرة ﷺ مرفوعا: (إن الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧١.

الله أمركم)(١).

- وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (استوصوا بأصحابي خيرا، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يعجل الرجل بالشهادة قبل أن يسألها ، وباليمين قبل أن يسألها، فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد، ومن الاثنين أبعد، فمن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)(٢).

وبين الشافعي رحمه الله أن معنى الجماعة في هذا الحديث هو الاجتماع على الطاعة، وأن من قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومه(٣).

- وفي الحديث الصحيح: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)(٤).

وفي رواية : (هي الجماعة)(٥). إلى غير ذلك من الأحاديث.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، (١٢/ ١٠) - بشرح النووي -.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم: ٢١٦٥، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٤٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم: ٨٦-٨٨)، والحاكم (١/ ١١٤)، وغيرهم. والحديث صححه الحاكم وأقره الذهبي، والألباني. انظر: ظلال الجنة (رقم: ٨٦-٨٨).

(٣) انظر: الرسالة (ص٤٧٤-٤٧٦).

(٤) سبق تخريجه ص ٧٥.

(٥) تقدم تخريجها ص ٨٩.

المبحث الثاني

النصوص الواردة في ذم التفرق

ومما يبين أيضا وجوب لزوم الجماعة والحث عليها ولم شمل الأمة النصوص الواردة في ذم التفرق والتحذير منه، وهي جديرة بالذكر هنا.

المطلب الأول: النصوص الواردة في القرآن في ذم التفرق.

في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى جاء التحذير من الافتراق ، والوعيد الشديد من مفارقة الجماعة ، فمن هذا: قول الله جل وعلا: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[١].

قال ابن كثير: «ينهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم»[٢].

ولهذا قال مالك رحمه الله: «ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ، قال مالك: فأي كلام أبين من هذا؟»[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٠٥-١٠٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٠).

(٣) انظر: الاعتصام (٢/ ٢٩٠).

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[١].

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾[٢].

قال ابن سعدي[٣] رحمه الله في تفسير هذه الآية: "يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم أي شتتوه وتفرقوا فيه، وكلٌّ أخذ لنفسه نصيبا من الأسماء، التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئا، كاليهودية والنصرانية، والمجوسية ، أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئا، ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه ، كما هو حال أهل الفرقة ، من أهل البدع والضلال والمفرقين للأمة"[٤]. إلى غير ذلك من النصوص القرآنية.

المطلب الثاني: النصوص الواردة في السنة في ذم التفرق: ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (**من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**)[٥].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.

(٣) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، أبو عبد الله، الشهير بابن سعدي، العلامة، الفقيه، الأصولي، الورع الزاهد، من مصنفاته البديعة توضيح الكافية الشافية، تيسير الكريم الرحمن وغيرهما، مات سنة ١٣٧٦ هـ. انظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان القاضي (١/ ٢١٩)، علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ البسام (٣/ ٢١٨)، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبد الرزاق العباد البدر (ص١١ـ٦٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٥١٠).

(٥) أخرجه البخاري، في صحيحه ، في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : (سترون بعدي أمورا تنكرونها)، (١٣/ ٥)، رقم: ٧٠٥٣.

ـ وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ : (**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**)[١].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في الحث على الجماعة والتحذير من الافتراق.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، (١٢/ ٢٤١) ـ بشرح النووي ـ.

المبحث الثالث

الآثار الواردة عن السلف في تأليف القلوب وجمع الكلمة

وقد اتبع السلف الصالح النصوص التي حثت على الجماعة واجتهدوا في جمع الناس على الحق ونبذ كل ما يخالف ذلك من العصبيات وأمور الجاهلية، ومن تلك الصور الرائعة:

- عن رياح بن الحارث[(١)] قال: «كنت عند منبر الحسن بن علي وهو يخطب الناس بالمدائن، فقال: ألا إن أمر الله واقع إذ ما له دافع، وإن كره الناس، إني ما أحببن أن لي من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمتُ ما ينفعني مما يضرني فالحقوا بجهاتكم»[(٢)].

- وعن سعد بن أبي وقاص[(٣)] أنه : (اعتزل اختلاف الناس بعد مقتل عثمان ﷺ ، وحفر بئرا في مكان منعزل وعاش فيه، وأمر أهله ألا يعلموه شيئا من أمر الخلاف بين القوم حتى يتفقوا على خليفة، فجاءه ابنه عبد الله وقال له: أرضيت لنفسك أن تقيم بهذا المنزل وأصحاب رسول الله ﷺ يختلفون في الخلافة؟

فقال له: إن جئتني بسيف يعرف المؤمن من الكافر إذا ضربت به فعلتُ)[(٤)].

---

(١) هو رياح بن الحارث النخعي ، أبو المثنى الكوفي ، ثقة يعد في كبار التابعين.
انظر: تقريب التهذيب (رقم: ١٩٨٣).

(٢) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/ ٢٦٣).

(٣) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن وُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، أبو إسحاق ، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من رمي بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، وهو آخر العشرة وفاة منهم، مات بالعقيق سنة ٥٥ هـ، وقيل غير ذلك من الأقوال.
انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٢٢٧٢).

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٨٧).

ـ وعن علي بن الأحمر: (قال مروان بن الحكم[١] لابن عمر: ألا تخرج إلى الشام فيبايعونك؟

قال: كيف نصنع بأهل العراق؟ قال: نقاتلهم بأهل الشام.

قال: والله ما يسرني لو بايعني الناس كلهم إلا أهل فدك إني قاتلتهم فقُتل منهم رجل)[٢].

ـ وعن مالك بن دينار[٣] قال: (لما وقعت الفتنة أتيت الحسن البصري ثلاثة أيام أسأله : يا أبا سعيد ما تأمرني ؟

فلا يجيبني ، والله لقد هممت أن آخذ الأرض بقدمي وأشرب من أفواه الأنهار، وآكل من بقل البريّة حتى يحكم الله بين عباده)[٤].

---

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أبو عبد الملك، وقيل: أبو القاسم، أو أبو الحكم، ابن عم عثمان بن عفان، ولد بمكة، وكان ذا شهامة وشجاعة ومكر ودهاء ، وكان يتتبع قضاء عمر. وولاه معاوية إمرة المدينة، ثم عزله وبقي بالشام، وبايعه أهلها بعد وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية، وبقي على الشام ومصر تسعة أشهر، ومات خنقا، وقيل بالطاعون في رمضان سنة خمس وستين. انظر: الطبقات لابن سعد (٥/ ٣٥)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧٦)، الإصابة (٣/ ٤٩٥).

(٢) تاريخ دمشق (٣١/ ١٨٥).

(٣) هو مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، أحد أئمة الزهد، مضرب المثل في التعبد والتنسك، ومن الأعلام المشهورين، مات سنة ١٣٠هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٦٤٧٥).

(٤) انظر: مختصر ابن منظور (٢٤/ ٣٠).

إلى غير ذلك من الأحداث المشهورة[١].

وقال ابن تيمية في بيان حال السلف: "وأهل السنة والحديث أعظم الناس اتفاقا وائتلافا، وكل من كان من الطوائف إليهم أقرب كان إلى الاتفاق والائتلاف أقرب"[٢].

وهكذا نجد أهل السنة والجماعة قد جمعوا بين العلم والعمل في التوحيد، وبين الثبات والصفاء في العقيدة، وأنهم سائرون وسالكون فيما انتهجوه على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يخرجون عن ذلك في أي شيء كان، سواء في الاعتقاد أو السلوك أو العبادة.

---

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي (١٦/ ١٩٤)، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٩٦)، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٢).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٥١).

الخَاتمَـــة

الخَاتمَــة

أحمد الله سبحانه وتعالى على أن وفقني وأعانني على إتمـام هـذه الرسـالة فلـه الحمد أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً ، فلقد عشت مع هذه الرسالة أتصفح هدي النبي ﷺ، وصحابته من بعده، والتابعين لهم بإحسان ، أنهـل مـن المنهج النبـوي الفوائـد العظيمة، ومن خصائص أهل السـنة والجماعـة الآثـار الطيبـة، أسـأل الله تعـالى أن ينفعني الله بها.

هذا وقد استخلصت من هذه الرسالة أمورا عدة أجملها فيما يلي:

ـ توصلت في بحثي : إلى أن مـن خصـائص أهـل السـنة والجماعـة في التلقـي والاستدلال : الاعتصام بالكتاب والسنة ، وعدم التفريق بينهما في الاستدلال علـى مسائل الاعتقاد وغيرها.

ـ وأنهم يقدمون فهم السلف على فهم غيرهم.

ـ وأنهم يتبعون الرسول ﷺ ، فلا معصوم عنـدهم غـيره ، ويـبرز ذلـك في في الاعتقاد والعمل والقول، وقد ذكرت نماذج لذلك في ثنايا البحث.

ـ ومما نتج عن هذا أنهم أحرص الناس على العدل والإنصـاف فيمـا بيـنهم ، ومع خصومهم، وقد ذكرت نماذج من ضوابط أهل السنة والجماعة في ذلك.

ـ كما أنهم لم يهملوا جانب الولاء والـبراء، بـل تجـدهم يسـارعون إلى تطبيـق ذلك في واقع الحياة.

ـ إلى جانب منهجهم العلمي المتقدم ، فإنهم جمعوا إلى ذلـك العمـل بالكتـاب والسنة، والتعبد لله تعالى على وفق ما جاء في سنة المصطفى ﷺ .

- وهم في هذا كله متسمون بالزهد، والصبر ، والقناعة بما قسم الله لهم، والتحلي بالأخلاق الفاضلة .

- وهم مع هذا كله محافظون على جمع كلمة المسلمين على الحق، فتراهم يحذرون من الولوج في الفتن، ويمنعون من الخروج على ولاة أمورهم، مع ثبات كبير على دينهم ، وعدم تذبذبهم، وضوح عقيدتهم وصفائها، وقد ذكرت النصوص الواردة في ذلك، مع نماذج ملموسة في الواقع العملي.

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، صواباً على سنة نبيه ﷺ نافعاً للإسلام والمسلمين ، وحسبي أني بذلت جهدي أن يظهر هذا العمل خالياً من النقص والقصور ، ولكن النقص من صفات البشر ، وكل ابن آدم خطاء فما كان فيها من صواب فمن الله سبحانه، وما كان فيها من نقص أو خطأ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله أن يتجاوز عن الخطأ ويعفو الزلل وأن يقبل الصالحات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن. تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ). مطبعة حجازي، ١٣٦٨ هـ، القاهرة، مصر.

٣. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. تأليف: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.

٤. إحياء علوم الدين . تأليف: أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ). دار الحلبي.

٥. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. تأليف: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ). تحقيق: شعبان محمد إسماعيل/ دار الكتبي/ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

٦. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)/ المكتب الإسلامي/ الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ.

٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تأليف: يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). المطبوع في هامش الإصابة في تمييز الصحابة/ دار صادر/ بيروت.

٨. أسد الغابة. تأليف: أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ).

٩. الإصابة في تمييز الصحابة. تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). دار صادر/ بيروت/ لبنان.

١٠. أصول التفسير. تأليف: خالد عبد الرحمن العك . ط:١، ١٣٨٩ هـ.

١١. أصول الدعوة. تأليف: عبد الكريم الزيدان. مكتبة المنار، ط:٣، ١٣٩٦هـ.

١٢. أصول الفقه. تأليف: د. وهبة الزحيلي.

١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تأليف: محمد الأمين المختار الشنقيطي. عالم الكتب/ بيروت/ لبنان.

١٤. الاعتصام. تأليف: أبي إسحاق الشاطبي. دار المعرفة/ بيروت / لبنان.

وتحقيق: مشهور حسن آل سلمان/ مكتبة التوحيد/ البحرين.
١٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين. تأليف: ابن قيم الجوزية. دار الجيل، بيروت، لبنان.
١٦. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . تأليف: ابن القيم. تحقيق، محمد كيلاني، نشر: شركة مكتبة ومطبعة الحلبي ، مصر.
١٧. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم. تأليف: ابن تيمية (ت٧٢٨هـ). تحقيق: د. ناصر العقل/ مكتبة الرشد/ الرياض/ ١٤٠٤هـ/ الطبعة الأولى.
١٨. اقتضاء العلم العمل. تأليف: الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ). تحقيق: الألباني/ المكتب الإسلامي/ بيروت / لبنان.
١٩. إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم. تأليف: القاضي عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ). تحقيق: يحيى إسماعيل/ دار الوفاء/ ١٤١٩ هـ.
٢٠. الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع. تأليف: جلال الدين السيوطي. تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن القيم.
٢١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تأليف: خالد السبت. من مطبوعات مجلة البيان.
٢٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تأليف : الخلال. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٣. الباعث على إنكار البدع والحوادث. تأليف: أبو شامة . بيروت، لبنان.
٢٤. البداية والنهاية. تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الأولى/ ١٤٠٥هـ.
٢٥. البرهان في أصول الفقه. تأليف: الجويني.
٢٦. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان . تأليف: السكسكي. نشر: مكتبة المنار ، الأردن، ط: ١، ١٤٠٨هـ.
٢٧. بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة مالها وما عليها المسمى جمع النهاية في بدء الخير

والغاية. تأليف: عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ت٦٩٩هـ). دار الجيل/ بيروت/ الطبعة الثالثة.

٢٨. بيان تلبيس الجهمية. تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية . جمع: ابن قاسم.

٢٩. تاج العروس من جواهر القاموس. تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥ هـ). تحقيق: الترزي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٠. تاريخ بغداد. تأليف: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)/ مكتبة الخانجي، القاهرة/ الطبعة الأولى ١٣٤٩ هـ.

٣١. التاريخ الكبير. تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان.

٣٢. تاريخ مدينة دمشق. تأليف: ابن عساكر. تحقيق: العمروي/ دار الفكر/ ط:١/ ١٤١٧هـ.

٣٣. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي. تأليف: محمد المباركفوري (ت١٣٥٣هـ). مكتبة ابن تيمية/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٧هـ.

٣٤. تذكرة الحفاظ. تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)/ دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الرابعة.

٣٥. تعظيم قدر الصلاة. تأليف: المروزي . مكتبة الدار/ المدينة المنورة.

٣٦. تفسير البغوي (معالم التنزيل). تأليف: الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦ هـ). تحقيق: خالد العك/ بيروت/ الطبعة الأولى/ دار المعرفة/١٤٠٦هـ.

٣٧. تفسير القرآن العظيم. تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ).دار المعرفة / بيروت/ ١٣٨٨هـ.دار طيبة/ الرياض.

٣٨. تقريب التهذيب. تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ). تحقيق: أبي الأشبال شاغف الباكستاني/ دار العاصمة/ الرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. وطبعة دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان.

٣٩. تلبيس إبليس. تأليف:أبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)/ دار العلوم

الحديثة/ بيروت/ لبنان.

٤٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تأليف: يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). تحقيق: مجموعة من الأساتذة، وزارة الأوقاف في المغرب/ توزيع: مكتبة ابن تيمية / القاهرة.

٤١. تهذيب الأسماء واللغات. تأليف: يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٤٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تأليف: أبي الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ). تحقيق: بشار عواد معروف/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة السادسة ١٤١٥ هـ.

٤٣. تهذيب اللغة . تأليف: الأزهري. تحقيق: علي البجاوي وغيره، طبع: الدر المصرية للتأليف، مصر.

٤٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تأليف: عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ لبنان.

٤٥. الجامع. تأليف: ابن أبي زيد القيرواني. دار الغرب الإسلامي/ بيروت.

٤٦. الجامع في أخلاق الراوي. تأليف: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٨هـ). تحقيق: محمود الطحان/ مكتبة المعارف/ الرياض.

٤٧. جامع البيان في تأويل آي القرآن. تأليف: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ). دار المعرفة / بيروت/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣ هـ.

٤٨. جامع بيان العلم وفضله. تأليف: ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ). تحقيق: أبي الأشبال الزهيري/ دار ابن الجوزي/ الطبعة الأولى/ ١٤١٤هـ.

٤٩. الجامع لشعب الإيمان. تأليف: الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ). تحقيق: مختار أحمد الندوي/ الدار السلفية/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ. وطبعة البسيوني/ دار الكتب العلمية.

٥٠. جامع العلوم والحكم. تأليف: ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ). تحقيق: شعيب

الأرناؤوط/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ الطبعة الأولى/ ١٤١١هـ.
٥١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٧٢٨ هـ). تحقيق: عبد العزيز العسكر وغيره/ دار العاصمة/ الرياض/ الطبعة الأولى/ ١٤١٤هـ.
٥٢. الجامع لأحكام القرآن. تأليف: محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي/ دار الكتاب العربي/ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٥٣. الحجة في بيان المحجة. تأليف: قوام السنة الأصبهاني. تحقيق: د. محمد بن ربيع هادي وغيره/ دار الراية/ الرياض .
٥٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ). دار الكتب العلمية/ بيروت / لبنان.
٥٥. الحوادث والبدع. تأليف: الطرطوشي. تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن حزم، بيروت ، لبنان.
٥٦. درء تعارض العقل والنقل. تأليف: أبي العباس ابن تيمية (٧٢٨ هـ). تحقيق: د. محمد رشاد سالم/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ الطبعة الأولى.
٥٧. الدرر السنية في الأجوبة النجدية. جمع: عبد الرحمن بن القاسم. المكتب الإسلامي/ بيروت / لبنان.
٥٨. ديوان ذي الرمة. للشاعر ذو الرمة. بيروت ، لبنان.
٥٩. ذيل على طبقات الحنابلة. تأليف : ابن رجب الحنبلي. دار المعرفة/ بيروت.
٦٠. الرسالة. تأليف: الإمام محمد بن إدريس الشافعي. تحقيق: الشيخ أحمد شاكر/ دار الكتب العلمية.
٦١. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت. تأليف: للإمام السجزي. تحقيق: د. محمد باكريم باعبد الله. المجلس العلمي/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ ١٤١٣هـ.

٦٢. زاد المسير في علم التفسير. تأليف: ابن الجوزي. المكتب الإسلامي/ بيروت/ لبنان.
٦٣. الزهد. تأليف: وكيع بن الجراح. تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي/ مكتبة الدار/ المدينة النبوية.
٦٤. الزهد. تأليف: ابن أبي عاصم. المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان.
٦٥. الزهد. تأليف: الإمام أحمد بن حنبل. دار الكتب العليمة، بيروت ، لبنان.
٦٦. زاد المعاد في هدي خير العباد. تأليف: شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ.
٦٧. السنن الكبرى. تأليف: أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ). تحقيق: سيد كروي/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان.
٦٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)/ مكتبة المعارف، الرياض/ ١٤١٥ هـ.
٦٩. السنة . تأليف: ابن أبي عاصم. تحقيق: الألباني/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ لبنان.
٧٠. سنن الترمذي. تأليف: محمد بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ). تحقيق: أحمد شاكر/ دار الكتب العلمية، بيروت.
٧١. سنن الدارقطني. تأليف: الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥). تحقيق: عبد الله هاشم اليماني/ دار المحاسن/ القاهرة.
٧٢. سنن الدارمي. تأليف: الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥ هـ). تحقيق: عبد الله هاشم اليماني/ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء / الرياض.
٧٣. سنن أبي داود. تأليف: الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)/ دار الحديث، القاهرة/ ١٤٠٨ هـ.

٧٤. سنن ابن ماجه. تأليف: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت ٢٧٥هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الكتب العلمية.
٧٥. السنن الكبرى. تأليف: الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
٧٦. سنن النسائي الصغرى. تأليف: الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)/ دار المعرفة.
٧٧. سير أعلام النبلاء. تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
٧٨. سيرة عمر بن عبد العزيز. تأليف: ابن الجوزي . مكتبة دار التراث.
٧٩. شرح صحيح البخاري. تأليف: ابن بطال.
٨٠. شرح صحيح مسلم. تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)/ مطبوع مع صحيح مسلم/ دار القلم/ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٨١. شرح العقيدة الطحاوية. تأليف: علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي (ت٧٤٣هـ). تخريج: الشيخ الألباني/ المكتب الإسلامي. وبتحقيق: الأرناؤوط/ مؤسسة الرسالة.
٨٢. شرح مشكل الآثار. تأليف: أبو جعفر الطحاوي (ت٣٢١ هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى/ ١٤١٥ هـ.
٨٣. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. تأليف: هبة الله بن القاسم اللالكائي. تحقيق: د. أحمد سعد الغامدي/ دار طيبة / الرياض.
٨٤. الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة. تأليف: د. عبد الرزاق العباد البدر/ مكتبة الرشد.
٨٥. الصحاح. تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين/ الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.

٨٦. صحيح البخاري. تأليف: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ). دار الفكر/ بيروت/ ١٤١٤ هـ. والنسخة المطبوعة مع ـ فتح الباري ـ. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي/ مكتبة الرياض.

٨٧. صحيح الجامع الصغير. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)/ المكتب الإسلامي/ الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ.

٨٨. صحيح سنن الترمذي. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)/ المكتب الإسلامي/ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٨٩. صحيح سنن أبي داود. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)/ مكتبة المعارف/ الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

٩٠. صحيح مسلم. تأليف: مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ)/ دار ابن حزم/ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

٩١. صفة الصفوة. تأليف: أبي الفرج ابن الجوزي (٥٩٧هـ). تحقيق: محمد فاخوري/ دار المعرفة/ بيروت/ ١٤٠٦ هـ.

٩٢. صيانة صحيح مسلم . تأليف: أبي عمرو ابن الصلاح. دار الغرب الإسلامي/ بيروت/ لبنان.

٩٣. الصواعق المرسلة . تأليف : الإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق: علي الدخيل الله/ دار العاصمة.

٩٤. الطبقات الكبرى. تأليف: محمد بن سعد البصري (٢٣٠ هـ)/ دار صادر، بيروت/ ١٣٨٨هـ.

٩٥. ظلال الجنة في تخريج السنة. *تأليف: الشيخ الألباني*. المكتب الإسلامي / مطبوع مع السنة لابن أبي عاصم.

٩٦. عارضة الأحوذي. تأليف: أبو بكر ابن العربي. دار المعرفة، بيروت.

٩٧. العبر في خبر من غبر. تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: محمد زغلول/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٩٨. عدة الصابرين . تأليف: محمد بن أبي بكر ابن القيم (ت ٧٥١ هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان.
٩٩. عقيدة السلف وأصحاب الحديث. تأليف : شيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني. تحقيق: بدر البدر/ مكتبة الغرباء/ المدينة المنورة.
١٠٠. علماء نجد خلال ستة قرون. تأليف: الشيخ عبد الله البسام . مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط:١، ١٣٩٨هـ.
١٠١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. *تأليف: محمود العيني (ت ٨٥٥هـ)*. دار الفكر/ بيروت / لبنان/ ١٤١٨هـ. ومعه مناسبات تراجم البخاري/ لابن جماعة/ مراجعة : العطار.
١٠٢. العين . تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: إبراهيم السامرائي وغيره.
١٠٣. الفقيه والمتفقه. تأليف: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)/ دار ابن الجوزي/ الدمام.
١٠٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ). إشراف: محب الدين الخطيب/ دار الريان/ الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
١٠٥. فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ضمن مجموع رسائل في العقيدة. تأليف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين. نشر: دار طيبة، الرياض، ط:١، ١٤٠٤هـ.
١٠٦. القاموس المحيط. تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٧١٨هـ)/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة السادسة ١٤١٩هـ.
١٠٧. الكليات. تأليف:أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي. تعليق: محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤١٩ هـ.
١٠٨. لسان العرب. تأليف: جمال الدين محمد بن كرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)/ دار صادر/ الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
١٠٩. المصباح المنير. تأليف : الفيومي/ دار المعرفة/ بيروت.

١١٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. تأليف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)/ دار الكتب العلمية، بيروت/ ١٤٠٨ هـ.

١١١. مجمل اللغة. تأليف: أحمد بن فارس (ت٣٩٥ هـ). تحقيق:زهير عبد المحسن سلطان/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ لبنان/ ١٤٠٤هـ.

١١٢. مجموع فتاوى ابن تيمية. تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف/ ١٤١٦ هـ.

١١٣. المحرر الوجيز. تأليف: الإمام ابن عطية. طبع في المغرب.

١١٤. محيط المحيط. تأليف: بطرس البناني. مكتبة لبنان، طبع ١٩٨٣ م.

١١٥. مختصر الفتاوى المصرية. تأليف: ابن تيمية. دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان.

١١٦. مختصر تاريخ دمشق. تأليف: ابن منظور.

١١٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. *تأليف: محمد بن أبي بكر ابن القيم (ت٧٥١ هـ)*. تحقيق: محمد حامد الفقي/ مكتبة السنة المحمدية/ القاهرة.

١١٨. المستدرك على الصحيحين. تأليف: الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ)/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

١١٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)/ المكتب الإسلامي/ بيروت.

١٢٠. مسند الطيالسي. تأليف: أبو داود الطيالسي/ دار المعرفة/ بيروت/ لبنان.

١٢١. مسند أبي يعلى. تأليف: أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ). تحقيق: حسين سليم أسد/ دار الثقافة العربية/ الطبعة الأولى/ ١٤١٢ هـ.

١٢٢. مشارق الأنوار على صحاح الآثار. تأليف: القاضي عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ). دار التراث/ القاهرة.

١٢٣. المصنف. تأليف: الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ).

تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي: المكتب الإسلامي/ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
١٢٤. المصنف. تأليف: الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ)/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
١٢٥. معارج القبول بشرح سلم الوصول. تأليف: حافظ بن أحمد الحكمي (ت١٣٧٧هـ). تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر/ دار ابن القيم/ الدمام / ١٤١٣ هـ.
١٢٦. معالم السنن شرح سن أبي داود. تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر/ دار المعرفة .
١٢٧. معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري. تأليف: سعد بن عبد الله بن جنيدل/ مكتبة دارة الملك عبد العزيز/ ١٤١٩هـ.
١٢٨. المعجم الأوسط. تأليف: الطبراني (٣٦٠ هـ). دار الحرمين/ القاهرة.
١٢٩. معجم البلدان. تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ). دار صادر/ بيروت/ لبنان/ ١٩٩٥م.
١٣٠. المعجم الصغير. تأليف: الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ). تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان/ دار الكتب العلمية.
١٣١. المعجم الكبير. تأليف: الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ). تحقيق: حمدي عبد الجيد السلفي/ الطبعة الثانية.
١٣٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الدعوة.
١٣٣. معجم مقاييس اللغة. تأليف: أبو الحسين أحمد فارس . تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ
١٣٤. المعجم الوسيط. تأليف: مجموعة من المؤلفين من مجمع اللغة العربية/ المكتبة الإسلامية/ الطبعة الثانية/ ١٣٩٢هـ.
١٣٥. المعتبر. تأليف: بدر الدين الزركشي.

١٣٦. المفردات في غريب القرآن . تأليف: الراغب الأصفهاني. تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٣٧. المفهم لما أشكل ثم تلخيص كتاب مسلم. تأليف: أبو العباس القرطبي (ت ٦٥٦هـ). تحقيق: محيي الدين مستو/ دار ابن كثير/ ١٤١٧هـ.
١٣٨. مقدمة في أصول التفسير. تأليف: أبي العباس ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ). ـ المقفى الكبير. تأليف: المقريزي . دار الغرب الإسلامي/ ١٤٠٧ هـ.
١٣٩. المنتخب من مسند عبد بن حميد. تأليف: عبد بن حميد. تحقيق: مصطفى العدوي.
١٤٠. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. تأليف: عبد الرحمن ابن الجوزي. دار المعارف العثمانية.
١٤١. منهاج السنة. تأليف: ابن تيمية (ت٧٢٨ هـ). تحقيق: د. محمد رشاد سالم/ مطبوعات جامعة الإمام/ الرياض.
١٤٢. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد. تأليف: لعثمان علي حسين/ مكتبة الرشد/ الرياض.
١٤٣. موافقة الخبر الخبر. تأليف: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ). تحقيق: حمدي السلفي.
١٤٤. الموطأ. تأليف: الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩ هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٥. نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر. تأليف: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)/ مكتبة منارة العلماء لإحياء التراث الإسلامي.
١٤٦. النهاية في غريب الحديث والأثر. تأليف: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ). تحقيق: محمود محمد الطناحي/ المكتبة الإسلامية.

١٤٧. هذه هـي الصـوفية . تـأليف: عـد الـرحمن الوكيـل. دار الكتـب العلميـة / بيروت، لبنان.
١٤٨. وسطية أهل السنة بين الفرق. تأليف: د. محمد باكريم باعبد الله. دار الراية/ الرياض.
١٤٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تأليف: أحمـد بـن محمـد بـن خلكـان (ت ٦٨١هـ). تحقيق: إحسان عباس/ دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

❁ ❁ ❁